

الجزء الأول

المجلد التاسع والثلاثون

مَجَلَّةُ
الْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ الْعَرَبِيِّ



كانون الثاني «يناير» سنة ١٩٦٤ م

شعبان سنة ١٣٨٣ هـ

مجلة
المجمع العلمي العربي
دمشق

انشرت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي } في جميع البلاد العربية ١٠٠٠ قرش سوري
وفي سائر الأقطار ١٢٠٠ قرش سوري
وإذا طلب إرسال المجلة بالبريد الجوي تضاف أجرته إلى قيمة الاشتراك

(تدفع قيمة الاشتراك عند طلبه)

البحوث والمصطلحات التي ينشرها الكتاب في هذه المجلة تعبر عن
آرائهم الشخصية .

خواطر في اللغة والمصطلحات

عندما كنت أطلع في كتب ومجلات حديثة ، أو أستمع إلى محطات إذاعية كانت تبرز لي أحياناً أشنات من الخواطر في اللغة والمصطلحات . وهذه جملة منها أتقلم إلى الذين يهتمون بشؤون لغتنا الضادية :

١ - أسماء العناصر الكيميائية المنتهية بالكاسعة Um :

يسمى علماء الكيمياء في الغرب معظم العناصر الكيميائية ، ولا سيما التي كشف النقاب عنها حديثاً ، بأسماء ينهونها بالكاسعة « اللاحقة » Um ، فيقولون مثلاً Radium و Actinium و Thallium و Scandium و Osmium الخ . وقد لاحظت أن بعض أساتيد الكيمياء عندنا ينهون معربات الأسماء المذكورة بالواو والميم في مثل راديوم و أكتينيوم و بوتاسيوم و صوديوم وهكذا ، وذلك هو الأصل ، ولكن بعضهم ينهونها بالميم مع ضم الحرف الذي يأتي قبل الميم مثل قولهم ناليوم وسكندريوم وأسميجم ، وذلك مرغوبٌ عنه - فالعريب الراجع هو ناليوم وإسكندريوم وأسمييوم .

وقد كنت نيت مقرر لجنة الكيمياء إلى هذا الموضوع في إحدى جلسات مجمع اللغة العربية بالقاهرة فوافق أعضاء المجمع جميعاً على إنهاء تلك المعربات بالواو والميم .

٢ - أسماء أعجمية منتهية بالكاسعة Ique :

في الفرنسية ألفاظ تكون أسماء وتكون فعولاً ، مثل الألفاظ الآتية :

Technique · Statique · Dynamique · Mécanique . فعندما يعربها بعضهم ويستعملونها أسماءً يقولون فيها ميكانيكا وديناميكا وإستاتيكا وتكنيكا . ولكنهم عندما يعربونها لاستعمالها نعتاً يلقون .نمها الكاسمة ique ، ويعربون تلك النعوت بقولهم ميكاني ودينامي وإستاتي وتكني ، ذاهبين إلى أن الكاسمة انفرنسية المذكورة هي أداة نسبة ، وإلى أن أداة النسبة العربية أي الباء المشددة تقوم مقامها .

والحقيقة أن الأحرف ique في الألفاظ المستعملة أسماءً إفرنسية للعلوم أو لأقسام العلوم الخلق اليها تُعد أحرفاً أصلية في تلك الأسماء لا من أدوات النسبة . ولذلك عندما تنسب إلى العربيات المذكورة يجب إبقاؤها كاملةً وإضافة ياء النسبة اليها فنقول ميكانيكي وديناميكي وإستاتيكي وتكنيكي . وكنتُ ذكرتُ هذا الموضوع في حاشية الصفحة ٥٤٩ من عدد تشرين الأول « أكتوبر » سنة ١٩٦٢ (الجزء ٤ من المجلد ٣٧) .

٣ — الفوضى في استعمال بعض الألفاظ :

(أ) من ذلك كلمة « أستاذ » . فالعامة اليوم تطلقها على كل من يراد تمييزه بشيء من الحرمة أو المعرفة مهما تكن صنفته . وقد يكون هذا الرجل ممن لا صلة لهم بالتعليم : كأن يكون موظفاً أو تاجراً أو صاحب أرض أو صاحب معمل أو غير ذلك .

وذهب بعض الكتاب إلى أن الكلمة المذكورة قد هبطت قيمتها ، فأخذوا يتجنبون إطلاقها على أساتذة الجامعات الأوربية ، وراحوا يعربون كلمة بروفيسور الأنجمية بقولهم جاء البروفيسور فلان ، وذهب البروفيسور في جامعة كذا ، وكأنهم يجدون أن كلمة الأستاذ لا تليق بهؤلاء الأساتذة الأعاجم ، وأن كلمة

بروفسور الفرنسية لها مدلول يفوق مدلول كلمة الأستاذ . والحقيقة أن الجهل أو صغر النفوس أو الاطمئنان الأعمى إلى كل من كان أو ما كان أجنبياً هي التي تسلكهم هذا المسلك الزور . والكلمة الفرنسية المذكورة لا تطلق في لسان الفرنسيين على أساتيد الجامعات وحدهم ، بل تطلق على كل من يعلم لغة أو علماً أو فناً أو غيرها في الجامعات وفي غير الجامعات . ولئن كانت تطلق عندهم على أساتذة المدارس العالية على الأخص ، فكلمة أستاذ تطلق عندنا أيضاً على الذين بلغوا أعلى مرتبة من مراتب التدريس في كليات جامعاتنا ، كما تطلق على أعضاء الجامعات العلمية واللغوية في المحاضرات وفي محاضر الجلسات . وتسمية المعلم الأجنبي باسم الأستاذ لا تقل في باب الحرمة والتكريم عن تسميته باسم البروفسور .

(ب) ومن ذلك التخطي في استعمال الألفاظ الدالة على الجماعات العسكرية ، فعندما يترجم كتاب الصحف وموظفو الإذاعات العربية الأنباء العسكرية التي تذيبها شركات الأنباء ، كثيراً ما يغلط بعضهم في تمييز أسماء الجماعات العسكرية بعضها من بعض ، مثل الجيش والفيلق والفرقة واللواء والفوج والكتيبة والسرية والفصيلة والزمرة ، على حين أن كل كلمة من هذه الكلمات لها في الجندية مدلول محدد . وفي المعجم العسكري الذي كنا نقلناه في دمشق إلى العربية عن المعجم العسكري الكندي (وهو بالإنكليزية والفرنسية) جعلنا الألفاظ العربية المذكورة ، على التتابع ، أمام الألفاظ الإفرنسية الآتية :

Armée, Corps d'armée, Division, Brigade, Régiment, Bataillon, Compagnie, Section, Escouade .

(ج) ومن ذلك أيضاً الفوضى في تسمية درجات المدارس . فأتت تقرأ في دمشق أمثال الجمل الآتية : « معهد روضة الأطفال » و « كليات جمعية

كذا « على حين أن كلمة المعهد ^(١) تطلق في الاصطلاح الحديث على مؤسسة للتعليم أو للبحث العالي كمعهد الدراسات العربية العالية ، ومعهد البحوث العلمية مثلاً ، فهل روضة الأطفال تعد معبداً ، أو تحتاج في إدارتها إلى معهد ؟ .
وحب أننا استعملنا كلمة المعهد في مثل معهد الفنون ومعهد التجميل فهل يجوز أن نبلغ بها رياض الأطفال ؟ .

ثم ان الجمعية المذكورة التي تقول إن عندها كليات ليس عندها في الحقيقة سوى مدارس ابتدائية أو إعدادية . وقد سميت كليات تعظيماً لها في حين أن التسمية في الاصطلاح الحديث هي فرع من فروع التعليم العالي في الجامعات .
٤ — الإفراط في التعريب : ^(٢)

يفرط بعض العلماء والأدباء في تعريب ألفاظ أعجمية كان وضع لها ألفاظ

- (١) وهي ترجمة Institut الفرنسية في معظم استعمالاتها .
- (٢) للتعريب معان كثيرة في الأمهات من المعجمات . وأهم معنى له عند رجال اللغة والاصطلاحات العلمية ما جاء في المزمهر : « التعريب هو ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعية لمعان في غير لغتها » ، أي ادخال ألفاظ أعجمية في لساننا واستعمالها بمعانيها كقولنا اليوم مثلاً سينا وقلم ، وكقول القدماء ياسمين وأبريق النخ . والتعريب في لغتنا كثير ، ويسمى الدخيل . وفي لسان العرب : تعريب الاسم الأعجمي أن تنفوه به العرب على مناجها تقول عربته العرب وأعريبته أيضاً . وقد ذكرت هذه البداهة لأن المحدثين أخذوا يكثر من استعمال التعريب بمعنى الترجمة أو النقل إلى العربية كقولهم تعريب العلم وتعريب الدواوين وتعريب الكتاب ؛ ويشيرون بذلك إلى جعل العلم باللغة العربية ، وإلى جعل العربية لغة الدواوين الحكومية ، وإلى نقل الكتاب الأعجمي إلى العربية . وأفرط بعضهم في استعمال هذا المعنى الحديث للتعريب حتى صاروا يقولون في رسائل رسمية : « توحيد المصطلحات للعربية » ، ويعنون بذلك في نظرم توحيد المصطلحات العربية أو المنقولة إلى لساننا بوسائل وضع المصطلحات العربية كالاشتقاق والنحت والمجاز والتضمين . وعلى مقتضى مفهومهم هذا ينبغي المعنى القوي الصحيح للتعريب ، والمعنى القوي الصحيح للمصطلحات :

عربية شاعت في الكتب والمجلات ، كلمة Microscope مثلاً فقد كانت تسميت المجهر ، وهي كلمة حسنة شاعت في الكتب المدرسية وفي كليات الجامعة السورية وغيرها ، فإذا بي أجدّها معربة في قسم البصريّات من مجموعة المصطلحات العلمية التي كانت عرضت في سنة ١٩٦١ على المؤتمر العلمي الرابع للاتحاد العلمي العربي . ولكنني وجدتّها - أي كلمة المجهر - مثبتة ومستعملة في قسم الجيولوجية وقسم النبات من المجموعة المذكورة .

ومن الإفراط في التعريب أيضاً اكتفاء بعض العلماء بتعريب أسماء كثيرة لمقاييس علمية كقياس الرطوبة Hygromètre ، ومقياس الكهرباء Électromètre ، ومقياس الإشعاع Radiomètre ، ومقياس الأشعة Actinomètre ، ومقياس الرياح Anémomètre الخ . مكثفين بقولهم اميرومتر والكثرومتر وراديومتر واكتينومتر وأنيومتر . فالمقاييس كثيرة في مختلف العلوم . وقد ذكرت منها ٤٦ مقياساً في معجم الألفاظ الزراعية كقياس القشدة ومقياس اللبن ومقياس المطر ومقياس الشجر ومقياس الحموضة ومقياس الأدهان (الزيوت) ومقياس الحرير الخ . ولم أعرب أو لم أكتف بتعريب الأسماء الفرنسية لهذه المقاييس . وأرى أنه لا بد من ترجمة هذه الأسماء وأشباهاها بمعانيها . وإذا كان يستحسن تعريب أسماء الأدوات والأجهزة العلمية الحديثة ، فن المستحسن أيضاً وضع أسماء عربية لها إلى جانب الأسماء العربية . وليس من الضروري أن يكون

== للعربية ، وهذه ، كما قلت ، وكما هو معروف ، إنما هي المصطلحات الأعجمية التي تدجها في لساننا إما على حالها أو بعد جعلها على وزن من الأوزان العربية وهو الأصلح .

ومعاني التعريب كما قلت كثيرة منها تهذيب النطق من اللحن ، وتعليم الرجل العربية ، واتخاذ فرس عربي ، وقطع سفن النخل أي التهذيب ، وللمنم والإنكار ، والفحش في الكلام ، وتعميش العرب أي التدرب المدة الخ .

المصطلح العربي شاملاً لجميع معاني المصطلح الأعجمي ، كما أن المصطلح الأعجمي نفسه كثيراً ما يقصر عن أداء ما يدخل فيه من المعاني . مثال ذلك أن كلمة أنيمومتر الفرنسية معناها الأصلي مقياس الريح ، على حين أن هذا المقياس يبين اتجاه الريح وسرعتها . ومن العلوم أن المصطلح يوضع أحياناً لأدنى ملائمة . ومن الأخطاء في التعريب والأسمان فيه دوام محطات الإذاعة الصوتية والمرئية على استعمال كلمات أعجمية لا حاجة إليها مثل كلمة « ديكور » وهي الزُخرف ، و « ريبورتاج » وهي التحقيق أو الاستطلاع الصحفي و « مونتاج » وهي الإعداد داخ^(١) .

(٥) الدوام على مخالفة قرارات المجمع :

ما زال بعض الأساتذة في الجامعات ، ولجان المجمع في القاهرة ، والاتحاد العلمي العربي ، يخالفون قرارات كان اتخذها المجمع المشار إليه بناءً على اقتراح ، ومنها اتباع النطق الأسهل في تعريب الكلمات الأعجمية التي يكون لها رسم واحد في اللغات الأوربية المشهورة ، ولكن النطق بها يكون مختلفاً في تلك اللغات . فما قرأته في مجموعات علمية تعريبهم مثلاً لكلمات Biotite و Augite و Calcite بكلمات بايوتابت وأوجابت وكالسابت ، على حين أن التعريب الصحيح بموجب قرار المجمع ، وبشوقي النقاء الساكنين هو يوتيت وأوجيت وكسبت فتى يستقر رأي القادرين باللغة الإنكليزية على تجنب لساننا ، في النطق بالعربات ، غرائب نحن في غنى عنها ؟

وما يرح اخواننا في القطر المصري يكتفون بنقل الحرف g اللاتيني (ويقابله الحرف غمّا في اليونانية) جيداً ، على حين أن تسعة أعشار البلاد العربية لا تنطق بهذه الجيم المخففة . والقدماء ما نقلوا الحرف الأعجمي المذكور إلا غيئاً .

(١) راجع مقال الفاظ الحياة العامة ومعجم الحضارة لمؤلفه محمود تيمور (الجزء الرابع

وكان مجمع اللغة العربية قرر نقله غينا . ولكن هذا القرار لم 'يتبع في مصر' ، فاقترحت عليه نقله غينا وجباً جميعاً فيقال مثلاً غازولين وجازولين ، وغليسرين وجلبسرين ، فاتخذ المجمع قراراً بذلك . ومع هذا ظلت الجيم هي التي 'ترسم' وحدها في معظم معربات لجان المجمع .

ومن القرارات أيضاً أن الكلمات الأعجمية المنتهية بالحرف A أو بالكاسعة gie التي تدل على العلم يُفضل إنها 'معرباتها' بالناء ترجيحاً على الألف ، فيقال مثلاً جيولوجية ومغولية وبيولوجية ترجيحاً على جيولوجيا ومغوليا وبيولوجيا . والسليقة العربية تقتضي ذلك . ومع هذا ما يرح كثير من الاسانيد في المجمع وفي الجامعات يسرون على حسب آرائهم الخاصة .

٦ - جمع الفُطر 'فطُور' وأفطار على القياس :

تُطلق كلمة الفُطر في الاصطلاح العلمي الحديث على ما يسمى بالفرنسية Champignon وبالإنكليزية Fungus . وهذا المدلول هو ما أشار إليه ابن البيطار في مفرداته . أما في المعجمات الأصلية فتعريف الفطر هو : في اللسان : « . . . والفطر أيضاً جنس من الكم . أبيض عظام لأن الأرض تنفطر عنه واحده فطرة » .

وفي التاج : « والفطر بالضم ، وجاء في الشعر بضمين ، ضرب من الكأء أبيض عظام لأن الأرض تنفطر عنه . وهو قتال . واحده فطرة » .

وفي المختص « بحث الكأء » : « ويقال للفِقة أيضاً الفُطر واحده فُطرة » .

وفي الصحاح : « . . . والفُطر أيضاً ضرب من الكأء أبيض عظام الواحدة فطرة » .

ويتضح من ذلك أن أصحاب المعجمات المذكورة قد جعلوا الفطر جنساً أو ضرباً من الكأء ، على حين أن الكأء في العلم الحديث هي جنس من الفطور .

والفطور علياً طائفة نباتية من اللازهرات 'تقسم في علم النبات أربع رتب ، وفي كل رتبة فصائل وأجناس وأنواع عديدة ، منها المسم ، وما يؤكل ، وما يكون طفيلياً مجهرياً يحدث في النباتات الزراعية أمراضاً .

ولم أجد جمعاً لكلمة الفطر في المعجمات التي أشرت إليها ، ولا في مفردات ابن البيطار ، ولا في تذكرة الأنطياكي ، ولا في المعجمات الحديثة الآتية وهي : أقرب الموارد والبستان ومتن اللغة والمنجد ، ولا في كتاب « مبادئ علم النبات » المطبوع في بيروت سنة ١٨٧١ للدكتور بوسنت ، ولا في كتاب « علم النبات الزراعي » لمؤلفه جون برسيغال ، وقد نقلته وزارة الزراعة المصرية إلى العربية وطبعته سنة ١٩٢٠ .

وفي مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة (الصفحة ٣٥ من المجلد الأول - مصطلحات علوم الأحياء) سمي الفطر باسم واحدته أي فطرة ، وجمع على فطر :

الفطرة (ج الفطر) (Fungus (Pl. Fungi

أما في الصفحة ٣٣٩ من المجموعة المذكورة (مصطلحات في علم الأمراض ومتفرقاتها) فقد أطلق على Fungus اسم الفطر ، وجمع على أفطار :

فطر (ج أفطار) Fungus

ومن الواضح أن الفطر اسم جنس يدل على الماهية ، ويقع بلفظ المفرد على القليل والكثير ، والتاء فيه تدل على المفرد كخمل ونخلة ، وشجر وشجرة ، ونمل ونملة وأشياء ذلك . وأسماء الجنس هذه التي 'تجتم بقاء الوحدة يغلب التذكير على ما جاء منها مجرداً من التاء فيقال هذا فطر سام ، وهذا شجر باسق ، وهكذا . وهي 'تجمع جمع قلة بالألف والتاء أياً كان وزنها فيقال فطرات وشجرات

ونخلات . وتجمع جمع كثرة بتجريدتها من انتاء على ما جاء في شرح الشافية وفي الجزء الرابع من مجلة مجمع اللغة العربية (ص ٢٠٩) . ولكننا في حاجة إلى التفريق بين اسم الجنس وجمعه . ففي شرح الشافية ان ما كان على وزن 'فَعْلَة كدُخْنَة و'بْرَة ودُرَّة قد يحكي جمعه على 'فَعْل كدُرَر و'ثَوَم تشبيهاً بفُرَف . ولكن هذا الوزن لا يفيدنا في تكسير الفطرة ، لأن الجمع أي 'فَطَر يفتح الطاء يحتاج إلى تشكيل لكي لا يلتبس باسم الجنس نفسه وهو 'الفُطْر . ثم إن هذا الجمع لا يُعد قياسياً . ولذلك سرنا في الشام على جمع 'فَطَر على 'فَطُور منذ أوائل القرن الحاضر . وسبقنا الترك إلى ذلك منذ أواخر القرن الماضي . وهذا مطابق لما أقره مجمع اللغة العربية في جمع الاسم الثلاثي المجرد من تاء التأنيث ، فما كان منه على وزن 'فَعْل ولبس له جمع تكسير يجمع على 'فُعُول للكثرة وعلى أفعال للقلة (الجزء الرابع من مجلة المجمع ص ١ و ١٨٩) . وعلى هذا جمعنا كلمة 'فَطَر على 'فَطُور ، وجمعها المجمع على أفطار . أما 'فَطُر بضمين فليست جمعاً بل هي اسم الجنس نفسه جاء في الشعر بضمين .

ولا أرى بعد هذا حاجة إلى استعمال 'الفُطْرِيَّات ، وهي حديثة ، بدلاً من الفطور والأفطار ، إلا إذا دلت على علم الفطور وهو بالفرنسية Mycologie .

مصطفى الشهابي

أبو العباس التيفاشي

٥٥٨٠ هـ - ٦٥١ هـ = (١١٨٤ م - ١٢٥٣ م)

وكتابه

أزهار الأفكار في جواهر الأثجار

عندما يسكت المؤرخون ، ولا سيما كتاب الطبقات منهم عن تعلم من أعلام الفكر ، أو رائد من رواد المعرفة ، فإن سكوتهم هذا لا يعني شيئاً في حقيقة الواقع ، وإن كان في بعض الأحيان ، يسدل ستاراً كثيفاً لا بد لنا من أشعة كاشفة قوية للفعول لتمزيقه .

تاريخ الفكر والحضارة في الإسلام يشتمل على سلسلة طويلة ذات حلقات من الرواد والأعلام . ولكن الباحث المتعمق الذي يريد الربط المحكم بين هذه الحلقات يجد نفسه أحياناً أمام فراغ واسع بين حلقة وأخرى في سلسلة الحضارة والفكر . وليس لذلك من سبب سوى أن العناية كانت أولاً وبالذات متجهة إلى تدوين تاريخ الدول والملوك وأهل الحظوة والوجاهة ، حتى إذا اتسعت الآفاق أمام المدونين تناولوا طبقات أهل المذاهب والقراء والحفاظ والنخاة والشعراء والقضاة . على أن هذه العناية كانت تلحق أحياناً الحكماء والأطباء والفلكيين وبعض رجال الفنون الأخرى ، فيجد من كتب في طبقاتهم . لكن الشغوف والاعتبار كنا دائماً في الجانب الآخر والسعيد من الأطباء والصيادلة والمهندسين والفلكيين والجوهريين والرحالين والجغرافيين هو الذي استطاع أن يكون إلى

جانب مهارته في هذه الفنون ، قد عُرف بالفقه أو الحديث أو اللغة أو الشعر ،
ليستخذ كتاب الطبقات ذلك ذريعة خشعة في زمرة الفقهاء أو المحدثين أو أهل
اللغة أو الشعراء .

وأبو المباسم التيفاشي الذي نحاول الحديث عنه اليوم مع كتابه القيم
« أزهار الأفكار في جواهر الأنهار » أصدق من يمثل هذه الحقيقة التي أشرنا
إليها آنفاً .

فنحن أمام معلم من أعلام الفكر والحضارة حاول أن يكتب دائرة معارف
إسلامية في القرن السابع الهجري ونحن أمام كتاب فريد من نوعه لا يستطيع
تأليفه إلا رجل من ذوي الاختصاص في البحث عن الأنهار المتنوعة وخواصها
المعدنية والطبية والفروق الذاتية والعرضية التي تفرق بين أحنافها المختلفة وما يتبع
ذلك من تحقيق وتدقيق وتفصيل .

ولكن ذلك لم يكن لبشفع لصاحبنا فيمثل مكانة مرموقة في كتاب من كتب
الطبقات ؛ فقد سكنت عنه سكوناً غريباً ، وتجاهلت وجوده حتى 'خيّل لبعضهم
أنه نكرة من النكرات ، أو مجهول من الجاهيل . ولولا أن صاحبنا قد تداركته
عناية الله فانتسب إلى القضاء على المذهب المالكي في وطنه لما حظي بهذه
الترجمة القصيرة التي جاد بها عليه ابن فرحون في كتابه « الديباج المذهب في
معرفة أعيان علماء المذهب »^(١) .

فهذه الصفة قال عنها ابن فرحون لقيي إمام وعلامة . غير أنه لم يخل
عليه بهذه العبارات :

« واشتغل بالأدب وعلوم الأوائل ... وكان فاضلاً بارعاً له شعر حسن
ونثر جيد ومصنفات عديدة في فنون ... » .

(١) طبعة القاهرة من ٧٤ - ٧٥ .

أما المراجع الأخرى فقد وسعها ما وسع معاصريه فلم ينل منها إلا اشارات عابرة لا تغطي غلة ولا "تربي ظمأ" .

ونحن في هذا البحث نحاول أن نعطي صورة عن عصر التيفاشي ، وترجمة حياته ، وما أغفلته يد الزمان من آثاره ، ولا سيما كتابه القيم : «أزهار الأفكار في جواهر الأحجار» إذ هو المقصود الأهم عندنا هنا ، نظراً لما نلسه فيه من اطلاع غزير ومعرفة دقيقة امتاز بها المؤلف التيفاشي في موضوع الأحجار الكريمة التي كان لها شأن في الحضارة الإسلامية إلى جانب الذهب والفضة والمعادن الأخرى .

عصر التيفاشي

نشبت حضارة الامبراطورية الموحدية في الشمال الإفريقي والأندلسي ، وكان عصر يوسف بن عبد المؤمن ٥٥٨-٥٨٠ هـ وابنه يعقوب المنصور ٥٨٠-٥٩٥ هـ عصرًا ذهبيًا أفرغت فيه الدولة طاقاتها في الحرب والسياسة والعلوم والفنون والآداب ، وتفاعلت فيه عبقرية المغاربة والأندلسيين تفاعلاً نلسه في هذا التراث الضخم من آثار أعلام ذلك العصر الذين كانوا في رحلة دائمة بين قرطبة واشبيلية وغرناطة وفاس ومراكش وتلمسان وبجاية وتونس . ومن هناك نجد الكثير منهم يأخذ طريقه إلى مصر والشام والعراق والحجاز .

وكان بلاط الخلافة الموحدية مجعاً تلتقي فيه شتى الكفايات والعقريات في العلوم النظرية والعملية إلى جانب رجال السياسة والتدبير والحرب .

وقد ردد الشرق والغرب صدى انتصار يعقوب المنصور فيه معركة الأرك سنة ٥٩٢ هـ . ذلك الانتصار الذي كاد يعصف بأحلام الصليبيين في الفردوس

(١) انظر السخاوي في الاعلان بالتوبيخ ص ١٦٢ .

المفقود ، والذي أضفى على شخصية المنصور وعرشه في المغرب ما أضفى على شخصية معاوية في الشرق السلطان صلاح الدين الأيوبي من اتساع النفوذ وبعد الصيت وجليل الذكر .

ولئن كانت معركة العقاب سنة ٦٠٩ هـ قد سلبت الموحدون نفوذهم السياسي فإن سمة العصر وحضارة العصر ظلنا بارزين في أرجاء امبراطوريتهم التي تجزأت الى عدة دول منها دولة الحفصيين في تونس ، وبنو زيد في الجزائر ، وبنو مرسي في المغرب ، وبنو الأحمر في غرناطة .

فطابع العصر كان هو طابع العظمة ، واتساع دائرة الثقافة ، واعتماد الدولة على عدد من رجال العلوم والفنون لرفع علمها وتبدير سياستها وتثبيت نفوذها . وشيء آخر أثر في الشمال الإفريقي ، على الخصوص من الناحية الثقافية ، وهو هجرة الأندلسيين أفراداً وجماعات من وطنهم إلى بلاد المغرب العربي حيث يجدون الأمن والسلام واتساع دائرة العمل في ظل الدول الناشئة هناك . ففي هذا العصر هاجر كل من ابن سعيد ، وابن الأبار ، وابن عميرة ، وحازم القرطاجني وغيرهم ؛ وكان لهم تأثير في الحياة العلمية قوي المفعول ما زلنا نلحس آثاره في مؤلفاتهم وفي مؤلفات معاصريهم الذين أشادوا بمعارفهم الواسعة التي نشروها هناك .

وفي المشرق العربي كانت الخلافة العباسية في بغداد تثني تحت ضربات الغزاة المغامرين ، بينما كانت دولة الأيوبيين في مصر والشا تحمل مشعل الدفاع عن الكيان الإسلامي في تلك الديار .

وكما كانت أمصار المغرب العربي وعواصمه ملجأ لعلماء الأندلس ، كانت حواضر الشام ومصر ملجأ لعلماء العراق وما إليها من البلاد الفارسية .

وجاءت دولة المماليك بعد الأيوبيين فسارت على طريقهم واتسعت أمام رجالها آفاق العلوم والفنون بسبب من لاذ بجهاها من أعلام العلم والأدب والفن .
وقد كان النيفاشي من الأعلام الذين عاشوا بمصر زمناً تجلت فيه سميزات
انصهر بأجلى مظاهرها في تواحي الحياة المختلفة .

فمن قاسية كان الخطر انصبي يهدد كيانت أبلاد الإسلامية الممتدة على
ضفاف البحر المتوسط . ومن أخرى كان الوعي الديني والحماس الوطني يدفعان
ذوي السلطة والنفوذ في هذه البقعة من العالم الإسلامي إلى القيام برد الفعل
والاستعداد للمركة الفاصلة .
ولن يتأني ذلك إلا بفهم كثير من الكفايات ، وتجنيد جميع القوى الممكنة
العادية منها والمعنوية .

فإذا نظرنا إلى مصر والشام من زوايا التاريخ المختلفة في هذا العصر « القرن
السابع » وجدنا ميداناً يثور بتيارات متعددة في التصوف : الشرعي والبدعي ،
وفي علوم الدين المختلفة ، وفي علوم التاريخ واللغة والحكمة والطب والفلك وغيرها .
فالعصر عصر ابن الحسن الشاذلي ، وابن عربي الحاتمي ، وابن دقيق العيد ،
والعز بن عبد السلام ، وعبد اللطيف البغدادي وغيرهم .

كما أن العصر كان من الناحية الاقتصادية عظيم الأهمية بالنظر إلى التبادل
التجاري بين الشرق والغرب ، وإلى أن رجال السلطة والنفوذ كانوا لا ينفكون
يبحثون عن الرصيد الذي يكتسب في الخزائن من ذهب ونفضة وأحجار كريمة لوقت
الحاجة إليها عندما ترجف بهم راجفة من رواجف الحروب والفتن والثورات .
والمؤرخون المغاربة يروون في هذا الموضوع عدة قصص ووقائع عن اهتمام
الملوك والوزراء بجمع الأحجار والتغالي في اقتنائها ، ونجد ذلك نفسه عند
المؤرخين المشرقة .

وقصة التؤلوة التي 'فقدت في مجلس الناصر الموحدى لما عرضت صحاف
الأشجار الكريمة على أعيان الدولة شهيرة في كتب التاريخ^(١) .
وقصص الهدايا المتبادلة بين ملوك المغرب وملوك مصر والشام وما تحتوي عليه
من نقائس الأشجار نجدتها في كل كتاب يؤرخ القرن السابع .
في هذا العصر عاش التيفاشي في موطنه الأول بتونس متصلاً بالخفصيين ، وفي
موطنه الثاني بالقاهرة متصلاً بدولة المماليك .

ما نعرفه عن التيفاشي

هو أبو العباس ، وأبو الفضل أحمد بن يوسف بن أحمد بن أبي بكر بن حمدون
ابن حجاج بن ميمون بن سليمان بن سعيد القيدي . ولا شك أن هذا النسب
الطويل الذي تقلناه من ابن فرحون ، مع النسبة إلى قبس ، يدلنا على أن
صاحبنا كان من أمرة ذات جاه وحسب ونسب شأن الأمر التي اشتهرت
إذ ذاك بالعلم وولاية المناصب في القضاء والفتوى والوزارة والحجابة وغيرها من
المناصب الرفيعة .

وبذكر المؤرخون أن الخليفة عبد المؤمن بن علي الموحدى لما دخل إفريقية
عام الأخماس ٥٥٥ هـ مدحه الفقيه محمد بن أبي العباس التيفاشي بقصيدة كان مطلعها :
ما هنـ عطفية بين البيض والأسلـ مثل الخليفة عبد المؤمن بن علي^(٢)
فأمره الخليفة بالانتصار على المظالم لانه في نظره حوى كل شيء !
وصاحب القصيدة هو ولا شك عم والد صاحبنا كما يظهر من سلسلة النسب
التي قدمناها .

(١) انظرهما في الإعلام بمن حل سرا كش من الإعلام ج ٣ ص ٨٤ .

(٢) الاستقصاء ج ٢ ص ١٤٥ .

وتيفاش التي تنسب إليها أسرته هي تيفاش (الظالة) التي حدثنا عنها ياقوت في المعجم وقال : « إنها مدينة أزيلية بإفريقية شائعة البناء تسمى تيفاش الظالة ذات عيون ومزارع كثيرة وهي في سفح جبل » .

وكانت تيفاش في القديم تعد من نرى قفصة المدينة التونسية الشهيرة في الجنوب الغربي ، وهي الآن من عمالة فسنطينة بالقطر الجزائري . وصاحبنا ينسب تارة إلى تيفاش ، وأخرى إلى قفصة ، وثالثة إلى القاهرة . والمتنبع لكلام صاحب كشف الظنون عن كتب التيفاشي يجده يذكر هذه النسب الثلاث . ولد أبو العباس بتيفاش كما يقول ابن فرحون سنة ٥٨٠ هـ ، وقضى صباه الأولى بين تيفاش وقفصة حيث كان أبوه قاضياً بها ، وهناك أخذ مبادئ العلوم عن أفراد من أسرته ، ثم دخل تونس العاصمة فأخذ عن شيوخها ، لكن نفسه طمعت إلى الشرق فارتحل ، وهو صغير السن كما يقول ابن فرحون ، إلى القاهرة ، وأخذ عن الطبيب الشهير عبد اللطيف البغدادي ، ثم إلى دمشق ، وأخذ عن تاج الدين الكندي .

لا ندري المدة التي قضاها للتيفاشي في الشرق ، ولكننا نعلم أنه رجع إلى وطنه ليتولى منصب القضاء في ظل الدولة الحفصية التي كان بلاطها إذ ذاك يزخر بالأعلام كحازم القرطاجني ، وابن الأبار ، وابن سعيد وغيرهم .

ثم يرجع صاحبنا إلى الشرق ليقوم بعدة رحلات إلى أرمينية والعراق وفارس فيجدها خلالها المعلومات والتجارب التي قدمها لنا في كتابه الذي بين أيدينا . وأخيراً يستوطن القاهرة ، ويعكف على تدوين كتبه التي نعرف عنها القليل ونجهل الكثير .

وفي القاهرة اتصل به المؤرخ الأندلسي الكبير أبو الحسن علي بن موسى ابن سعيد فاستفاد كل منهما من صاحبه استفادةً فيجدها خلال كلام ابن سعيد

في كتابه « النصوص الياقة » حيث ينقل ابن سعيد أخبار الشاعر التامغري ^(١) عن صديقه التيفاشي ؛ وكذلك عند حديثه عن الشاعر ابن الساعاتي فحده يستشهد برأي التيفاشي ^(٢) .

وفي كتاب « اختصار القدر المملئ » لابن سعيد فحده ينقل أيضا عن التيفاشي بعض أخبار الشعراء ^(٣) .

ولا يكتفي بالنقل بل يميز صديقه التيفاشي إجازة ووجدت بخطه في آخر كتابه « المغرب في محاسن أهل المغرب » وقد ذكر ذلك المقرئ في نفع الطبيب ^(٤) . وفي القاهرة نال حظوة مكينة عند أعيانها ورجال الحكم فيها ، فألف باسمهم عدة كتب ، منها كتابه هذا : أزهار الأفكار ، الذي كان يؤلفه في سنة ٦٤٠ هـ ، كما يذكر في الكتاب ، أي قبل وفاته بأحدى عشرة سنة لأنه ودع هذه الحياة سنة ٦٥١ هـ .

مؤلفاته

يذكر لنا صاحب هدية العارفين ج ١ ص ١٤ قائمة كتبه هكذا :

- ١ - أزهار الأفكار في محاسن الانحجار .
- ٢ - الدرة الفاتقة في محاسن الأفارقة .
- ٣ - رجوع الشيخ إلى صباه .
- ٤ - سجع الهديل في أخبار النيل .
- ٥ - سرور النفس بمدارك الحواس الخمس .

(١) انظر ص ٥٩ .

(٢) انظر ص ١٢٤ .

(٣) انظر ص ١٦٤ .

(٤) انظر ج ٣ ص ٩٧ .

٦ — الشفا في الطب النبوي .

٧ — فصل الخطاب في ٢٤ مجلداً .

٨ — قادمة الجناح .

وغير ذلك . . .

وقد اطلقت أخيراً على مخطوطة تحمل عنوان « تزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب » لأبي العباس التيفاشي . وموضوعها وصف الحياة الجنسية في محاسنها ومبازلها وصفاً مدققاً غريباً في بابها ١ والمخطوطة دخلت المكتبة العامة بالرباط عدد ١٥٣٣ .

كتاب أزهار الأفكار

يبدأ أبو العباس التيفاشي كتابه بهذه العبارات :

« وبعد : فإن هذا الكتاب غريب الوضع ، عجيب الجمع ، عظيم النفع ، ضميمته في ذكر الأشجار الكريمة التي توجد في خزائن الملوك وذخائرهم ، وفي ذخائر الرؤساء والوزراء مما لا يستغني عن اقتنائه ملك كبير ، ولا وزير خصير ، لما يشتمل عليه من عظيم منافع وعجائب الخواص . ولم اشرك بها شيئاً من الأشجار المتداولة في أيدي العوام ، العاربة عن الخواص الجسام ، والمنافع العظام ؛ ولا أذكر شيئاً من الأشجار الشاذة المدومة أو النادرة الوجود ، ان كان ذلك مما لا طائل ولا جدوى في ذكره . وإنما ينتفع بذكر الحاصل في الوجود ، لا الداخل في جنس المعلوم المفقود . وجملة الأشجار المثبتة فيه خمسة وعشرون حجراً وهي هذه الأبواب :

١ — في ذكر الجواهر ومعادنه وصفات غوصه ومنافعه ، — في الياقوت ومعادنه واختلاف ألوانه وخواصه ٣٤ — في الزمرد ومعادنه وخواصه ومنافعه .

- ٤ - في الزبرجد ومعادنه ، ٥ - في البلخش وعلة تكوئنه في معدنه ،
 ٦ - في البنفس ومعادنه واختلاف ألوانه ، ٧ - في السجادي وعلة تكوئنه
 في معدنه ، ٨ - في الألماس وعلة تكوئنه في معدنه وجيده وورديه ،
 ٩ - في عين الحر وعلة تكوئنه ، ١٠ - في البازهر وعلة تكوئنه في معدنه ،
 ١١ - في الفيروزج وأصل تكوئنه في معدنه ، ١٢ - في العقيق ،
 ١٣ - في الجزع ، ١٤ - في المقاطيس ، ١٥ - في السبازج ، ١٦ - في
 الدمنج ، ١٧ - في اللازورد ، ١٨ - في المرجان ، ١٩ - في السبج ،
 ٢٠ - في الجشت ، ٢١ - في الخنمان ويعرف بالمندل الحديدي ، ٢٢ - في
 البشم ، ٢٣ - في البشب ، ٢٤ - في البثور ، ٢٥ - في الطلق .

هذه هي العبارات التي فصل الكلام عليها في هذا الكتاب . وقد اختصرنا
 من العبارات التي استعملها المؤلف عند تقديمه أبواب كتابه .

وبعد ذلك يشرح لنا المنهج الذي ارتضاه لمعالجة موضوعه فيقول :
 « وسبيلنا أن نتكلم على كل واحد من هذه الأشجار المعدودة من خمسة أوجه :
 الوجه الأول : على تكوئنه في معدنه . والثاني في ذكر معدنه الذي يتكون فيه .
 والثالث في جيده وورديه وخالصة ومنشوشه . والرابع في ذكر خواصه ومنافعه .
 والخامس في ذكر قيمته وثمنه على أوسط الأمور وأغلب الأحوال ، فيكون
 هذا الكتاب بذلك زائداً على الكتب الموضوعة في هذا الفن من عدة وجوه ؛
 إذ الكتب الموضوعة إما أن تذكر فيها منافع الأشجار ككتب الجواهر ، وإما أن
 تذكر فيها علة تكوئنه ككتب المعادن ، وإما أن تذكر الأمور
 جميعاً ولا تتعرض لذكر قيمتها وأثمانها . فلأجل ذلك كان هذا الكتاب أهم
 فائدة ، وأجدي عائدة ، من سائر الكتب الموضوعة في هذا الفن والله ولي
 التوفيق وبه الإحاطة » .

وقد أخلص المؤلف لنهجه هذا فتناول معلومات عصره بالجمع والترتيب والشرح ؛ ولكنه زاد على ذلك شيئاً آخر وهو التجربة الشخصية والاستخبار والاستعلام ، فيختبر تارة ، ويسأل أهل المعرفة تارة أخرى ، ويضم ذلك إلى ما وجدته في كتب الأقدمين ، من أرسطو ، إلى الكندي ، إلى المسعودي ، إلى غيرهم من المؤلفين اليونان والمسلمين ، شرقيين وأندلسيين .

وكثيراً ما نجد بقوله : « وما جربته ، واختبرته ، ووقفت عليه بالعمل ؛ وأخبرني من دخل جزيرة سرنديب (سيلان) . . . وقد رأيت بسوق القاهرة حجارة تباع على أنها الياقوت أزرق وأصفر وهي مصبوغة مداسة كانت أصلها ياقوتاً أبيض » .

ونجد عند ذكر الزمرد يذكر عيوبه وخواصه . ومن جملة هذه الخواص أن بعض أنواعه إذا نظرت إليه الأفاعي انفتحت عينها !

ولا يكتفي بذكر هذه الخواص التي رآها في كتب الأقدمين ، بل إنه جربها عملياً فاستأجر حارباً على صيد أفعى وجعلها في طست وأدنى قطعة الزمرد من عينها فسمع فرقة خفيفة ! ثم رأى عيني الأفعى وقد برزت على وجهها ! وبذلك أرضى حاسة استطلاعها وتجربته ، وخرج من الشك إلى اليقين في هذه الخواص العجيبة !

والتيفاشي في سبيل الحصول على معلومات دقيقة في موضوعه الذي اختاره لهذا الكتاب ينقل عن الجوهريين والصيادين والرحالين والتجار والأمرء وأمناء قصور الملوك عن لا يشك في معرفتهم وتجربتهم وصدقهم :

فهذا تاجر أندلسي يصادفه في سوق الجوهريين بالاسكندرية ؛ وهذه حجارة من معدن البادرزهر يجدها في تخوم أرمينية ؛ وهذا جوهري من بلاد الفرس

وذلك من الصين أو الهند لا يدعهم المؤلف دون أن يأخذ ما عندهم من أخبار الجواهر وأمثانها ومطانيها . ويربط ذلك كله بما درسه في الكتب أو سمعه من شيوخ الصناعة . وبذلك كانت كتبه غزير المادة العلمية لمن أراد هذا التفرع من البحث في تاريخ الحضارة الإسلامية .

والتيغاشي في كتابه الذي بين أيدينا وإن كان يبدو أكثر دقة وبحوثاً وإحاطة بموضوعه ، فإنه يمثل عصره . أصدق تمثيل في الخلط بين الصيدلة والطب وعلم المعادن ، كما يمثل أهل طبقتهم في الجمع بين الروحانيات والماديات والحقائق والأساطير . ونحن على يقين أن العقلية التي كانت مسيطرة على رجال كثير من العلوم والفنون في العصور الوسطى هي العقلية التي يمكننا أن نسميها عقلية البحث عن الغرائب والعجائب ، ونجدها عند بعض الجغرافيين والرحالين والمؤرخين ، كما نجدها عند الباحثين في الأعشاب والعقاقير والمعادن .

ورغم هذه العقلية التي كانت مسيطرة فإن التيغاشي فيما يبدو كان أكثر تحفظاً وأكثر إيماناً في أخذ المعرفة عن طريق التجربة . وكتابه أقل الكتب التي رأيناها خرافات وأساطير . والمقارنة بينه وبين غيره من الكتب المؤلفة في نفس الموضوع أو ما يقرب منه ترينا الفروق الواضحة بين من ينقل من الكتب ويسمع من الأقوال من دون انتقاد ولا تجربة ، وبين من يحاول الوصول إلى الحقيقة عن طريق التحريص والاختبار الممكنين في ذلك العصر .

والذي يظهر من دراسة كتاب «أزهار الأفكار» أن التيغاشي كان يزاول مهنة «الجوهريّة» بالفعل ، وكان قائماً بنفسه على معالجة الجواهر بالنار وأصناف العقاقير التي تؤثر في ألوانها وأوصافها وخواصها وجودتها وريادتها ، وكان يملك منها عدة أنواع ، ويضرب في الأرض طولاً وعرضاً لاقتنائها ثم عرضها على الملوك والأمراء والوزراء من أجل نيل حظوة ومال .

وقد قدم لنا في المنهج الذي ارتضاه لكتابه أنه سوف يعتني بذكر قيمة الأحجار وثمنها في الأسواق ولا يتأتى هذا إلا للجوهري محترف مطلع على ما يروج في الأسواق المختلفة .

وقد أفادنا المؤلف بذلك فائدة غير مباشرة وهي أنه عرض علينا عدداً من السكك الرائجة في عصره في كل من الهند وفارس ومصر والعراق والمغرب ، عندما كان 'بقوريم' الأحجار بقيمتها الحقيقية في كل من هذه الأقطار وبذلك أعطانا سُلماً ودليلاً للتحويل والصرف في ذلك العصر ؛ وبذلك تأكد لنا ما نعرفه سلفاً من الاختلاف الذي كان في السكك والموازين والمكاييل ووحدات المساحة في الأعصار والأعمار ، وكذلك في العصر الواحد ، والعصر الواحد .

بعد هذا نسعرض مثالين من كلام التيفاشي لتدعيم هذه النتائج التي استنتجناها من الكتاب ، نقتل أولاً ما كتبه عن اللازورد حيث يقول :

معدنه : الذي يتكون فيه اللازورد يجلب من خراسان ، من جبل بطخريستان في موضع يسمى حستان من أرض فارس قريب من ناحية ارمينية (كذا) .
جيده ورديته : اللازورد حجر طيفي . وأجوده أشده وأصفاه لوناً السماوي المستوي الصبغ إلى الكحلية .

خواصه في نفسه : منها إذا جمع إلى حجر الذهب ازداد كل واحد منهما حسناً إلى صاحبه في أعين الناظرين وإن كانا لا يستحيلان عن كيانها ولا يزدادان ولا ينقصان إلا أنهما يحسن كل واحد منهما لون صاحبه في العيون كأنهما شكلان متفقان . . ومنها أنه إذا وضعت قطعة منه في حجر ليس له دخان خرج لسان الحجر من النار منصيفاً بصيفه ، وبهذا يختبر خالصه من مغشوشه .

ثم يذكر الطريقة التجريدية التي كانت مستعملة في عصره لاستخراج صبغ اللازورد من معدنه . . بأدواتها وعقاقيرها وأسرارها ! ويعقب على ذلك قائلاً .
« . . ولم أنقله من كتاب بل هو من جملة ما وقفت عليه بالتجربة من صحيح كتبنا في الأعمال الصناعية » .

هذا مثال أول من المعلومات التي قدمها التيفاشي في كتابه وهذه طريقته .
ولنقدم مثالا ثانيا بما كتبه عن معدن الزمرد :

« موضع الزمرد الذي يؤتى منه من بلاد مصر والسودان خلف أسوان يوجد في جبل هناك تمتد كالجسر ، فيه معادن تحفر فيخرج منها الزمرد قطعاً صفاراً كالخصى منبثة في تراب المعدن وأخبرني رأس المؤتمنين بمصر المكلف من قبل السلطان بهذا المعدن أن أول ما يظهر من معدن الزمرد شيء يسمونه الطلق^(١) وهي حجارة سوداء إذا أحمر عليها في النار أخرجت مرقشباشا^(٢) ذهبية . قال ثم تحفر فتجد طلقاً هشاً فيه الزمرد في تربة حمراء لينة مشتملة عليه . . » .
وهكذا يستمر التيفاشي يشرح لنا معلوماته الدقيقة عن خمسة وعشرين نوعاً من أنواع الأحجار الكريمة التي كانت مشهورة في عصره ، متنبهاً منهاجه الدقيق في الترقيب والتبويب .

ولا نودع صاحبنا دون أن نشير إلى نقطتين اثنتين :

١ - لغة التيفاشي ذات اصطلاحات فنية دقيقة ، وفي سبيل الدقة الفنية يشتمل أوصافاً ونوعاً خاصة لا نجد لها في كتب اللغة المتداولة .
فيقول عن بعض الأنواع : إن فيها « ذكراً » و « أنثى » ، وهو يعني الرديء والجيد ؛ كما يقول في بعض الألوان هذا « مغلوق » وهذا « مفتوح » ، يعني

(١) ما زال هذا الاسم عند الأوربيين هكذا Talc .

(٢) حجر النار .

شديداً وخفيفاً ، وله استعمالات لغوية جديدة بأن تكون رائد المهتمين بنقل الاصطلاحات الفنية من اللغات الأجنبية إلى لغة الضاد .

٢- عرف الاستشراق أهمية كتاب أزهار الأفكار فطبع أولاً بعناية « رآو » الهولندي سنة ١٧٨٤ م مع ترجمة لابتية . ثم طبع مع ترجمة إيطالية سنة ١٨١٨ م . . .

وكل من الطبعتين الآن أندر من الكبريت الأحمر . فعسى أن تكون كلتنا هاته باعثاً على إعادة النظر في مخطوطاته المتعددة وطبعها طبعة عربية سليمة^(١) .

فاس : (المغرب الأقصى)
عبد القادر زمامة



(١) تراجع الأسماء الفرنسية للأحجار الكريمة وما يقابلها من الأسماء العربية في كتاب « منتخب النخائر في أحوال الجواهر » لابن الألفاني ، حققه الأب أنستاس ماري الكرملي وطبعه في المطبعة المصرية لصاحبها الياس انطون الياس في القاهرة سنة ١٩٣٩ وتراجع ملاحظات الدكتور الجلي على تحقيق الكرملي ، في هذه المجلة ج ١٩ ص ٢٤٥ و ٣٤٣ ، وتراجع مادة Pierre Précieuse في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي « الطبعة الثانية » في مطبعة مصر بالقاهرة سنة ١٩٥٣ .

(لجنة المجلة)

الاصطلاحات الفلسفية

- ١٨ -

الحاجة

Besoin في الفرنسية

Want, need في الانكليزية

الحاجة هي أن يكون الموجود على حال يفتقر فيها إلى ما هو ضروري لبلوغه غاية ما ، سواء أكانت تلك الغاية داخلية أم خارجية ، معلومة لديه أم مجهولة .
مثال ذلك : حاجة الحيوان إلى الحركة ، وحاجة النبات إلى الماء . وإذا كانت الغاية المراد بلوغها ذاتية دلّت الحاجة على ما يفتقر إليه الموجود من الوسائل الضرورية لبقائه ونموه ، سواء أكان حاصلًا عليها بالفعل ، كما في حاجة السمك إلى الماء ، أم كان غير حاصل عليها بالفعل ، كما في حاجة الفقير إلى المال .
أما في علم النفس فيطلق لفظ الحاجة على الشعور بالألم الناشئ عن الحرمان . وهذا الشعور مصحوب في أكثر الأحيان بتصور الغاية المقصودة وتصور الوسائل المؤدية إليها .

ويجمع لفظ الحاجة على حاجات وحوائج ، مثل الحوائج اللازمة لبقاء الإنسان من غذاء وملبس ومسكن وغيرها ، كما في الحديث الشريف : « إن لله عبادًا خلقهم لحوائج الناس ، يفزع الناس إليهم في حوائجهم . . الخ » وكما في قول ابن خلدون : « إن المصر الكثير العمران يختص بالغلاء في أسواقه وأسعار حاجاته » (المقدمة ،

فصل في أن الحضارة غاية العمران ونهاية عمره ، وانها مؤذنة بفساده ، ص ٢٠٣) .
وفرقوا بين الضرورة والحاجة والرغبة فقالوا :

الضرورة قانون طبيعي كاضطرار الحيوان إلى الغذاء ، فإن حياته لا تدوم إلا به .
أما الحاجة فهي ظاهرة نفسية ، لأن حاجة الإنسان إلى الغذاء هي شعوره بضرورته ، وتتألف الحاجة من عنصرين يمكن فصلهما أو توحيدهما ، وهما : (١) الألم الناشئ عن الشعور بالحرمان ، كالجوع والعطش ، فإنها إحساسان مؤلمان ناشئان عن ضرورة الغذاء للبدن . (٢) الميل إلى الفعل المزيل لذلك الألم . ومعنى ذلك ان الإنسان قد يشعر بالحاجة إلى الطعام من غير أن يريد ، وقد يقبل عليه من غير أن يكون مضطراً أو محتاجاً إليه .

وأما الرغبة فهي نتيجة تصور وحكم ، مثال ذلك ان قوام الرغبة في الأكل تصور الحاجة إليه ، والحكم بأن هذا الشيء وهذا الفعل صالحان لإرضاء تلك الحاجة .
وفرقوا أيضاً بين الحاجة والشهوة أو النزوع بقولهم : ان النبات في حاجة إلى الماء ، ويعتقون بذلك ان الماء ضروري له . أما الشهوة فصحوبة بألم الحرمان ، فلو شعر النبات بالحرمان لكانت حاجته إلى الماء شهوة ، وكذلك النزوع أو الميل إلى الشيء فهو مبدأ حركة ، ونعني بذلك انه قوة تحول القوى المضادة لها دون قيامها بعملها ، وإرادة متوقفة عن الفعل لعدم حصولها على الوسائل اللازمة لتنفيذه .
وعلى ذلك فالحاجة والشهوة والميل ظواهر نفسية انفعالية ، إذا انضم إليها تصور الشيء أصبحت رغبات . قال (مين دوبران) : ان اشتهاه الحيوان ما لا يعلم حاجة ، أما ميل الإنسان إلى ما يعلم فرغبة . ولارغبة في نظره ثلاثة شروط وهي :
(١) الانفعال أو الحاجة الى الشيء . (٢) التصور المبهم لموضوع تلك الحاجة .
(٣) الاعتقاد التابع لذلك التصور .

الحادث

Factum	في اللاتينية
Fait	في الفرنسية
Fact	في الانكليزية

الحادث هو الواقع ، وحدث أمر أي وقع . وكل حادث فهو على وجهين : أحدهما هو الذي لذاته مبدأ في به موجودة ، والآخر هو الذي لزمانه ابتداء ، وهو في كلا الحالتين أمر مسلم به متحقق في الأزمان أو الأعيان . والفرق بين الحادث والشيء أن الشيء حقيقة ثابتة ، مؤلفة من الصفات الموجودة في المكان ، على حين أن الحادث حقيقة متحركة منسوبة إلى الزمان ، مثال ذلك أن التفاحة شيء ، أما سقوطها إلى الأرض فحادث . ولكن الفيلسوف يستطيع أن يجمع بين الشيء والحادث في تصور واحد ، فيجعل الحادث شيئاً ويتصوره ثابتاً مستقلاً عن التابع الزماني ، ويجعل الشيء حادثاً ويتصوره متبدلاً وشغيراً .

والحادث أعم من الظاهرة (Phénomène) ، لأن الظاهرة تدل على ما يمكنك رؤيته أو ملاحظته ، على حين أن الحادث يدل على ما يُرى وما لا يُرى . وله محل في الزمان (كالحادث النفسي) ، أو في الزمان والمكان معاً (كالحادث الفيزيائي) . أما الواقعة فهي الحادث الذي يكون وجوده الزماني أكثر خطورة من وجوده المكاني (كالواقعة التاريخية) .

والواقعي ضد الوهمي والخيالي من جهة ، وضد الضروري من جهة أخرى ، لأن المراد بالضرورة ما أوجبه العقل . مثال ذلك قول لينتيز : « حقائق القياس ضرورية وضدها ممتنع » أما حقائق الواقع فحائزة « (المنادرولوجيا ، الفقرة ٣٣) .

والحادث أو الواقع ضد الحق والواجب ، وأكثر استعمال هذا المعنى في المسائل الشرعية .

والحادث عند فلاسفة العرب هو ما يكون مسبوقاً بالعدم ، ويسمى حادثاً زمانياً . وفرقوا بين الحدوث الزماني والحدوث الذاتي فقالوا : الحدوث الزماني هو كون الشيء مسبوقاً بالعدم سبقاً زمانياً ، أما الحدوث الذاتي فهو كون الشيء مفتقراً في وجوده إلى انغير (تعريفات الجرجاني) . ومنهم من فرق بين الحادث والحدث فقال : الحادث هو القائم بذاته ، والحدث هو ما لا يقوم بذاته .

الحاصل

Quotiens في اللاتينية

Quotient في الفرنسية

Quotient في الانكليزية

الحاصل اسم الفاعل من الحصول ، ويطلق في علم الحساب على ما يحصل بعمل من الأعمال الحسابية من الجمع والطرح والضرب والقسمة . وحاصل القسمة يسمى الخارج من القسمة . يقال هذا حاصل المال ، أي باقية بعد الحساب . وحاصل الموضوع خلاصته ، والحاصل ما خُص من القصة ونحوها من المعادن .

والحاصل العقلي في علم النفس هو نسبة العمر العقلي إلى العمر الحقيقي ، فإذا كان عمر الطفل عشر سنوات ، وكان عمره العقلي اثني عشرة سنة كانت حاصله العقلي $\frac{12}{10}$ أي ١.٢٠ . وإذا كان عمره الحقيقي ١٢ سنة وعمره العقلي ١٠ كان حاصله العقلي $\frac{10}{12}$ أي ٠.٨٣ . وإذا اعتبرنا متوسط الذكاء ١٠٠ كان الحاصل العقلي في الحالة الأولى ١٢٠ وفي الحالة الثانية ٨٣ . وعلى ذلك فالحاصل العقلي عند المعتوه أقل من ٢٠ وعند الأبله أكثر من ٢٠ وأقل من ٣٠ .

والحاصل عند ابن سينا مرادف للموجود - قال : « لا فرق بين الحاصل والموجود »
 (الشفاء ٢ ، ٢٩٦) . وقال أيضاً : « إذا حصل بدنان حصل في البدنين نقصان »
 (النجاة من ٣٠١) ، فمعنى الحاصل عنده اذن الموجود الذي انتقل من القوة
 إلى الفعل ، وهو مضاف للممكن أي لما يمكن أن يحصل في المستقبل .

الحاضر

Praesens في اللاتينية

Présent في الفرنسية

Present في الانكليزية

حضر الغائب حضوراً قدم ، وحضر الشيء أو الأمر حلّ وقته فهو حاضر .
 والحاضر إما أن يكون صفة ، أو يكون اسماً .
 فإذا كان صفة دلّ على المعاني الآتية :

- ١ - الحاضر هو الحاصل في الزمن ، تقول المعنى الحاضر بالذهن أي الحاصل فيه .
- ٢ - الحاضر هو السريع ، تقول فلان حاضر البديهة ، أي سريع الخاطر .
 كما في قول (ديكارت) : كثيراً ما تميت أن تكون لي ذاكرة حاضرة .
- ٣ - الحاضر هو الموجود في الزمان ؛ مثال ذلك قولنا : الفلسفة تنحصر على
 الآلام الماضية والآتية ، ولكنها قلما تنحصر على الآلام الحاضرة .
- ٤ - الحاضر هو الموجود في المكان ، تقول : الحاضر بالمجلس أو الحاضر بالدار .
 وإذا كان اسماً دل على المعنيين الآتيين :

- ١ - الحاضر هو الزمان الواقع بين الماضي والمستقبل ، ويسمى حالاً وهو
 نهاية الماضي وبداية للمستقبل ، فكل ما هو متأخر عن اللحظة الحاضرة مستقبلي ،

وكل ما هو متقدم عليها ماضٍ ، ومن قيل ذلك قول لينتز : الحاضر مثقل بالماضي ويمتلئ من المستقبل .

٢ - الحاضر أحد أزمنة الفعل كالمضارع فهو يدل على الحاضر والمستقبل ، وقد سمي مضارعاً لمشايعته الأسماء فيما يلحقه من الإعراب . فإذا قلت إن الأستاذ يشرح الدرس تعين ذلك للزمان الحاضر ، وإذا قلت كل عدد يقسم عددين فهو يقسم مجموعهما دل ذلك على فعل مستقل عن الزمان .

والحضور (Présence) تقيض الغيب والغيبة ، تقول : حضره الأمر خطر بباله ، ومنه حضور المعاني بالذهن .

والحضور الحضرة ، تقول : كئنه بحضرة فلان . والحضرة أيضاً قرب الشيء يقال كنت بحضرة الدار ، ومنه الحضرات الإلهية عند الصوفيين ، كحضرة الغيب المطلق ، وحضرة الشهادة المطلقة ، وحضرة الغيب المضاف ، والحضرة الجامعة (راجع معاني هذه الألفاظ في تعريفات الجرجاني) .

والحضورية (Présentationnisme) مذهب من يرى أن النفس تدرك بعض صفات المادة ادراكاً مباشراً على ما هي عليه في الخارج . ومعنى الحضورية هنا كون المعاني الخارجية موجودة في الذهن .

والحضور الكلي (Omniprésence) صفة لله تعالى ، ومعناها أنه جل جلاله حاضر بكل مكان .

والحاضر الأبدى (L'eternel présent) عند الفيلسوف (لافل) هو الدوام الذي تتألف منه حقيقة الزمان . (راجع لافل : جدل الحاضر الأبدى (Louis lavelle, Dialectique de l'éternel présent)

الحال

Status	في اللاتينية
État	في الفرنسية
State	في الإنكليزية

حال الشيء سفته وهيئته ، وحال الدهر صرفه ، وحال الإنسان ما كان عليه من خير أو شر ، وما يختص به من الأمور المتغيرة حسية كانت أو معنوية .
ولفظ الحال يذكر ويؤنث ، وهو ولفظ الحالة بمعنى واحد ، إلا أن الأول ينحى عن الإيهام فيناسب الإجمال ، والثاني يدل على الأفراد فيناسب التفصيل .
ويطلق الحال على معانٍ متقاربة ، كالكيفية والمقام والهيئة والصفة والصورة ، فإذا دلّ على كيفية معينة كان من شأن هذه الكيفية أن تزول بظهور ما يعقبها ، فإذا دامت وصارت ملكاً سميت مقاماً . لذلك قال المناطقة : الحال كيفية مريضة الزوال مثل الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة العارضة . قال ابن سينا : « بالفصول ينقسم الشيء إلى أنواعه ، وبالأعراض ينقسم إلى اختلاف حالاته » .
(النجاة ٣٢٣) .

وإذا أطلق لفظ الحال على الهيئة النفسانية دلّ عليها أول زمان حدوثها قبل أن ترتسخ ، فإذا ارتسخت سميت ملكة . قال ابن سينا : « فما كان منها ثابتاً سمي ملكة مثل العلم والصحة ، وما كان سريع الزوال سمي حالاً مثل غضب الحكيم » (النجاة ١٢٨) .

والفرق بين الملكة والصفة أن الملكة تدل على المعاني الراضخة أي الثابتة الدائمة ، على حين أن الصفة أعم منها ، لأنها تطلق أيضاً على ما هو في حكم الحركات كالصوم والصلاة وغيرها .

والحال عند الفلاسفة القدماء أعم من الصورة لصدق الحال عندهم على العرض أيضاً ، أما الصورة فلا تصدق إلا على الجوهر .

ويطلق الحال في اصطلاح التكمين على ما هو وسط بين الموجود والمعدوم ، وهو صفة لا موجودة ولا معدومة ، لكنها قائمة بوجوده ، كالعالمية وهي النسبة بين العالم والمعلوم . والحال في اصطلاح السالكين هو ما يرد على القلب من طرب أو حزن ، أو بسط أو قبض . فالأحوال مواهب والمقامات مكاسب ، الأولى تأتي من عين الجود ، والثانية تحصل بئذ المجهود .

والحالة الشعورية Etat de conscience في اصطلاح المحدثين هي الحادث النفسي الشعوري ، كالأحاساس والعاطفة والإرادة . أما الحالة النفسية فهي الكيفية التي تكون عليها النفس في وقت معين .

والحالة الطبيعية (Etat de nature) هي الصفة التي يكون عليها الناس في مقام البداوة ، أو هي الحال التي يكون عليها الفرد قبل تربيته وتعليمه ، ومنه تشبيه الطفل بالإنسان الابتدائي .

ويطلق (غروسبيوس) و (وهوبس) اصطلاح الحالة الطبيعية على حال الإنسان قبل التنظيم الاجتماعي ، أو على الحال التي يؤول إليها أمر المجتمع إذا أهمل تربية أفرادهم ، وتهاون في وضع قوانينه ، وتراخي في إقامة نظام حكمه على قواعد ثابتة .

الحب

Amor في اللاتينية

Amour في الفرنسية

Love في الإنكليزية

الحب تقيض البغض وهو الوداد والمحبة ، والميل إلى الشيء السار ، والغرض منه إرضاء الحاجات المادية أو الروحية ، وهو مترتب على تخيل كمال في الشيء السار

أو النافع يفضي إلى انجذاب الإرادة إليه ، كحبة العاشق لمعشوقه ، والوالد لولده ، والصديق لصديقه ، والمواطن لوطنه ، والعامل لمهنته . وقد يكون الحب ناشئاً عن عامل غريزي ، أو عامل كسبي ، أو عامل انفعالي مصحوب بالإرادة ، أو عامل إرادي مصحوب بالتصور . وهو على كل حال لا يتخلو من التخيل . وأظهر أشكاله الحب الجنسي ، وله درجات مختلفة أولها الموافقة ، ثم الموانسة ، ثم المودة ، ثم الهوى ، ثم الشغف ، ثم التيم ، ثم الوله ، ثم العشق .

وإذا دلّ الحب على معنى مضاد للأثانية كان الغرض منه : إما جذب المنفعة إلى الغير كحبة الرحيم للبائس ، ومحبة الأمتاذ للتلميذ ، وإما إنكار الذات والتجرد من المنفعة ، والانجذاب إلى القيم المثالية ، كحبة العالم للحقيقة ، والشاعر للجمال ، والكريم للعدل . قال تولستوي : أساس المحبة الحقيقية الزهد في النفع الشخصي ، فإذا زهد الإنسان في الأشياء المادية ارتقى إلى مرتبة من المحبة الروحانية مبنية على تصور الكمال المطلق ، وهي محبة الله ، أعني محبة الله لذاته لا لثوابه وإحسانه . وكما كانت اطلاع الإنسان على دقائق حكمة الله أكمل كان حبه له أتم .

والفرق بين الحب والرغبة أن الرغبة حالة آنية ، على حين أن الحب نزوع دائم يتجلى في رغبات متتالية ومتناوبة .

وفرّقوا في الحب بين الأخذ والعطاء ، فقالوا : إذا ظن المحب أن محبوبه ملك له لا يشاركه فيه أحد كان حبه أخذاً واستئثاراً ، كحبة الطفل لوالدته . وإذا وهب المحب نفسه للمحبيب كان حبه عطاءً ، والعطاء أسمى من الأخذ .

وفرّقوا أيضاً بين الحب الشهواني (Amour de concupiscence) والحب العذري أو الحب الأفلاطوني (Amour platonique) ، فقالوا الحب الشهواني أناني غايته ارضاء رغائب المحب وآربه وشهواته . والحب العذري حب محض مجرد من

الشهوة والمنفعة ، وله درجتان : درجة الرضا واللفظ ، ودرجة الاحسان والرحمة .
أما حب الرضا واللفظ (Amour de Complaisance) فمترتب على رضا
الحب وفرحه بكمال المحبوب وخيره وسعادته ، فهو اذن حب خالص مجرد من المنفعة
كمحبة الله لذاته . وهذا الحب هو الوجه الانفعالي لتجلي الرحمة الالهية في الحياة
الانسانية . وأما حب الاحسان فمترتب على إرادة الحب لخير المحبوب ، كمحبة
الإنسان للإنسان من حيث هو انسان .

ويطلق اصطلاح حب الذات (Amour propre) عند الفلاسفة المحدثين على
معنيين : الأول هو حب الإنسان لنفسه ، وهو مرادف للأنانية (Égoïsme)
والثاني عزّة النفس ، وهي مرادفة للأتفة والاباء والكرامة والشهامة . ولها نتيجتان :
الأولى رغبتنا في العمل انصالح الموجب لاستحقاق المدح والتكريم والحظوة بالمكانة
عند الناس ، والثانية سرعة تأثرنا برأي الناس فينا .

الحبسة (أو فقد النطق)

Aphasie

في الفرنسية

Aphasia

في الانكليزية

وهو مشتق من اللفظ اليوناني (Aphasia)

الحبسة تعذر الكلام أو ثقل في اللسان يمنع من الإبانة ، وعند الربيين من
فلاسفة اليونان : التوقف عن كل حكم أو زعم ، وعند المحدثين من علماء النفس :
فقد القدرة على الكلام جزئياً أو كلياً . ومعنى هذا اللفظ في اللغة الانكليزية فقد
القدرة على الكلام أو فقد القدرة على الكتابة ، أو تعذر فهم الألفاظ ، أو تعذر
قراءتها أو استعمالها . أما في اللغة العربية فيدل على تعذر الكلام لا غير .

ومن عادة علماء النفس أن يقسموا الحسية قسمين : الحسية الحركية (Aphasie motrice) ، والحسية الحسية (Aphasie sensorielle) ، وهم يسمون فقدان القدرة على فهم الكلام بالصمم النطقي أو اللفظي (Surdité verbale) ، وتعذر القراءة بالعمى النطقي أو اللفظي (Cécité verbale) . ومن أنواع الحسية أيضاً حسية اللحن (Aphasie d'intonation) ، وهي فقد غنة الكلام ، والحسية البصرية (Aphasie optique) ، وهي فقد القدرة على تسمية الأشياء المرئية بأسمائها ، والحسية اللمسية (Aphasie tactile) ، وهي فقد القدرة على تسمية الأشياء الملموسة بأسمائها .

الاحتمية

في الفرنسية Déterminisme

في الانكليزية Determinism

حتم بكذا حتماً قضى وحكم ، وحتم الله الأمر قضاء ، وحتم الأمر أحكمه ، وحتم عليه الأمر أوجبه . فالحتم القضاء ، أو إيجاب القضاء (ابن سيده) أو اللزم الواجب الذي لا بد من فعله ، وفي التثزيل الحكيم : كان على ربك حتماً مقضياً . والاحتمى هو المنسوب إلى الحتم ومنه الاحتمية (Déterminisme) ، وهي اصطلاح فلسفي حديث يدل على المعاني الآتية :

١ - الاحتمية بالمعنى الشخصى هي القول ان كل ظاهرة من ظواهر الطبيعة مقيدة بشروط توجب حدوثها اضطراراً ، أو هي مجموع الشروط الضرورية لحدوث ظاهرة معينة ، أو هي القول بوجود علاقات ضرورية ثابتة في الطبيعة توجب أن تكون كل ظاهرة من ظواهرها مشروطة بما يتقدمها أو يصحبها من الظواهر الأخرى . ومعنى ذلك أن القول بالاحتمية ضروري

لنعم نتأج الاستقراء العلمي ، فلو لا اعتقادنا ان ظواهر الطبيعة تجري على نظام كلي دائم لما استطعنا أن نعمم نتائج الاستقراء . ولا أن نمحكم على البعيد بما نمحكم به على القريب ، حتى لقد قال (كلود برنارد) في المدخل إلى الطب التجريبي : ان مبدأ الحتمية ضروري لعلوم الأحياء كما هو ضروري لعلوم الفيزياء والكيمياء ، وقال أيضاً : إذا عرف الطبيب المحرب حتمية المرض (أعني أسبابه القريبة) استطاع أن يؤثر فيه تأثيراً متتابعاً .

٢- والحتمية بالمعنى المجرد هي أن يكون للحوادث نظام معقول تترتب فيه العناصر على صورة يكون كل منها متعلقاً بغيره ، حتى إذا عرف ارتباط كل عنصر بغيره من العناصر أمكن التنبؤ به أو احداثه أو رفعه (لالاند) قال (كلود برنارد) : ان النقد التجريبي يضع كل شيء موضع الشك ، إلا الحتمية العلمية ، فإنه لا مجال للشك فيها أبداً . وقال (بئتلغه) : إذا تحققت الشروط نفسها في زمانين أو مكانين مختلفين حدثت الظواهر نفسها مجدداً في زمان ومكان جديدين . ومعنى ذلك ان الحتمية الطبيعية لا تختلف عن الحتمية الهندسية أو الحتمية الميكانيكية لأن هذين العلمين (أعني الهندسة والميكانيكا) يجردان المكان والزمان من الواحى الحسية والتغيرات الجزئية ، ويرتقيان إلى أحكام كلية وقضايا عقلية عامة . وإذا كان العلم الطبيعي ينحو معنى الرياضيات في هذا التجريد العقلي فرد ذلك إلى أن المعقولة الرياضية والمعقولة الفيزيائية شيء واحد .

٣- والحتمية بالمعنى الفلسفي مذهب من يرى ان جميع حوادث العالم ، وبخاصة أفعال الإنسان ، مرتبطة بعضها ببعض ارتباطاً محكماً . فإذا كانت الأشياء على حالة ما في لحظة معينة من الزمان لم يكن لها في اللحظات السابقة أو اللاحقة إلا حالة واحدة تلائم حالتها في تلك اللحظة المعينة . وأصحاب هذا المذهب يرون

ان لهذا العالم نظاماً كلياً دائماً لا يشذ عنه في الزمان والمكان شيء . وان كل شيء فيه ضروري ، وانه من الحال أن يكون إطراد الأشياء ناشئاً عن انصافه والاتفاق ، بل الطبيعة في نظرم مبرأة من كل إمكان خاص وجواز عام ، ليس فيها ابتداء مطلق ، ولا علة أولى ، ولا طفرة ، ولا معجزة .

٤ — والفرق بين الحتمية والجبرية أن ضرورة حدوث الأشياء عند الجبريين ضرورة متعالية متعلقة بمبدأ أعلى منها يسيرها كما يشاء ، وهو قضاء الله وأمره ، على حين أن هذه الضرورة في نظر الحتميين كامنة في الأشياء ، سارية فيها ، وهي الطبيعة بعينها .

٥ — وإذا كان بعض الفلاسفة الحتميين يثبتون الحرية الإنسانية ، فرد ذلك إلى محاولتهم التوفيق بين حتمية الحوادث النفسية وتلقائية الوجود العاقل ، ولكن اطلاق اسم الحرية على هذا النوع من التلقائية أو الطوعية لا يخلو من الالتباس ، ذلك لأن الحرية تقال في نظرنا على وجهين : أحدهما سلبى ، والآخر ايجابى ، فإذا دلت على المعنى السلبى ، أعني اللاتقييد واللاتعين واللاضرورة ، كانت انكاراً للحتمية ، وكذلك إذا دلت على المعنى الايجابى ، أعني قدرة الإنسان على خلق أفعاله بنفسه . وإذا كان بعض العلماء المعاصرين يحملون على الحتمية المطلقة حملة شعواء ، ويزعمون أن قوانين العلم نسبية أو اصطلاحية ، فرد ذلك إلى اعتقادهم ان في الطبيعة مجموعات من القوى تستطيع أن تولد بامتزاجها حركات متساوية الامكان لا ترجيح لاحداها على الأخرى ، ويسمون هذه المجموعات مراكز عدم التعين . وإذا صح مذهب الاحتمية الذي تنفي اليه نظرية الميكانيكا الموجية ونظرية (الكوانتا) الجديدة أمكن القول بالحرية .

الحد

Definitio في اللاتينية

Définition في الفرنسية

Definition في الانكليزية

الحد في اللغة المنع والفصل بين الشيئين ، ومتعنى كل شيء حده (Limite) .
والحد أيضاً تأديب المذنب وجمعه حدود ، ومنه أقمت عليه الحد ، وحدود الله تعالى
الأشياء التي بين تحريمها وتحليلها .

والحد أيضاً النهاية التي ينتهي إليها تمام المعنى ، وما يوصل إليه التصور المطلوب .
وحدة الشيء الوصف المحيط بمعناه المميز له من غيره .

والحد في اصطلاح الفلاسفة هو القول الدال على ماهية الشيء ، وهو تعريف
كامل أو تحليل تام لمفهوم اللفظ المراد تعريفه ، كتعريف الإنسان بالحيوان الناطق .
أما الرسم أو الوصف (Description) فهو تعريف الشيء بصفاته العرضية اللازمة
المميزة له من غيره ، كتعريف الإنسان بالضحك الخ . .

وينقسم الحد إلى تام وناقص . فالتام هو ما يتركب من الجنس والفصل
القريبين ، كتعريف الإنسان بالحيوان الناطق . والناقص هو ما يكون بالفصل
القريب وحده ، أو به وبالجنس البعيد ، كتعريف الإنسان بالجسم الناطق . ومن
شرط الحد التام أن يكون جامعاً مانعاً ، أي يجمع المحدود ويمنع غيره من الدخول
فيه ، ومن شرطه أيضاً أن يكون مطرداً ومنعكساً . ومعنى الاطراد انه متى
وجد الحد وجد المحدود ، ومعنى الانعكاس انه إذا عدم الحد عدم المحدود .
ولو لم يكن مطرداً لا كان مانعاً ، ولو لم يكن منعكساً لا كان جامعاً . وعلامة

استقامته دخول كلمة كل في الطرفين جميعاً ، كما يقال في تحديد الإنسان : كل إنسان فهو حيوان ناطق ، وكل حيوان ناطق فهو إنسان .

وينقسم الحد بنوع آخر من القسمة إلى حد بحسب الاسم ، ويسمى بالحد اللفظي أو الاسمي (Définition nominale) ، وإلى حد بحسب الذات ، ويسمى بالحد الحقيقي (Définition réelle) أو الحد الذاتي (Définition essentielle) .

والحد الذي بحسب الاسم هو القول المفصل الدال على مفهوم الاسم عند استعماله . قال ابن سينا : « كل من تلفظ بلفظ فألبه بتجديده إذا آجاد العبارة لما يقصد إليه من المعنى ، ولا مناقشة معه البتة إلا إذا كان قد زاع عما قصده بشيء مما صيقوله . . . » مثال ذلك أن الإنسان ، إذا استعمله متكلم في كلامه ، فسأله ما يعني به ، فقال : أنه الحيوان المنتصب القائمة ، البادي بالبشرة الذي له رجلان ، فأول ما له أنه قد حد الإنسان بحسب استعماله لفظه ، وليس لك أن تخاطبه فيه بوجه من الوجوه بالمناقشة ، إذ كان الحيوان بهذه الصفة موجوداً ، وكان له بهذه الصفة اعتبار ، وكان اعتباره بهذه الصفة غير محرم عليه أن يكون له اسم . وأكثر ما يكون أن تؤاخذ به أمر اللغة ، وهو بعيد عن المآخذ العلمية » (منطق المشرقيين ص ٣٤) . أما الحد الذي بحسب الذات فهو القول المفصل الدال على حقيقة الشيء . والغرض منه أن يقوم في النفس صورة معتدلة مساوية للصورة الموجودة بتأملها . ولذلك ، فلا حد بحسب الذات لما لا وجود له . إنما ذلك قول يشرح الاسم ، ومن شرط الحد الذي بحسب الذات أن يكون تاماً وأن يكون موجزاً ، وأن يحتز فيه عن الألفاظ الوحشية الغريبة ، والمجازية البعيدة ، والمشتركة ، والمتردة .

وفرقوا بين الحد العملي (Définition Pratique) والحد العلمي (Définition scientifique) فقالوا : الحد العملي قول مركب من الصفات العرضية أو الذاتية التي تبين المراد من الشيء ، مثل تعريف الأشياء المألوفة بصفاتها

الظاهرة على طريقة المعاجم - والحد العلمي هو التعريف الكامل - وهو مؤلف من الصفات الذاتية المقومة للشيء ، أعني جنسه وفصله ، مثل الحدود التي نجدناها في العلوم الطبيعية : الإنسان حيوان ناطق ، والحيوان ذو إحساس ، الخ .

وفرقوا أيضاً بين الحد التجريبي (Définition empirique ou expérimentale) والحد الهندسي أو الرياضي (Définition géométrique ou mathématique) فقالوا : الحد التجريبي يتألف من العناصر التي يقتبسها الذهن من ملاحظة الأشياء الخارجية ، ولا يمكن أن يكون تاماً إلا إذا دل على ماهية الشيء وصفاته الذاتية . وليس كل حد تجريبي متصفاً بهذه الصفة ، بل العقل لا يصل إلى ذلك إلا بالتدرج والتقدم إلى المطلوب العلمي شيئاً فشيئاً . أما الحد الهندسي أو الرياضي فهو حد تام دال على حقيقة المعنى المتصور في الذهن ، وهو ابداع عقلي ، ليس من شرطه أن يكون له في الوجود الخارجي مثال ، وإن كان وجوده في حيز الإمكان ، بخلاف الحد التجريبي الذي يدل على شيء موجود في الأعيان . لذلك يؤتى بالحدود الرياضية في أوائل الرياضيات ، ولا يهتدى إلى الحدود التجريبية إلا في أواخر العلم الطبيعي . وقد أطلق (هاملتون) اسم الحد بحسب التكوين (Définition génétique) على الحدود التي يوصف فيها الفعل المولد للشيء المراد تعريفه .

والحد (Terme) في اصطلاح المنطقيين هو ما تفحل إليه القضية ، كالموضوع والمحمول ، فهما الحدان اللذان تتألف منهما القضية من جهة ما هي قضية . والحدود بهذا المعنى إما أن تكون مشخصة أو مجردة ، أو عامة أو خاصة ، أو مفردة أو جمعية أو موجبة أو سالبة . وفي كل قياس ثلاث قضايا ، أي مقدمتان ونتيجة . والمقدمتان تشتركان في حد وتختلفان في حدين ، فتكون الحدود ثلاثة . ومن شأن المشترك فيه أن يزول عن النتيجة ويربط ما بين الحدين الآخرين ، مثل قولنا في القياس

الذي من الشكل الأول : كل انسان فان ، وسقراط انسان ، فسقراط فان .
فالحودود الثلاثة هي فان وسقراط وانسان . والحدان اللذان كنا نجهل ارتباطهما
هما الفاني وسقراط ، والحد المشترك الذي كشف لنا عن الارتباط بينهما هو الانسان ،
وهو متكرر في المقدمتين . أما الفاني وسقراط فلم يتكررا ، إلا انهما يجتمعان في النتيجة .
فالمكرر يسمى الحد الاوسط (*Moyen terme*) ، وهو علة ارتباط الطرفين ، والحد
الذي نريد أن يصير موضوع النتيجة يسمى الحد الأصغر (*Petit terme*) ، والذي
نريد أن يصير محمول النتيجة يسمى الحد الأكبر (*Grand terme*) . والمقدمة
التي فيها الحد الأكبر تسمى الكبرى (*Prémisse majeure*) ، والتي
فيها الحد الأصغر تسمى بالصغرى (*Prémisse mineure*) .

والحد الأقصى (*Maximum*) هو النهاية العظمى لتغيرات قيم التابع ،
فإذا كان هذا الحد هو النهاية القصوى لتام التغير سمي بالحد الأقصى المطلق
(*Maximum absolu*) . وإذا كان أكبر من الحد المتقدم عليه فقط
سمي بالحد الأقصى النسبي (*Maximum relatif*) . وعكس الحد الأقصى
الحد الأدنى (*Minimum*) ، فالمطلق منه ما دل على القيمة الصغرى لمقدار
ذي تغيرات متتابعة ، والنسبي منه ما كانت قيمة تغيره في زمان ما أصغر من قيم
التغيرات السابقة أو اللاحقة .

الحدة

في الفرنسية *Acuité*

في الانكليزية *Acuteness*

حدّ السيف حدة صار حاداً وقاطعاً ، وحدت الرائحة زكّت واشتدت ،
وحّد على غيره غضب ، والحدة ما يعتري الانسان من الترقق والغضب ، تقول

أخذته حدة الغضب ، وهو معروف بمحدة التفكير أي بعمقه . ومنه حدة الحواس (Acuité des sens) أي قوتها ، قال تعالى : فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد .

والمقصود من حدة الحواس أمران : الأول قدرتها على ادراك المؤثرات والمنبهات الخفيفة ، والثاني قدرتها على التمييز بين احساسين متقاربين . مثال ذلك حدة السمع . وحدة البصر . الخ .

الحدس

Intuitio	في اللاتينية
Intuition	في الفرنسية
Intuition	في الانكليزية

الحدس في اللغة الظن والتخمين ، والتوهم في معاني الكلام والأشياء ، والنظر الخفي ، والضرب والذهاب في الأرض على غير هداية ، والرمي ، والسرعة في السير ، والمضي على استقامة أو على غير طريقة مستمرة .

والحدس الذي اصطلح عليه الفلاسفة مأخوذ من معنى السرعة في السير . قال ابن سينا : « الحدس حركة إلى إصابة الحد الأوسط إذا وضع المطلوب » أو إصابة الحد الأكبر إذا أصيب الأوسط ، وبالجمله سرعة الانتقال من معلوم إلى مجهول . (النتيجة ص ١٣٧) - وقال الجرجاني في التعريفات : « الحدس هو سرعة انتقال الذهن من المبادي إلى المطالب » ، وقال التهانوي : « الحدس هو تمثل المبادي . المرتبة في النفس دفعة من غير قصد واختيار سواء بعد طلب أو لا فيحصل المطلوب »

والمقصود من الحركة وسرعة الانتقال تمثل المعنى في النفس دفعة واحدة في وقت واحد كأنه وحي مفاجيء أو مبض برق .

الحدس عند بعض الأشرافيين هو ارتقاء النفس الانسانية إلى المباديء العالية حتى تصبح صرارة بجولة تخاذي شطر الحق فتتلي من انوار الإلهي الذي ينشأها من دورث أن تعمل فيه انحلالاً تاماً . ويسمى هذا الامتلاء من انوار الإلهي كشفاً روحياً أو إلهاماً .

والحدس في الفلسفة الحديثة عدة معان :

- ١ - الحدس عند (ديكارت) هو الاطلاع العقلي المباشر على الحقائق البديهية .
- قال (ديكارت) : « أنا لا أقصد بالحدس شهادة الحواس المنخفضة ، ولا الحكم الخداع لخيال فاسد للباني ، إنما أقصد به التصور الذي يقوم في ذهن خالص متنبه ، بدرجة من السهولة والتميز لا يبقى معها مجال للريب ، أي التصور الذهني الذي يصدر عن نور العقل وحده » (القواعد لهداية العقل ، القاعدة ٣) . ومعنى ذلك ان الحدس عنده عمل عقلي يدرك به الذهن حقيقة من الحقائق يفهمها بتمامها في زمان واحد لا على التعاقب . والامور التي يدركها العقل بالحدس ثلاثة أنواع ، وهي : (١) الطبائع البسيطة ، كالامتداد والحركة والشكل والزمان .
- (٢) الحقائق الأولية التي لا تقبل الشك ، كعقلي أنني موجود لأنني أنكر .
- (٣) المباديء العقلية التي تربط الحقائق بعضها ببعض ، كعقلي ان الشئيين المساويين لشيء ثالث متساويان . لذلك سمى (ديكارت) هذا الحدس نوراً طبيعياً (Lumière naturelle) أو غريزة عقلية . ومعنى الحدس عند (لينيير) مبني على هذا الأصل الديكارتى ، والدليل على ذلك قوله : الحقائق الأولى التي نعرفها بالحدس نوعان : حقائق العقل وحقائق الواقع .

٢ - الحدس هو الاطلاع المباشر على معنى حاضر بالذهن من حيث هو ذو حقيقة جزئية مفردة ، وهذا المعنى الذي نيجده عند (كَنْت) في كتاب العقل المحض ، وعند هاملتون وديوي ، يوجب أن تكون الحقيقة الجزئية المفردة مثالية ، كما في الحدس العقلي الذي يجمع بين تصور الشيء ووجوده ، أو مستفادة من الحساسية بصورة قبلية ، كادراك الزمان والمكان ، أو بعدية ، كما في الحدس التجريبي .

٣ - الحدس هو المعرفة الحاصلة في الذهن دفعة واحدة من غير ركاز أو استدلالات عقلية ، وهذا المعنى الذي أخذ به (شوبنهاور) لا يصدق على تمثل الأشياء وعلاقاتها فحسب ، بل يصدق أيضاً على تمثل خواص الأعداد والأشكال الهندسية من جهة ما هي مدركة ادراكاً مباشراً . وأكمل صور الحدس التأملي عنده الحدس الجمالي ، الذي ينسب فيه الإنسان نفسه في لحظة معينة من الزمان ، فلا يدرك إلا حقيقة الشيء الذي يتأمله .

٤ - والحدس عند (هنري برغسون) عرفان من نوع خاص ، شبيه بعرفان الغريزة ، ينقلنا إلى داخل الشيء ، ويطلعنا على ما فيه من طبيعة مفردة لا يمكن التعبير عنها بالألفاظ ، بخلاف المعرفة الاستدلالية أو التحليلية التي لا تطلعنا إلا على ظاهر الشيء . قال (برغسون) : الحدس هو التعاطف العقلي الذي ينقلنا إلى باطن الشيء ، ويمثلنا متحد بصفاته المفردة التي لا يمكن التعبير عنها بالألفاظ .

٥ - والحدس هو الحكم السريع المؤكد أو التنبؤ الغريزي بالحوادث والعلاقات المجردة . قال (هنري بوانكاريه) : إن هذا الحدس ، أو هذا الشعور بالنظام الرياضي ، يكشف لنا عن العلاقات الخفية .

٦ - والحدسية (Intuitionnisme) مذهب من يرى أن المعرفة تقوم

على الحدس .

٧ - ونحن نطلق الحدس على اطلاع النفس المباشر على ما يمثلها لها الحس الظاهر أو الحس الباطن من صور حسية أو تفهيمية ، أو على كشف الذهن عن بعض الحقائق بوحى مفاجيء . لا على سبيل القياس ، ولا على سبيل الاستقراء أو الاستنتاج ، ولكن على سبيل المشاهدة التي ينبثق فيها الحق انبلاجاً . وله أربعة أنواع : الحدس التجريبي ، والحدس العقلي ، والحدس الكشفي ، والحدس الفلسفي أو الصوفي . أعني حدس الاشرائيين الذين يزعمون أنهم يرتقون من مشاهدة الصور والأمثال إلى ادراك الحقائق المطلقة .

جميل صليبا

الإمام
رضي الدين الحسن بن محمد الصاغاني
(٥٧٧ - ٦٥٠ هـ)

أقدم في بضع صفحات ترجمة أحد التوابغ الذين خلفوا لنا ثروة كبيرة من التأليف الخالدة في اللغة والنحو والأدب ، بل ما قرع اسمه آذان كثير من الناس ، وكان مستوراً في دقات كنبه ؛ لأن كنبه التي اعتمد عليها كبار اللغويين مثل الفيروزآبادي صاحب القاموس ، ومناضي الزبيدي صاحب تاج العروس ، من طبع إلى الآن .

هو الإمام رضي الدين أبو الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر بن علي ابن اسماعيل العمري القرشي الصاغاني اللاهوري . شهر الصاغاني لأن آبائه أتوا من صفانبان (معرب جفانبان) وهي ولاية عظيمة فيها وراء النهر ، متصلة بالأعمال بترمد . ولقد كانت قصبتها أيضاً على هذه الاسم ، والنسبة إليها الصغاني والصاغاني أيضاً . والمشاهير منهم أبو بكر محمد بن اسحق الصاغاني الفقيه ، وأحمد الصاغاني الذي كان يعمل في مرصد الكواكب لشرف الدولة ، الملك البوبعي . والإمام الحسن بن محمد الصاغاني وغيرهم .

وكان مولده بـلاهـور ، مدينة كبيرة من بلاد الهند سابقاً ، وعاصمة باكستان الغربية حالياً ، في أيام خسرو ملك الغزنوي ، وبها ولد سنة ٥٧٧ هـ في يوم الخميس عاشر صفر .

بعد مولده ترك أبوه لاهور وأقام بغزنة ، قصبة زابلستان ، فنشأ هناك وأخذ
عن والده في القرآن والفقه . وارتحل من غزنة إلى بغداد في طلب العلم سنة ٥٩٥
وسنه حينئذ تسع عشرة سنة ، فروى عن كبار العلماء كالنظام محمد بن الحسن
المرغيناني وسعيد بن الرزاز وغيرهما حتى انتهت إليه الرياسة في اللغة وفن الأدب
مع مشاركة بعلم الحديث والتفسير والفقه . وكان يقول لأصحابه : إحتفظوا غريب
أبي عبيد القاسم بن سلام ، فمن حفظه ملك ألف دينار فإني حفظته فملكته .
ودخل جزيرة العرب وحج فأقام بمكة مجاوراً مدة وتسمى بالملجي إلى حرم
الله تعالى . وسمع هناك من أبي الفلوح نصر بن أبي الفرج الحصري .
ودخل اليمن سنة ٦١٠ هـ وقرأ هناك معالم السنن للخطابي . وكان يعجب بهذا
الكتاب ومصنفه . وكان يقول : إن الخطابي جمع لهذا الكتاب كل علمه . وكان
وقوفه في عدن بمسجد ابن البصري ، أحد تجار عدن ، فسمع منه عدد من
الفضلاء وانتفعوا به . وكتب يده عدة نسخ من صحيح البخاري وأوقفها ، وصحب
سليمان ابن الفقيه بطال وأقام معه في عدن فأخذ عنه ، وقد قدم تعزاً لمدة قصيرة
فأخذ عنه بها الشيخ منصور بن الحسن والفقيه أحمد بن علي السردودي وغيرهما .
وعاد الصاغاني إلى مكة سنة ٦١٣ هـ فكث هناك عامين أو أكثر . ثم دخل
بغداد ثانياً سنة ٦١٥ هـ . وزعم بعض العلماء أنه في هذه السنة قدم الصاغاني
بغداد أولاً . وقرأ الناس عليه فذاع صيته وعلت شهرته ، فألحقه القاضي محمود
ابن أحمد الزنجاني بالمعدن .

قال ابن الفوطي البغدادي . فلم يجضر مجلس قاضٍ ولا شهيد ، بل كان
يرسل مشورته حينما تطلب .

ثم أوفده الخليفة الناصر رسولاً إلى السلطان التتمش ، ملك الهند سنة ٦١٧ هـ ،
فأقام بها مدة طويلة وسمع من علمائها كسعد الدين حسنا بازي وغيره .

وقدم مكة لأداء التَّك ثانياً ، ودخل اليمن ، ثم عاد إلى بغداد سنة ٦٢٤ هـ في خلافة المستنصر بالله ، فأعيد إلى الهند رسولاً في تلك السنة ، وعاد منها خلال سنة ٦٣٧ هـ . فرُتَّب شيخاً يرباط المرزبانية ، ثم نظر في شرط الشيخ فوجد فيه أن يكون الشيخ شافعيًا ، فعزل نفسه لكونه حنفيًا ، وذلك في سنة ٦٤٣ هـ . ثم رُتَّب مدرسًا بالمدرسة التنشيطية ، نسبةً إلى خمارتكن التنشيطي ، وخلع عليه وحضر المدرسة وخطب خطبة فصيحة وذكر عشرة دروس وأنشد عند فراغها :

فهاكم يا سادتي مني دروساً عشرة
فأنتم معادن الفـضـل الكرام البرّاء
ولست حبراً عالمًا لكنها محبرة
فالتعذروا أخاكم فمثلكم من عذره

وقرأ عليه كثير من العلماء منهم المحافظ شرف الدين الدمياطي ، وعز الدين ابن الوزير العلافي ، فخطب عند الوزير الملقبي ، ويرسمه صنف كتاب العباب الزاخر وكتاب مجمع البحرين وكتاب يفعل .

حكى ابن طباطبا العلوي : حدثني ولد الوزير أبو القاسم علي قال : اشتملت خزانة والدي على عشرة آلاف مجلد من نقائس الكتب . وصنف الناس له الكتب . فمن صنف له الصاغاني اللاهوتي ، صنف له العباب وهو كتاب عظيم كبير في لغة العرب .

وتوفي فجأة ليلة الجمعة تاسع عشر شعبان سنة ٦٥٠ في بغداد . ودفن بداره في الحرم الظاهري ، وكان قد أوصى بذلك ، بأن يُحمل إلى مكة ويدفن بجوار الفضل بن عياض ، ففعل أولاده ذلك وتولى تجهيزه ودفنه أصحاب الوزير ، ورثاه عز الدين ابن الوزير بأبيات أولها :

تخاطبنا الدنيا خطاب مناصح وأسماعنا عما تقول صواف
تخوفنا والأمن حشو قلوبنا كأن سوانا من عنته المخاوف
وترشدنا أحداثها قترى الهدى عياناً ولكنا غموراً نخالف
ونرجو من الأيام عدلاً لجهلنا وبقي يجرود صرفها المترادف
هوت بالصغاني الذي لج قدره علواً من الأقدار دهماء قاذف
ليبك عليه العلم إن عاش بعده وتندب إن تبقى النعي والمعارف
قال الحافظ الديلمياطي : كان شيخاً صالحاً صدوقاً مصوناً عن فضول الكلام ،
وإماماً في اللغة والفقه والحديث .

وقال ابن الفوطي : كان الشيخ أبو الفضائل الحسن بن محمد الصاغاني شيخ وقته
ومقدم أهل زمانه في علم اللغة وفن الأدب وكان زاهداً عابداً كثير الصمت .
وقال السيوطي : قد كان الصاغاني حامل لواء اللغة في زمانه .
وقال ابن أبي عمرة : كان الصاغاني إماماً كبيراً عالماً عاملاً بارعاً فاضلاً متفتناً
كاملاً عارفاً بالنحو واللغة والتفسير والحديث والفقه على مذهب الإمام أبي حنيفة .

تصانيف الصاغاني :

أما تصانيفه فهي كثيرة وأهم ما بلغ إلينا منها هي :
١ - العباب الزاخر ودر الباب الفاخر ، وهو معجم كبير في ٣٠ جزءاً جمعه
من أشهر معاجم اللغة ، مرتب حسب أواخر الكلم على طريقة الصحاح ولسان العرب ،
ألفه للوزير ابن العلقمي ، وألحق به تراجم كبار اللغويين . قال السيوطي :
وأعظم كتاب ألف في اللغة بعد عصر الصحاح كتاب المحكم والمحيط الأعظم
لابن سيده ، ثم كتاب العباب للرضي الصاغاني ، فانهى منه إلى فصل الباء من
باب الميم ، وكتب بخطه بكم ، ولم يتم حتى قال القائل :

ان الصَّفَافِي الَّذِي حاز العلوم والحكم

كَانَ قِصَارَى أَمْرِهِ أَنْ اتَّعَى إِلَى بَكْم

قال الفيروز آبادي في خطبة القاموس : ولما أعياني الطلاب شرعت في كتابي

الموصوم باللامع المعلوم المعجَّب ، الجامع بين الحكم والعباب ، فعما غرَّتْنا الكتب

المصنَّفة في هذا الباب ، ونيرا بواقع الفضل والآداب .

والموجود منه أربعة أجزاء في مكتبتني أبا صوفيا و كوبرلي بالآستانة ، وجزء

في دار الكتب المصرية .

٢ - التكملة والذيل والصلة : ألف الصافاني التكملة على الصحاح ، في ستة

أجزاء مرتبة على حسب ترتيب الصحاح ، وقد ذكر فيها ما فات الجوهرى ،

وهي أكبر حجماً من الصحاح . والموجود منها نسخة في دار الكتب المصرية ،

ونسخة في المكتبة السلطانية في اسطنبول ، ونسخة عتيقة في تونس ، ونسخة من

الجزء الأول في المتحف البريطاني .

٣ - مجمع البحرين : في اللغة في ١٢ مجلداً ، جمع بين كتاب الصحاح وكتاب

التكملة ، فرد ما ذكره أولاً على ما سرده وعلامته ص ، وأردف ما ذكره في

التكملة وعلامته ت ، ثم أردفها حاشية التكملة وعلامتها ح .

منه نسخة في دار الكتب المصرية في مجلدين ، وفي مكتبة كوبرلي بالآستانة ،

وفي الخزانة الخوصية بتونس ، وفي المكتبة الأهلية بباريس وفي جامعة

بیتسبرگ ، وفي معهد الدراسة الشرقية في درهام .

٤ - مشارق الأنوار في الحديث : وهو من أحسن كتبه في الحديث ، وقد

كتب عليه كثير من العلماء شروحاً . وطبع مراراً في الهند ومنه نسخة في

المكتبة الأهلية بباريس ، وفي المتحف البريطاني .

- ٥ - مصباح الدجى في الحديث .
- ٦ - الشمس المنيرة في الحديث .
- ٧ - الدر الملتقط في تبين الغلط ، ذكر فيه ما في كتابي انشهاب للقضاعي والتجيم للأمليشي من علم دراية الحديث .
- ٨ - مناسك الصغاني .
- ٩ - نقمة الصديان فيما جاء على وزن فعلان . منه نسخة في دار الكتب المصرية وفي مكتبة دامادزاده بإسطنبول .
- ١٠ - الأحاديث الموضوعة ، منه نسخة في الخزانة التيمورية ، وطبع بالمطبعة البارونية بالجدرية .
- ١١ - الشوارد في اللغة ، منه نسخة في مكتبة دامادزاده بإسطنبول .
- ١٢ - المختصر في العروض ، // // // //
- ١٣ - تعزيز بيتي الحريري ، // // // //
- ١٤ - الاتفعال في اللغة ، // // // //
- ١٥ - بفعول في اللغة ، // // // // ونسخة في دار الكتب وأخرجه العلامة حسن حسني عبد الوهاب في تونس سنة ١٩٣٥ م .
- ١٦ - الأضداد في اللغة ، منه نسخة في برلين وفي مكتبة دامادزاده .
- وأخرجه الدكتور أوغست هنتر ، وطبع في بيروت سنة ١٩١٣ م .
- ١٧ - أسماء الغادة في اللغة ، منه نسخة في مكتبة دامادزاده وفي الخزانة التيمورية .
- ١٨ - أسماء الذئب في اللغة أيضاً ، وطبع بمطبعة أحمد كامل سنة ١٣٢٠ هـ .
- ١٩ - أسماء الأسد في اللغة ، منه نسخة في الخزانة التيمورية .
- ٢٠ - خلق الإنسان في اللغة ، منه نسخة في مكتبة دامادزاده .

- ٢١ — نوادر اللغة ، ٢٢ — كتاب الأصناف ، ٢٣ — كتاب الافعال في اللغة ، ٢٤ — التجريد وجمال الصاغاني ، ٢٥ — كتاب السالكين ، ٢٦ — در السحابة في بيان مواضع ونيات الصحابة ، ٢٧ — شرح قلادة السحابة في توشيح الدربدية ، ٢٨ — شرح أبيات المفصل ، ٢٩ — شرح البخاري ، ٣٠ — في الضعفاء والمتروكين في رواية الحديث ، ٣١ — فرائض الصاغاني ، ٣٢ — كتاب المفعول ، ٣٣ — كشف الحجاب عن أحاديث الشهاب .

﴿ المراجع ﴾

- | | | |
|----------------------|--------------------|--------------------|
| ياقوت الحموي | معجم الأدباء | ط القاهرة ١٩٢٧ م |
| ابن الطباطبا العلوي | التخري | ط القاهرة ١٩٥٦ م |
| المعروف بابن الطقطقي | | |
| ابن القوطي | الحوادث الجامعة | ط بغداد ١٣٥١ هـ |
| ابن أبي الوفا | الجواهر المضية | ط حيدرآباد ١٣٣٢ هـ |
| ابن أبي مخزومة | تاريخ ثغر عدن | ط لندن ١٩٣٦ م |
| ابن قطلوبغا | تاج التراجم | ط ليبرك ١٨٦٢ م |
| السيوطي | المزهر | ط القاهرة ١٣٧٨ هـ |
| السيوطي | بغية الوعاة | ط القاهرة ١٣٢٦ هـ |
| ابن العباد | شذرات الذهب | ط القاهرة ١٣٥١ هـ |
| عبد الحي الكنوي | الفوائد البهية | ط القاهرة ١٣٢٤ هـ |
| بروكلمان | تاريخ الأدب العربي | ط لندن ١٩٤٣ م |

ج ١

مرد علي نجم القادري

حيدرآباد — باكستان الغربية

من تراثنا الضائع :

كُتُبُ الشاعر

دعبل بن علي الخزاعي

كان الشعر انتهى في عصر هذا الشاعر (القرن الثالث) إلى أن أصبح كالفناء
حرفة يتبها لها الشاعر بالممارسة الحجة والنظر الطويل في شعر الفحول (وقد أخذ
بدون في هذا العصر ويوضع في أيديهم) ورواية أطراف كثيرة من شعرهم ،
إلى جانب ما يأخذ من اللغة والأنساب والأخبار . ثم كان كل شاعر يتأثر
بثقافات العصر الأخرى التي كانت تشبك من حوله ، على قدر ما يهينه ذوقه
ونشأته وبيئته .

وأصبح في مكنة الشعراء ، كما أصبح في مكنة المقتنين ، أن يجاروا العلماء
فيضعوا الكتب . وقد أشاع هذه البدعة أبو تمام فعصف كتب الاختيار الستة^(١) .
ثم وصل الأمر ببعض الشعراء أن وضعوا كتباً في التاريخ والطبيع والعمار^(٢) .
وقد بلغ دعبل من المعرفة بالشعر والشعراء أن عدده الآمدي^(٣) ، مع

(١) انظر أسماءها ووصفها في : اللوازة ٤٨ — ٩ . ويقول الآمدي بعدما : « وهذه
الاختيارات تدل على عنايته بالشعر ، وأنه اشتغل به وجده وكده ، واقتصر من كل
العلوم والآداب عليه ، فإنه ما من شيء كبير من شعر جاهلي ولا إسلامي ولا محدث إلا
قرأه واطلع عليه ... » .

(٢) الفهرست ١٧٦ و ٤٨٣ .

(٣) اللوازة ٢٠ .

ابن الأعرابي وأحمد بن يحيى الشيباني ، « من علماء الشعر و كلام العرب » ، ووصفه ابن شرف القيرواني ^(١) بأنه « عالم شعراء » . وتظهر بعض النقول والروايات التي وصلت إلينا مدى ما وصل إليه دجيل من ذلك حتى روى عنه ابن قتيبة ^(٢) والمبرد ^(٣) ، وصححت بروايته الروايات ^(٤) ، ونقلت أقواله في نقد الشعر وتقويته ^(٥) ، وذكر أنه روى شعر شاعر مثل أبي راسب الليحي ^(٦) . فليس غريباً إذن أن يكون كتب كتاباً في الشعر والشعراء نقل عنه من جاء بعده ، حتى امتفاض ذكره في كتبهم وحفلت بالنقول عنه .

وذكر ابن النديم ^(٧) له كتاباً آخر سماه كتاب الواحدة ، وهو في مثاب العرب ومناقبها .

وأضيف إليه كتاب ثالث في أخبار ملوك اليمن ووصاياهم إلى أبنائهم .

(١) رسائل الانتقاد ٢٣ .

(٢) انظر مثلاً في الشعر والشعراء ٤٠٢/١ - ٣ .

(٣) انظر مثلاً في الكامل ٥٢٦/٢ .

(٤) انظر مثلاً في كتاب التتبع على الأمالي للأوني ١١٨ ، وانظر أمثلة من الروايات التي

نقلت عنه في : الأغاني ١٩٤/٣ واعجاز القرآن للباقلاني ١٧٦ والانباء للقفطي

٢٣٨/٣ والعمدة لابن رشيقي ١٣٩/٢ - ٤٠ وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ١٣٢

وأمالي المرتضى ٣٧٢/١ .

(٥) انظر أمثلة في تقديم البيتين الذين نسا إلى الرقاشي فيه (محاضرات الأدباء ١٤٢/٢)

وقدمه شعر شاعر أنشد (الأغاني ٩٢/٢٠) وقدمه شعر القصافي (الورقة ٤٦

ومعجم الشعراء ٣٤) وقدمه شعر ديك الجن (العمدة ٣٢٠/١) وشعر المهمل بن

ربيعة (اللوشع ٧٤) . وانظر : المؤلف والمختلف للآمدي ٦٧ والعمدة

لابن رشيقي ٩٤/١ .

(٦) الابانة عن سرقات النبي للمبيدي (مخطوطة دار الكتب المصرية) الورقة ٣٣ .

(٧) فهرست ٢٢٩ .

- ١ -

فأما الكتاب الأول فقد جرى فيه ، فيما يبدو لنا ، على صورة التصنيف التي نراها فيما وصل إلينا من كتب ألقت لهذا العصر في الشعر والشعراء ، بأسماء مختلفة ، وهي التعريف المختصر بالشاعر ، ونقل جملة من أخباره وشعره يرونها المصنف عمن سمعها منه .

وعلى الرغم من أن مصادر كثيرة سمت الكتاب (طبقات الشعراء) ^(١) ، وهي التسمية التي نعتقد أن دعبلاً سمى كتابه بها ، فإن ذلك لا يعني أن دعبلاً قسم الشعراء فيه إلى طبقات ، فتكلم عليهم بطبقاتهم ، على نحو ما صنع محمد بن سلام الجمحي في كتابه المعروف بالاسم نفسه (طبقات الشعراء) . وإنما اختار لنفسه ، فيما يبدو ، طريقة أخرى في التصنيف ، وزع فيها الشعراء على مواطنهم ، فأفرد لشعراء كل موطن كتاباً مثل (كتاب شعراء بغداد) الذي ذكره له الآمدي ^(٢) . و (كتاب شعراء البصرة) الذي ذكره التبريزي ^(٣) والمرزباني ^(٤) . ويبدو أنه

(١) طبقات الشعراء لابن المعتز (اقبال) ١٥٢ ، الفهرست لابن النديم ٢٢٩ ، كتاب الرجال للنجاشي ١١٧ ، المعتمد لابن رشيقي ١١٣/١ ، معجم الأدباء لياقوت ١١٢/١١ ، المنتخب مما في خزائن الكتب مجلد ٣٤ .

وسماه اللبرد : أخبار الشعراء (الكامل ١٨٤/١) ، وابن الجراح : كتاب الشعراء (الورقة ١٢٣) ، وذكره الآمدي بقوله : « كتاب دعبيل الذي في الشعراء » (الموازنة ١٦) والخطيب البغدادي ، نقلاً عن المرزباني ، بقوله : « كتابه الذي في أسماء الشعراء (تاريخ بغداد ١٤٣/٤) ونقل ذلك عنه ، فيما يبدو ، ابن خلكان (وفيات الأعيان ٦٣/١) .

وقد كانت الكتب التي تؤلف على الشعراء تسمى بتل هذه الأسماء المختلفة على ألسنة المصنفين .

(٢) المؤلف والمختلف ٦٧ .

(٣) شرح الحماسة : الحماسة رقم ٤٦٥ .

(٤) معجم الشعراء ٦٥ و ٢٦١ و ٢٩٥ .

أوردَ شعراءَ العجّاز كتاباً ، ولشعراء خراسان كتاباً^(١) . ولعله — إذا صح ما نقله — أول من التفت إلى تأريخ حياة خراسان الأدبية . ولم يلتفت أحد إليها بعده إلى اليوم !

وفي أيدينا دلائل تدل على أنه لم يقصر كتابه على الشعراء المحدثين ، بل تعداه إلى الإسماعيليين والجاهليين^(٢) . فلا بد إذن أن يكون كتاباً ضخماً كان ذخيرة لمن كتب بعده في الشعر والشعراء^(٣) .

ونستطيع أن نفهم ، من إشارات صغيرة وردت في بعض كتب النقد ، أنه كانت للكتاب مقدمة حسنة عرض فيها دجيل لبعض قضايا نقدية عامة كانت محمد بن سلام عرض لها ، مثل « مسألة تقارب البيتين الجيدين النادرين ومعرفة أهل العلم بصناعة الشعر أيهما أجود إن كان معناه واحداً » ، فهذه مسألة عرض لها ابن سلام الجمحي في كتابه من قبل^(٤) ، ويغلب على الظن أن يكون دجيل قرأه وأفاد منه قبل أن يكتب كتابه .

وعرض دجيل ، في المقدمة أيضاً ، لأغراض الشعر وأقسامه ، فأوصى أن يصدر الشاعر في كل منها عن أحوال مناسبة قائمة في النفس^(٥) . وتكلم ، فيما

(١) الصدر السابق ٤٥ و ٤٦ و ٣٢٩ .

(٢) للصدر نفسه ٦٧ و ٢٣٩ .

(٣) تتبع أسماءهم في فهرست لابن النديم ٧٦ ، ٩٣ ، ١١٦ ، ١٤٢ ، ١٥١ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٩ .

ويغلب على الظن أن يكون كتاب دجيل أول كتاب وضع في الشعر والشعراء بعد كتاب محمد بن سلام .

(٤) الموازنة للأمدى ٣٤٥ ، وانظر الطبقات لابن سلام ٧ - ٨ .

(٥) انظر قوله في السبعة لابن رشيق ١٢٢/١ .

يبدو ، على أمدح بيت قاله العرب وتنازع الناس عليه وعلى أنحر الشعر وأكذبه^(١) .
وعرض لفضل الشعر وتصديق الناس للشاعر حتى « إنه لم يكذب أحد قط
إلا اجتواه الناس فقالوا : كذاب . إلا الشاعر فإنه كلما زاد كذبه زاد المدح له .
ثم لا ينفع له بذلك حتى يقال له : أحسنت واقع ، فلا يشهد له شهادة زور
إلا ومعها يمين بالله تعالى^(٢) » . وذكر « أن الرجل الملك أو السوق إذا صير
ابنه في الكتاب أمر معلمه أن يعلم القرآن والشعر . . . لأنه يوصل به المجالس
وتضرب به الأمثال وتعرف به محاسن الأخلاق ومشابها . . . وأي شرف أبقي
من شرف يبقى بالشعر ؟ » . وضرب على قوله مثلاً فقال : « إن امرأ القيس
كان من أبناء الملوك ، وكان من أهل بيته وبني آية أكثر من ثلاثين ملكاً
فبادوا وباد ذكروهم ، وبقي ذكره إلى القيامة . وإنما أمسك ذكره شعره^(٣) » .
وحذر بعد ذلك من التعرض للشاعر « ولو كان من أدون الناس صنعة في
الشعر » إذ « رب بيت جرى على لسان مفعم فيل فيه : رب رمية من غير رام ،
فسارت به الركبان^(٤) . . . » .

وكانت هذه ، على ما يبدو ، من القضايا الدائرة آنذاك . وهي تصور ما وصلت
إليه حال الشعر والشعراء من مهانة على يد المادحين حتى احتاج دعبل إلى أن
يقول في « فضله » مثل هذا الكلام الذي يدور بعضه على المنفعة !
ويغلب أن يكون ألقى في الكتاب أحكاماً نقدية على الشعراء تجد صوراً
لها في كثير من كتب الأدب التي أفادت من كتابه ، على نحو ما أشرنا
إليه منذ قليل .

(١) المصدر السابق ١٣٩/٢ و ١٤٤ .

(٢) الطرائف للقدسي ٤١ ووفيات الأعيان لابن خلكان ٣٦/٣ .

(٣) الطرائف للقدسي ٤١-٢ ، وانظر : مفتاح السعادة لطاشكيري زاده ٣٠٢/١ .

(٤) اللوازة ١٦ .

وقد أفاد منه من كتب بعده في اللغة والنقد والشعر والشعراء والرجال مثل
المبرد في (الكامل) ^(١) ، وابن الجراح في (الورقة) ^(٢) ، وابن المعتز في (طبقات
الشعراء) ^(٣) ، والمؤزباني في (معجم الشعراء) ^(٤) ، والآمدي في (الموازنة) ،
و (المؤتلف والمختلف) ^(٥) ، والخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد) ^(٦) ، والمقدسي ،
كما رأينا ، في (الظرائف واللطائف) ، وابن رشيقي في (العمدة) ^(٧) وغيرهم ^(٨) .
وكان أكثرهم إفادة منه صاحب كتاب الورقة ، حتى لنظن أحياناً أنه تلخص
فيه معظم الأخبار من كتاب دعبل .

ويمكن ، على كل حال ، أن تكون صورة عن الكتاب من مجموعة النقول
والإشارات الواردة في هذه الكتب وغيرها مما يرد فيه ذكر الكتاب .
والأرجح أن يكون دعبل كتب هذا الكتاب في أواخر حياته . فقد ذكر
فيه شعراء عاصروهم وتقل بعض أخبارهم ، ويغلب أن يكونوا ماتوا قبل أن يكتب
كتابه . ولعله كتب جزءاً منه ، إن لم يكن كتبه جميعاً ، في السنوات الست

(١) الكامل ١٤٧/١ و ١٨٤ .

(٢) تتبع أثره بالرجوع إلى معظم الصفحات التالية : ٣ ، ١٠ ، ١٧ ، ٢٤ ، ٣٣ ،
٣٧ ، ٣٨ ، ٤٦ ، ٥١ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ٦٧ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٨٢ ،
٨٤ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ١٠١ ، ١٢٣ .

(٣) مصورة اقبال ١٥٢ .

(٤) تتبع ذلك في الصفحات التالية : ٣٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٦٥ ، ٧٣ ، ٨٩ ، ١٠٩ ،
١١٨ ، ١٦٩ ، ٢٦١ ، ٢٦٩ ، ٢٨٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧ ، ٣٢٩ ،
٣٤٦ ، ٣٨٠ ، ٤٣٩ ، ٤٥٢ .

(٥) الموازنة ١٦ و ٣٤٥ ، والمؤتلف والمختلف ٦٧ ، ١٦٩ .

(٦) انظر - مثلاً - : تاريخ بغداد ٣٤٢/٢ و ١٤٣/٤ .

(٧) ارجع الى الصفحات التالية : ٩٤/١ و ١١٣ و ١٢٢ و ١٣٩/٢ و ٤٠ و ١٤٤ و ٣٠٧ .

(٨) انظر أمثلة في : تاريخ دمشق لابن عساكر (التهذيب : ٤٦/٧ و ٤٧) ، ووقيات
الأعيان لابن خلكان ٤٣/١ و ٥٤/٢ ، وسمرة الجنان لياضي ١٢٣/٢ .

الأخيرة في حياته ، لأنه ذكر فيه أحمد بن أبي دواد الذي توفي سنة ٤٢٤٠ هـ ، وتقل شيئاً من شعره^(١) .

وقد كانت نسخة من الكتاب في حلب في نهاية القرن السابع (سنة ٦٩٤ هـ) مع نسخة من ديوان دعبيل ، لأننا وجدنا اسمه في الفهرس الطريف الذي سمي : المنتخب مما في خزائن الكتب بحلب . وقد سمي فيه (طبقات الشعراء) ، ووقع تحت رقم ٦٠١^(٢) .

ثم فقدناه ، من بعد ، كما فقدنا الديوان .

- ٢ -

وأما الكتاب الثاني فسماه ابن النديم^(٣) (كتاب الواحدة) ، وأضاف إليه النجاشي^(٤) (في مناقب العرب ومثالبها) ، وأخذت ذلك عنه ، على ما يبدو ، المصادر المتأخرة^(٥) . وربما صح أن يكون ما أخافه النجاشي من عنده ، للتعريف بالكتاب .

ويبدو أن هذا الكتاب لم يعمر طويلاً : فإنه لا يرد له ذكر بعد القرن الرابع إلى الخامس . ولعله انتهى بعدما إلى ما انتهت إليه كتب المثالب كلها ، لما تضمنته من طعن وتمزيق^(٦) .

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٤٣/٤ (قال عن الرزباني) ووفيات الأعيان ١/٦٣ .

(٢) المنتخب مما في خزائن الكتب بحلب ٣٤ .

(٣) الفهرست ٢٢٩ .

(٤) كتاب الرجال ١١٧ .

(٥) انظر مثلاً : متبني المقال لأبي علي ١٣٢ وهدية العارفين للبغدادي ١ : ٣٦٣ .

(٦) انظر في ذلك ضحى الإسلام لأحمد أمين ٧٢/١ .

ونعتقد أن دجيلًا أفاد في الكتاب بما حصل من معرفة واسعة بالأنساب ومثالب العرب ومناقبها ، وهي معرفة كان لا بد منها لشاعر العصر بصورة عامة ، وللهجاء بصورة خاصة ، لما يحتاجه منها في الطعن على نسب المهجو وتمزيقه والكشف عن مواطن الضعف فيه . ويمكن أن يصور لنا سمع هذه المعرفة ما بقي من قصيدته التي ناقض فيها مذهب الكميث . ولعله (لقربه من الفرس ورجالها ، وخروجه اليهم) كان يسمع أقوالهم في العرب وتقائصها فيغنى بها فوق ذلك .

ويرجع أن يكون أفاد فيه أيضًا بما كتب أباه من كتب في مثالب العرب ، كتبها الشعوية ومن لف لِقها وهتكت العرب فيها حيا حيا ، كما أفاد بما كتبه الناعمون للشعوية في مناقبها ^(١) .

اقنا لا نعرف شيئًا عن الكتاب اليوم . ولم ترد في المصادر كلمة في التعريف به تعبنا على تصور منهجه ومحتواه . على أنه يرجع (لما نعرف من عصبته المفرطة للجانة على العدنانية) أن يكون ذكر مثالب عدنان ومناقب قحطان . ولعله ذكر مثابة للعدنانية في مقابل كل منقبة للقحطانية . ومن هنا ، إذا صح ما نتصوره ، تنضج تسمية الكتاب : بالواحدة .

ولعل هذا كان سببًا لما بدا في المصادر ، من بعد القرن الخامس ، من تجاهل للكتاب ، حتى ليكتفي بذكر ديوان دجيل وكتابه في طبقات الشعراء ، دون أن يذكر هذا الكتاب .

(١) تتبع أسماء كتب المثالب والمناقب في فهرست لابن النديم ٧٩ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ،

١٤١ ، ١٤٥ - ٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ .

وانظر ضحى الإسلام لاحد أمين ٧٠/١ - ٧٣ .

ونسب إلى دعبل ككتاب كتب في منتصف القرن السادس (سنة ٥٤٩ هـ) .
وهو « كتاب فيه وصايا الملوك وأبناء الملوك من ولد قحطان بن هود النبي ﷺ »^(١) .
ويقع في ثمان وثلاثين ورقة مرد فيها تاريخ ملوك اليمن على نحو ما تخيلته الباقية
ودونه في القرن الثالث . ونسب فيه إلى هؤلاء الملوك شعر كثير جاء أحياناً كثيرة
على صورة الوصايا ، وزعم أنهم خاطبوا به أولادهم أو خلفاءهم .
والكتاب صورة لا تكاد تختلف إطلاقاً عن الكتاب الذي نشر في بغداد
منذ أكثر من ثلاث سنوات (سنة ١٩٥٩ م) باسم (تاريخ العرب قبل الإسلام)
ونسب إلى الأصمعي . وقيل : إنه بخط ابن السكيت !
وكلا الكتابين صورة كاملة ، فيها يبدو ، للكتاب الذي نشر منه الجزء الأول
في أربعين صفحة^(٢) ، في بغداد ، منذ زمن طويل (سنة ١٣٣٢ هـ) باسم (وصايا
الملوك العرب في الجاهلية) ، ونسب إلى يحيى بن الوشاء !
وهي كلها صور ، تختلف في بعض المواضع ، للشرح الذي وضع على قصيدة
نشوان بن سعيد الحميري التي نظم فيها تاريخ اليمن ، ونشر في القاهرة سنة ١٣٧٨ هـ
باسم (خلاصة السيرة الجامعة لمجائب أخبار الملوك النبابة) .
ويخيل إلينا أنها كلها لبست بعيدة عن أخبار عبيد بن شربة (ت حوالي ٦٧ هـ)
وكتاب التيجان الذي روى عن وهب بن منبه (ت ١١٤ هـ) والأكيل للهمداني
(ت ٣٣٤ هـ) ، حتى يمكن أن تعد هذه الكتب أصلاً لأخبارها ، جمعت منها
وزينت بشعر لا يبعد أن يكون الباقية أشاعوه أو أشاعوا بعده ، منذ القديم ،
على السنة ملوكهم ، ليصوروا حكمهم وسلطانهم الواسع .

(١) مكروفل بمسند إحياء المخطوطات العربية (١٣٠٦ تاريخ) مأخوذ عن النسخة
المحفوظة في الأمبروزيانا (G 3) .
(٢) ينتهي هذا الجزء عند الصفحة ٥٦ من كتاب (تاريخ العرب قبل الإسلام)
النسب إلى الأصمعي .

ونعتقد أن ذلك ، على كل حال ، لم يتم قبل القرن الخامس أو الرابع على الأقل^(١) ، ثم نسب إلى الأصمعي حيناً والوشاء حيناً ودعبل حيناً ، حتى جعل بعد ذلك يزمن في خلاصة السيرة الجامعة .

ونلاحظ ، فيما يتصل برواية الكتاب عن دعبل ، أن راويه المذكور في أوله هو (علي بن محمد الدعبل بن علي) . ولم يرد اسم دعبل معروفاً في غير هذا الكتاب . ولا يبعد أن يكون هذا من فعل أحد النساخ ، ضلته كلمة (الخزاعي) التي تتردد في هذه الأخبار ، على أن المقصود بها أبو سعيد الخزاعي .

وينبغي أن نذكر أخيراً أن الذين ذكروا دعبلاً في القديم والحديث ، وفيهم ابن النديم ، لم يذكروا له كتاباً ثالثاً غير الكتابين السابقين ، وأن الذين ترجموا للأصمعي والوشاء لم يذكروا لها مثل هذا الكتاب أيضاً .

★ ★ ★

ونخلص مما قدمنا إلى أن دعبلاً كتب كتابين في الشعر وأخبار الشعراء ، وفي مناقب العرب ومثالبها ، صب فيها ، على ما يبدو ، جماع ما حصل من معرفة بالشعراء وأخبارهم ، وبالأنسب وأحياء العرب ومثالبها ومناقبها . وتلك ، على التحقيق ، أبرز عناصر الثقافة العربية التي كانت شائعة في ذلك الحين ، وكان فرضاً على الشعراء أن يأخذوها ليفيدوا منها في شعرهم ويغنوا بها حسهم ويقفوا منها على أسرار الصناعة ، ليكون شعرهم على مثال يرضي أذواق الممدوحين من ناحية ، ويرضي ، من ناحية أخرى ، أذواق النقاد الذين كانوا في الغالب من علماء اللغة وكلام العرب .

الدكتور عبد الكريم الأشتر

(١) انظر تحقيقاً مفصلاً في الموضوع كتبه الأستاذ محمد الجاسر في جريدة الباحة : العدد ٢٦٧ الصادر بتاريخ ١٠/١٠/١٣٨٠ هـ ، والعدد ٢٦٩ الصادر بتاريخ ٢٣/١٠/١٣٨٠ هـ ، بعنوان : الكتاب العربي المخطوط (١ - ٢) .

نظرات في المعجم الوسيط

- ٥ -

خامساً : تعريف الحيوانات والطيور والأسماك والحشرات^(١)

الكلمة	تعريفها في المعجم الوسيط	الملاحظات
الأسد	سبع مفترس ، يضرب به المثل في القوة والجرأة .	ورد هذا التعريف في المعجمات القديمة ، ولا يليق الاكتفاء به في معجم حديث ، فالأسد : اسم يشمل الذكر والأنثى ، لحيوان من الفصيلة السنورية ورتبة اللواحم (آكلات اللحم) وطائفة الثدييات ، أي اللبونات . وهو من الوحوش الفارسية يعيش في إفريقيا وجنوبي آسيا ، ويعمر ثلاثين حتى أربعين سنة ^(٢) .

(١) كان حظ الحيوانات والطيور والأسماك والحشرات ، في المعجم الوسيط ، من التعريف العلمي ، دون حظ النباتات منه ، لأن أكثر ما أوردته هذا المعجم من تعريفات لها ، كان منقولاً عن المعجمات القديمة ، على أن المعجم الوسيط ، لم يخل من تعريفات علمية دقيقة ، لبعض أنواع الحيوانات والطيور والحشرات ، كتعريف الذئب والزرافة والشعور والشعور والحفزار والحريش الخ... وسنذكر أمثلة عن التعريفات المنقولة عن المعجمات القديمة ، والتي كان من الواجب أن ترد لها في المعجم الوسيط ، تعريفات علمية دقيقة ، كما نجد ما في المعجمات الأجنبية .

(٢) تزيد بعض المعجمات الأجنبية تعريفاتها للحيوانات الكبيرة ، معلومات مفيدة تصلحها ، نتذكر مثلاً في نهاية تعريف الأسد : صوته : زئير ، مأواه : عرين ، ولده : شبل ، أتناه : كبوة الخ...

ابن آوى حيوان وحشيّ شبيه بالذئب . هذا التعريف مقتضب ، وابن آوى :
 (ج) بنات آوى ، وبنو آوى . حيوان مفترس ، من الفصيلة الكلبيّة ورتبة
 اللواحم وطائفة الثدييات ، يتغذى من
 الطيور الدواجن والثدييات الصغيرة ، كما
 يتغذى من الجيف .

الببّر نوع من السباع يشبه النمر . (مع) . الببّر حيوان مفترس ، من الفصيلة
 (ج) ببّور . السنّورية ورتبة اللواحم ، وهو كبير
 مخطط خلافاً للنمر فهو أرقط ، والببّر ينسلق
 الأشجار ويستطيع السباحة في الأنهر ،
 ولا يعيش إلا في الأدغال الاستوائية .

الثعلب حيوانٌ من أكلة اللحوم ، الثعلب : جنس حيوانات مشهورة ، من
 ذو خنطوم مستطيل ، وقد يستخدم الفصيلة الكلبيّة ورتبة اللواحم ، يعيش
 في الصيد . ويضرب به المثل في على الدجاج والأرانب والطيور الصغيرة .
 الاحتيال . أثناء « ثعلبة » . يُصاد لجلده الذي يتخذ منه القرو ،
 (ج) ثعالب . وله عدة أنواع .

وفي تعريف المعجم جملة « وقد يستخدم
 في الصيد » وهي منقولة عن بعض المعجمات
 القديمة ، وأنا لا أصرف كيف يستخدم الثعلب
 في الصيد ، وبه يُضرب المثل في الاحتيال !

الحَمَارُ	النَّهَاقُ من ذوات الأَرْبع أَهْلِيًّا كان أَوْ وَحْشِيًّا .	من التعريفات الغريبة في المعجمات القديمة ، تعريف الحمار بصوته ، والحمار : حيوان داجن من الفصيلة الخيلية ، يستخدم للحمل والركوب ، واسمه العلمي : Equus asinus ، واسم الجنس Equus
الْفَرَّاءُ	حمار الوحش ، يقال في مثله : « كل الصَّيْد في جوف الفَرَّاء » بضم هـ المهملة : كلُّه دونه . (ج) فَرَّاءٌ وَأَقْرَاءٌ . ^(١)	يشمل الفرس والحمار والعتابي ، أي حمار الزرد ، والأخدر ، وفراء التبت وفراء الشام ، أي حمار الوحش ، وكل منها نوع ^(٢) ، والأخير هو ما يضرب المثل في صيده .
العَيْرُ	الحمار الوحشي والأهلي . (ج) أعيار .	وتعريف العَيْر بأنه الحمار الوحشي والأهلي ، ورد في أكثر المعجمات القديمة ، قال صاحب اللسان : وقد غلب على الوحشي . غير أن الأمثال التي تداولها العرب ، ووردت في المعاجم وكتب الأدب ، كقولهم في الرضا بالحاضر ونسيان الغائب : إن ذهب العَيْرُ فَعَيْرٌ في الرِّباط ، وقولهم في الذل : أذل من العَيْر ، وقولهم في الهوان على هون : كان عَيْرًا فاستأنن ، وقولهم في الموضع الذي لا خير فيه : هو

(١) يلاحظ أن ضبط هذا الجمع فيه تصحيف ، صحته يتسكين الفاء .

(٢) انظر معجم الشهابي ص ٤٠ و ٢٥٣ و ٦٨٧ .

كجوف العير ، أي ليس فيه ما يُنتفع به ،
 بينما حمار الوحش يصاد ويؤكل لحمه ،
 كثر هذا يرجع لدينا إطلاق العير على
 الحمار الأهلي ، وفي معجم الشهابي :
 العير تحل الحمار . حمار الضراب
 • Baudet

هذا وكان من المستحسن تعريف
 الأتان بأنها أنثى الحمار ، كما في أكثر
 المعاجم . وفي متن اللغة : الأتان الأنثى
 من الحمار . والأتانة غير صحيح أو قليل .
 وهذا القول مؤيد بما ورد في الأمثبات .

الأتان الحماره • (ج) أتن أتن •
 الأتانة الأتان •

ليس الجاموس نوعاً من البقر ، ولا هو
 أسود اللون دوماً ، والتعريف الصحيح له
 أنه : حيوان أهلي ، من جنس البقر والفصيلة
 البقرية ورتبة مزدوجات الأصابع
 المجتره ، يرى للحرث ودرّ اللبن^(١) .

الجاموس نوع من البقر ، أسود اللون ، ضخم
 الجثة ، واحدته جاموسة •
 (ج) جواميس •

الخنزير : حيوان داجون ، من الفصيلة
 الخنزيرية ورتبة مزدوجات الأصابع
 الجسثيات ، وله سلالات عديدة ،
 يربى للاستفادة من لحمه وجلده ، وهو من
 أفذر الحيوانات ، ومنه نوع وحشي
 يعيش في الأدغال •

الخنزير حيوان ثديي ثقل ذو فرطية
 طويلة وأنياب كبيرة ، خصوصاً
 عند الذكور منها . (ج) خنازير •

(١) انظر معجم الشهابي ص ١٠٧ •

الفيل' حيوانٌ ضخمُ الجسم ، ذو خرطوم طويل يتناول به الأشياء كاليد ، وتابان بارزان كبيران يُتخذُ منها العاج .

تعريف مقتضب ، وكان من المستحسن الإشارة إلى أن الفيل : من العواشب الثدييات ، وهو حيوان من الفصيلة الفيلية ورتبة الخرطوميات ، ويبلغ وزنه خمسة أطنان إلى ستة ، ويبلغ ارتفاعه مترين إلى مترين وسبعين سنتيمتراً ، وهو نوعان إفريقي وآسيوي . والفيل يمكن تأهيله واستخدامه .

ويلاحظ في التعريف سقوط لفظة (له) أثناء الطبع قبل : (تابان بارزان) .

في معجم الشهابي : القُنْدُس (فارسية معربة) جنس حيوان من الفصيلة القندسية ورتبة القواضم ، وهي مشهورة بفرائها .

تعريف مسهب ، ومع ذلك فقد خلا من أهم ما يعرف الكركدن به ، وهو أنه : حيوان من العواشب ، من الفصيلة الكركدنية ورتبة مفردات الأصابع .

القُنْدُس حيوان من القوارض المائية ، له ذنب قوي مفلطح ، وغشاء بين أصابع رجليه يستعين به على السباحة ، موطنه الأنهار الشمالية من آسيا وإفريقيا .

الكركدن حيوان من ذوات الحافر ، عظيم الجثة ، كبير البطن ، قصير القوائم ، غليظ الجلد ، له قرن واحد قائم فوق أذنه ، ولذلك يقال له (وحيد القرن) . لبعض أنواعه قرنان الواحد فوق الآخر ، وهو هندي وإفريقي .

الكلبُ حيوان من ذوات الأربع ذوسلالات
تعرّف الكلب بُباحه فريب ،
مختلفة ، يُعرف بُباحه ، ومنه
الوَخْشيّ ، والاليف الذي يحرس
المنازل والمواشي ، وقد يُدْرَب على
الصَيْد و - كلّ سبع عقور ،
وربما وُصف به ، يقال رجلٌ
كلب ، وامرأة كلبة : خبيثٌ
شَريرٌ .

الحلزون دويبة تكون في الرّمث ^(١) .
و - حيوان بحري رخو يعيش في
صدفه .
في هذا التعريف ، المنقول عن المعجمات
القديمة ، خلط بين نوعين من الحيوانات ،
وفيه تخصيص غير صحيح ، والحلزون :
جنس حيوان من الرخويات المعديات ،
يعيش في صدفة ، فيه أنواع يأكلها
الأوريون ^(٢) .

وبلاحظ وجود تصحيف في ضبط صدفة .

(١) انظر معجم الشهابي ص ١٥٤ .

(٢) الرّمث - كما في المعجم الوسيط - نبات بري من الجنس كثير في بادية الشام ، ينسب إلى القسيعة
الشرمقيّة . هذا وليس صحيحاً أن يقال ان الحلزون لا يكون الا في الرّمث ، أو أن
يقال انه حيوان بحري .

(٣) الحلزون Escargot هو الذي يعيش في صدفة ، وهناك حيوان آخر من الرخويات يسمى في
الشام : البراق وفي الفرنسية Limace ، لا صدف له . انظر معجم الشهابي ص ٢٥٦ و ٣٩٣ .

الحَيَّة	من الهوام ^(١) .	الحَيَّات رتبة من الحيوان ، فيها أنواع كثيرة ، كالتمبان والأفعى والصل وغيرها ^(٢) .
الأَفْعَى	حَيَّةٌ من شرار الحيات ، رَقَشَاءٌ دَقِيقَةٌ العُنُقُ ، عَرِيضَةٌ الرِّاسُ ، قَاتِلَةٌ النَّسَمِ (ج) أَنْعَامٌ .	جنس حيات سامة ، من فصيلة الأفاعي للذكر والأنثى . والذكر أُنْعُمَان .
الوَحْرَة	وَزَغَةٌ تَكُونُ فِي الصَّعَارَى ، أَصْفَرُ مِنَ الْمِطَاءَةِ ، عَلَى شَكْلِ سَامٍ أَمْرٍ ، تَعْدُو فِي الْجَبَابِينِ ، لَهَا ذَنْبٌ دَقِيقٌ تُضْرَبُ بِهِ إِذَا عَدَتْ ، لَا تَطَأُ شَيْئًا مِنْ طَعَامٍ أَوْ شَرَابٍ إِلَّا سَمَّتْهُ ، وَلَا يَأْكُلُهُ أَحَدٌ إِلَّا مَشَى بَطْنُهُ وَأَخَذَهُ قِيٌّ ، وَرَبَّمَا هَلَكَ ، وَهِيَ بَيْضَاءُ مَنقُطَةٌ بِحُمْرَةٍ ، وَهِيَ قَذِرَةٌ عِنْدَ الْعَرَبِ لَا تَأْكُلُهَا .	لا مكان لمثل هذا التعريف في معجم حديث ، والوَحْرَة ، على ما يظهر من تعريفها : ضَرْبٌ أَوْ نَوْعٌ مِنَ الْوَزَغِ ، وَهِيَ حَيَوَانَاتٌ مِنَ الْفَصِيلَةِ الْوَزَغِيَّةِ ، وَرَبَّةُ الْمِطَاءَةِ الْحَيَّاتِ الْأَلْسَةِ .
الصَّقْرُ	مَا يُصِيدُ مِنْ جَوَارِحِ الطَّيْرِ مَا خِلَا النَّسْرِ وَالْعُقَابِ - (ج) أَصْقَرٌ وَصُقُورٌ .	هذا تعريف منقول عن معجم قديم ، والصقر علياً : طَائِرٌ مِنَ الْجَوَارِحِ ، مِنَ الْفَصِيلَةِ الصَّقَرِيَّةِ ، وَهَذِهِ الْفَصِيلَةُ فِيهَا الصَّقْرُ ، وَالْبَازُ ، وَالشَّاهِينُ ، وَالْعُقَابُ ، وَالْيَاسُقُ ، وَالْحَنْدَاةُ الْخ . . (٣)

(١) جاء في المعجم الوسيط في مادة (ه م م) : الهامة : الدابة . وكل ذي سم يقتل سمه . (ج) هوام . وفي القاموس : الهامة : الدابة ج . هوام . قال شارحه : قال شمر : الهوام : الحيات وكل ذي سم يقتل ، وأما ما لا يقتل ويسم فهو النوام . وفي اللسان : الهوام : ما كان من حشائش الأرض ، نحو العقارب وما أشبهها .

(٢) راجع هذه الأنواع في معجم الشهابي ، وقارن تعريفاتها بما ورد في المعجم الوسيط .

(٣) انظر معجم الشهابي ص ٢٦٦ .

والصقور مشهور بمجدة البصر، يربى فتصاد
به الطيور، وقد يجمع على صقورة وصقار
وصقارة وصقر، كما في القاموس المحيط.

كيف يكون الباز من العصفور!
والمعروف أن الباز: أحد الكواسر من
الطيور، من الفصيلة الصقرية ورتبة
الجوارح، كما في معجم الشهابي.
ولعل التعريف جاء مصحفاً، وأريد
له أن يكون: ضرب من الصقور،
كما في القاموس، أما ما يستخدم في الصيد،
فأظنه الصقر نفسه.

وفي القاموس: الباز: البازي،
مثنى: يازان وبازيان، ويجمع على
بزاة وبواز وبزاة وأبوز. وقد
أغفل المعجم الوسيط كل هذا.

نقلت هذه التعريفات عن المعجمات
القديمة، بما فيها من تناقض وبعد عن
الدقة في التعريف، وقد جمع صاحب
اللسان أقوال علماء اللغة في تعريف
الحمام، ومنها ما يجعل حتى القطا من
الحمام^(١)، ومن ذلك قول الكسائي:

الباز ضرب من العصفور يستخدم في
الصيد (ج) أبواز، وبيزان.

الباز لغة في الباز. (ج) أبواز،
وبشوز، وبشزان. (انظر:
بوز).

الحمام من الطير: كل ما هدر، أو
شرب الماء من غير مص. ومنه
القاري، والفواخت، والدبامي،
سواء أكانت مطوقة أو غير
مطوقة، آفة أم وحشية.
(ج) حمام.

(١) القطا: جنس طير صحراوية من رتبة الدجاجيات، والفصيلة القطوية. انظر معجم الشهابي ص ٥٤١.
ومعجم الحيوان لأمين معلوف.

الحمامة	واحدة الحمام « الذكر والأنثى » . (ج) حمام .	الحمام هو انثري ، والبياد هو الذي يألف القيوت ، على أنه أشار إلى أن الحمام عند العامة في الدواجن فقط .
النحام	الحمام البري . واحدة : حمامة .	والحمام علياً : جنس طير من القصبية الحمامية ، ورتبة الحماميات ، فيه أنواع كالحمام والورشان ، والحمام الطر آفيا ويسمى الحمام الأزرق في مصر والشام . وهو أصل السلالات الأهلية من الحمام ، كالحمام المرعش ، وحمام الزاجل ، والمطوق ، والمرزوق ، والمتقلب ، والقنبري الخ . .
اليم	الحمام الوحشي . (ج) يوم .	أما القنبرية والاضطربية والفاخنة ، فهي من القصبية الحمامية ، ولكنها من جنس مستقل غير جنس الحمام (١) .

الدجاجة طير من الدواجن (الذكر والأنثى) .
تعريف مختضب وناقص . ورد
في القاموس المحيط : الدجاجة الذكر
والأنثى ويشتك . وفي اللسان :
الدجاجة والدجاجة : مروفة سميت
بذلك لاقبالها وإدبارها ، تقع على الذكر
والأنثى ، لأن الماء إنما دخلته على أنه
واحد من جنس ، وفي معجم الشهابي :

(١) راجع هذه الأسماء في معجم الشهابي .

دُجاجة: Poule (واسم الجنس الدجاج
وهو مثل الدال ، والفتح أصح ^(١) ...
جنس طير أهلية من رتبة الدجاجيات
والفصيلة التشنج ربيية فيها سلالات كثيرة) .

العَقْمَقُ طائرٌ نحو الحمامة طويل الذنب
فيه بياضٌ وسوادٌ ، وهو نوع
من الغربان ، والعرب تشاءم به

القُعْقُعُ العَقْمَقُ .

تعريف غريب منقول عن المعجمات
القديمة ، وتعريف العقمق — كما ورد
في معجم الشهابي — « جنس طير من
الفصيلة الغرايبة ورتبة الجواثم ، وهي
مختابة لها أذنان طوال ومناقير طوال
قوية ، تمش على رؤوس الشجر
وتقتدي بالحبوب والأثمار والحشرات
ويبيض الطيور حتى صفار الطير . وهي
ذكية شرسة تعد من أفسر الطيور » .
وبالاحظ أن المعجم الوسيط ، في تعريف
القُعْقُعِ ، أحال على تعريف العَقْمَقِ ،
وبرغم هذه الإحالة وضع رسم طائر
يختلف شكله تمام الاختلاف عن شكل
الرسم الموضوع إلى جانب العقمق .
وبما يلاحظ في تعريف العقمق وجود
تصحيف في ضبط لفظة (طويل) .

(١) فتح الدال أصح في الجمع ، على ما ورد في اللسان .

البَلْتَمُ	صغارُ السمك .	ورد مثل هذا التعريف في القاموس ، وليس البَلْتَمُ عليًا صغار السمك ، إنما هو : جنس سمك صغار من فصيلة الصابوغيات . يحفظ ويباع معلبًا .
السَّرْدِينُ	ضرب من السمك الصغير يملح ويحفظ . (د) .	في معجم الشهابي سَرْدِين (معربة Sardine) سمك مشهور من الفصيلة الصابوغية ، منسوب إلى جزيرة سردينية .
الحوت	العظيم من السمك . (ج) حيتان .	لبس الحوت عليًا : العظيم من السمك ، بل هو : أنواع مختلفة من رتبة الحيتان ، وهي من الثدييات المائية الكبيرة الحجم ، وتشبه السمك في شكلها العام ، وتعيش في البحار .
البال	سمكة غليظة تدعى جَمَلُ البحر (الحوت العظيم) .	
الدَّخْسُ	دابة في البحر تنجي الغريق بأن تمكته من ظهرها ليستعين على السباحة ، يقال لها الدُّلْفِين .	تقل المعجم الوسيط هذين التعريفين عن المعاجم القديمة بما فيها من خرافة شاعت قديمًا . أما الدَّخْسُ أو الدُّلْفِين فهما — كما في معجم الشهابي — جنس حيوانات لبونة من رتبة الحوتيات يعيشن في البحار . وبلاحظ في التعريفين ، استعمال كلمة (دابة) والدَّابة : كل ما يدرب على الأرض . كما يلاحظ أن المعجم الوسيط أوضح التعريف برسمين مختلفين .
الدُّلْفِينُ	دابة في البحر يقال إنها تَنْجِي الغريق .	

المَنْبَر	مادة مصلية ، لا طعم لها ولا ريح	كان من حق هذه التعريفات لمعاني
	إلا إذا سحقت أو أحرقت ، يقال	المنبر الثلاثة ، أن يفصل بينها ، وخاصة
	إنه روث دابة بحرية . - سمكة	بعد أن ذكر أن ثاليتها معرب .
	بحرية يؤخذ من جلدها تروس	ولعل تعريف المنبر الصحيح علمياً :
	الحرب . - بناء رطب يتخذ للغزن	المنبر : حيوان ثديي بحري من الفصيلة
	أو العمل وماوى للجنود أو المرضى .	انقبضية ورتبة الحيتان ، بفرز مادة
	(مع) أنبر . (ج) عنابر .	المنبر . (ج) عنابر .
		و - كئل تخرجها بعض الحيتان (ولاسيما
		حيوان المنبر) مع رجليها ^(١) ، وهذه الكئل ،
		تطفو على سطح البحر ، وهي مؤلفة من مادة
		شبهية بفرزها الرخويات الرأسية الأرجل ،
		التي تتغذى منها تلك الحيتان .
		وللمنبر رائحة زكية .
		و - محرفة من أنبار (فارسية) ،
		تطلقها العامة على عزن الغلة ، ومارى
		الجنود أو المرضى ^(٢) .

(١) من لطيف ما ورد في اللسان ، حديث ابن عباس : أنه سئل عن زكاة المنبر فقال : إنما هو شيء دسره البحر .

(٢) نقل للمعجم الوسيط عن بعض الأمهات تعريف الأنبار في مادة (ن ب ر) فذكر : ان الأنبار : بيت التاجر الذي يجمع فيه للتاع والغلال . و - أكداس البُر . واحدهما : بُير . (ج) أباير . دون أن يذكر ان هذه الكلمة معربة وأنها كلمة المنبر نفسها عند العامة

العنكبوت دريئة تنسج من أعاليها في الهواء
وعلى رأس البئر نسيجا رفيقا
يولملا تصيد به طعاما (مؤثقا)
وقد تذكر (ج) عنكبوتات ،
وعنكب ، وعنكب كيب .
الرثبلى ضرب من العناكب .
الرثبلاء الرثبلى .
الجلجل حيوان كالخنفساء يكثر في المواضع
الندية . (ج) جملان .

هذا التعريف للعنكبوت ، المنقول عن
المعجم القديمة . يستحسن أن لا يثبت في المعجم
حديث ، لأن خيوط العنكبوت
لا تنسج في الهواء ، لا على رأس البئر
فحسب ، والعنكبوت - كما في معجم
الشهابي - جنس حيوانات من رتبة
العناكب أي الرثبلاء ، فيه
أنواع عديدة .

تعريف منقول عن المعجمات القديمة ،
والجلجل حشرة ، ويعرف علميا بأنه : جنس
خناس من مفردات الأجنحة .
تعريف حسن لليسوب ، وكان صاحب
القاموس عرفت بأنه : أمير النحل وذكراها ،
وقد أغفل المعجم الوسيط معنى آخر
لليسوب وهو : جنس حشرات من الفصيلة
اليسوبية ^(١) ، وفي القاموس اليسوب :
طائر أصفر من الجرادة أو أعظم ،
وضرب من الجملان ، ومغرة في وجه
الفرس وغير ذلك .

عبد الله الخطيب

(يتبع)

(١) انظر معجم الشهابي ص ٣٩٠ و ٥٥٦ .

العربية التونسية

ربما انصرف ذهن القارئ، إلى أني سأتكلم على اللغة العامية الدارجة في تونس ، ولكنني لم أقصد إلى هذا ، وإن كانت هذه الألوان العامية حربية بالدرس والبحث عملاً بالنهج العلمي في درس اللغات دراسة تاريخية تعين على فهم شيء من تاريخ فصيح العربية .

وقد تهيأ لي أن أقضي في تونس ما يقرب من سنة كاملة ، فكان لي أن ألتُ بشيء يتصل بأدب القوم وطرف آخر من معارفهم ، وأسلوبيهم في الكتابة . ولم أقتصر على النظر في هذه الأمور ، فقد استوقفتني لغة الصحافة اليومية بما فيها من خبر سياسي ، وآخر يتعلق بما يجري بين الناس في معاملاتهم وشؤونهم الخاصة ، وما يعرض لهم من أمور . ولم أقتصر كذلك على النظر في هذه الأبواب في هذه الفترة التي نباشرها في تأريخنا المعاصر ، بل تخطيتها إلى النظر في الصحف والمجلات التي ظهرت في عهد ما قبل الاستقلال .

وهذه الفترة الأخيرة مفيدة لنا نحن المشارقة الذين ضرب المستعمر بيننا وبين

أخواننا في الشمال الإفريقي .

وقد قلت : أني وقفت على أشياء كثيرة تتصل بلغة التونسيين فرأيت أن أسجلها وأشير إليها خدمة للتاريخ اللغوي . ولم أرد أن أسلك في هذا البحث مسلك التخطئة فأدل على مكان التجاوز للفصيح في هذه الاستعمالات التونسية ، ذلك أن هذه الاستعمالات التونسية فصيحة ، وإن عرض لها شيء يبعدها عن الفصيح المشهور ، فقد أقصفت بلون من الإقليمية أو قل المحلية ، ولهذا أسباب سأعرض لها عند

الكلام على هذه الاستعمالات . ولا أريد أن أنهي هذه المقدمة القصيرة دون أن أشير إلى أن هذه العربية التونسية قد حفلت بشيء من الفصح القديم الذي ندر استعماله في بلاد المشرق .

يشيع في هذه اللغة صيغ صربية لم تجر على نحو ما نصت عليه كتب اللغة ، أو على نحو ما جرى الاستعمال به في غير هذه الديار فمن ذلك :

الفعل « حَجَرَ » ، فالمعروف في استعماله أن يجي « ثلاثياً مجرداً » والقاعدة اللغوية تجري على أنه إذا سمع المجرد فلا يلجأ إلى المزيد إلا لفائدة مقتضاة ^(١) ، ولكن التونسيين يستعملون هذا الفعل بصيغة التضعيف فيقولون مثلاً : « حَجَّرَت الحكومة الإفطار العتي في خلال شهر الصوم » . أو أنك تقرأ على لافتة في الطريق « وقوف السيارات محجَّر هنا » ومعنى هذا أن صيغة المضعف من هذا الفعل هو الفصح الجاري عندهم فهم يستعملونه كما يستعملون سائر الصيغ التي تأتي منه كاسم المفعول مثلاً .

هذا هو الاستعمال التونسي أما الفصح المشهور فإن الفعل « حَجَرَ » الثلاثي المجرد يعني « منع » والحجر هو المنع وفي لغة التزييل : « ويقولون حَجَرًا محجوراً » ^(٢)

(١) هذه القاعدة أخذت بها الرمية وجرى عليها الاستعمال ؛ وفي لغة التزييل ما يؤيد ذلك فقد قال تعالى : « يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطركم سليمان وجنوده » (سورة النمل ١٨) . ألا ترى أن الفعل « حطم » جاء بصيغة المجرد ولم يأت مضعفاً كما هو شائع في استعمالنا الحديث ، ولكن الاستعمال يدل عن المجرد إلى المزيد لفائدة يقتضيا المعنى ، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى : « يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم » (سورة القصص ٤) فالفعل « يذبح » جاء مضعفاً والتضعيف في هذا المقام فائدة خاصة للدلالة على التهويل والاستغظام . ومن هذه القوائد ما ورد في قوله تعالى : « وغلقت الأبواب » (سورة يوسف ٢٢) فالتضعيف في الفعل يفيد الكثرة .

(٢) اللسان مادة « حجر » سورة الفرقان ٢٢ .

أي حراماً محرماً فقد استعمل الثلاثي المجرد في صيغة اسم المفعول ، ومنه قولهم « حَجَّرَ عليه القاضي يحجِّرُ حَجْرًا » إذا منعه من التصرف في ماله . وفي حديث عائشة وابن الزبير : « لقد همت أن أُحجِّرَ عليها » هو من الحَجَر المنع ، ومنه حَجَّرَ القاضي على الصغير والسفيه إذا منعها من التصرف في مالها .

وينبغي من هذا الفعل وزن « تَفَعَّلَ » فيقال تحجَّر على ما وسعه الله ^(١) أي حرَّمه وضيَّقه . وفي الحديث لقد تحجَّرت واسعاً ، أي ضيقت ما وسعه الله وخصصت به نفسك دون غيرك ، وقد حَجَّرَهُ وحجَّرَهُ .

وينصرف المضعف من هذا الفعل إلى معانٍ أخرى فيقال : حَجَّرَ القمر إذا استدار بخبط دقيق من غير أن يلفظ ، وكذلك إذا صارت حوله دارة في الفيم . والتحجير أيضاً أن تسمَّ حول عين البعير بميسم مستدير ^(٢) .

ومن هذه الاستعمالات التونسية الفعل « تَحَصَّلَ » على وزن تَفَعَّل وهي تدخل في الباب المتقدم ذكره ، فالتونسيون يستعملون هذه الصيغة ولا يفتنون إلى أن المجرد يغني عنه ويسد مسده ، وليس من ضرورة استدعي اللجوء إلى هذه الصيغة ، فهم يقولون مثلاً : « تَحَصَّلَت الحكومة على النتائج الباهرة في مقارعة التخلف الاقتصادي » فيعدون الفعل بـ « على » كما يتعدى الفعل المجرد « حَصَلَ » بهذا الحرف نفسه . وهذه الصيغة غير معروفة على هذا النحو في الفصح المشهور ذلك أنهم يقولون « تَحَصَّلَ الشيء » بمعنى تجمع وثبت ^(٣) . وهذه الزيادة في هذا الفعل قد نقلت الفعل إلى معنى آخر .

(١) اللسان مادة « حَجَر » .

(٢) الصحاح مادة « حَجَر » .

(٣) اللسان مادة « حَصَلَ » .

ومن هذه الأفعال التي ترد في الاستعمال التونسي على نحو خاص الفعل « وَقَعَ » ولا بد من النظر في هذا الفعل فقد كثر استعماله بشكل يدعو إلى التأمل ، كأن يقال « المسألة التي وقع بحثها » ولا يقال المسألة التي بُحِثت . ويقولون : « المشكل الذي وقع النقاش فيه » وأنت واجد مثل هذا الاستعمال في الصحف والمجلات والكتب العلمية وهو من الكثرة بحيث يجب الوقوف عليه . وأظن أن هذا الاستعمال قد حصل في العربية التونسية بسبب التأثير بالاستعمالات الفرنسية ، واللغة الفرنسية ذات أثر في الاستعمال التونسي كما سنبين .

ومن هذه الأفعال أيضاً الفعل « أطرَد » والتونسيون لا يستعملون المجرد الفصح المشهور والذي يعني عن هذه الصيغة الزيادة فيقولون مثلاً : « أطرَد العامل من عمله » وفي الفصح المشهور الطرد الإبعاد ، والرجل مطرود وطريد ، أما الفعل « أطرَد » فلها استعمال خاص فيقال : أطرَدت الإبل أي أمرت بطردها ، وفلان أطرده السلطان إذا أمر بإخراجه عن بلده ^(١) .

قال ابن السكيت : أطرَدته إذا صيرته طريداً ، وطردته إذا قفّيته عنك وقلت له : اذهب عنا . وابن شميل يقول : أطرَدت الرجل أي جعلته طريداً لا يأمن . فأنت ترى أن صيغة « أطرَد » تفيد فائدة ، وهي تؤدي خصوصية مضمونة لا تأتي من المجرد « طرد » .

ومن هذه الاستعمالات التونسية قولهم : « اقتبل نخامة الرئيس الوفد التجاري على الساعة العاشرة صباحاً » . وفي هذه الجملة نجد الفعل « اقتبل » فيشير استغرابنا ، ذلك أننا لم نألف هذه الزيادة في الفعل « قبل » ، والمراد منها « استقبل » المشهور الشائع . وفي كتب اللغة : « اقتبل أمرء » إذا استأنفه ^(٢) . ومن هنا فالاستعمال التونسي استعمال خاص لم تذكره معجمات العربية وكتب اللغة الأخرى .

(٢) اللسان مادة « طرد » .

(٣) اللسان مادة « قبل » .

ثم إنك تلح في هذه الجملة شيئاً آخر ، ذلك هو استعمال حرف الجر « على »
للدلالة على الظرفية ، والمشهور المعروف ان الحرف « في » هو الذي يؤدي هذه
الشرفية الزمنية ، وليس لنا أن نلجأ إلى التأويل فنقول إن الحرف « على » تضمن معنى
« في » فنقول بالتضمن الذي يشيع في حروف الجر ، ذلك أن هذا الخروج
التضمني لم يؤيده السماع .

ومن هذه الأفعال التي يتجاوزون في استعمالها الفصيحة المشهور الفعل « أبهر »
ويريدون به الثلاثي « بهر » فيقولون مثلاً « أبهرتُ بما شاهدته من التقدم العلمي »
وكان الأصوب والأرشد أن يقال « بهرت » .

وزيادة المحزنة في هذا الفعل تنقل الفعل إلى معانٍ أخرى كما تنص على ذلك
كتب اللغة ، فالفعل « أبهر » استغنى بعد فقر ، وأبهر تزوج صيدة وهي البهيرة ،
وأبهر الرجل إذا تلون في أخلاقه دماً مرة وخبثاً أخرى ^(١) .

وقد تقرأ في الصحف التونسية ولا سيما ما ظهر منها قبل الاستقلال قولهم
« ذكرت الرصيفة « الثريا » خبر استقالة الوزارة » . وفي هذه الجملة بنوا من الفعل
« رصف » على فعيلة للدلالة على ما نستعمل في عربيتنا السائرة في أيامنا هذه لفظة
« الرصيلة » وهو استعمال خاص بهم لا يدرك إلا بهذا التوسع في دلالة الفعل « رصف » ^(٢) .
ومن أفاظهم الاصطلاحية كلمة « التعبير » وهي كلمة تدل على لون من ألوان
الصناعة الحديثة . وهو اصطلاح لا نعرفه في المشرق وإنما نستعمل « التعليب »
ومعناه خزن الفواكه واللحوم والخضر في الصفايح المعدنية . واستخدمهم هذا

(١) اللسان مادة « بهر » .

(٢) جاء في « المعجم الوسيط » : هو رصيف فلان أي يحاكيه في عمله ويألفه ولا يفارقه .
وهي رصيفة . وراجعنا اللسان والتاج والصاح فلم نجد فيها معنى المحاكاة في العمل .
ومع هذا فالمعنى المذكور معروف في العام . (لجنة المجلة)

الاصطلاح لا يتخلو من أساس لغوي معروف ، فأصل الصبر الحبس^(١) ، وكل من حبس شيئاً فقد صبره ، ومنه الحديث : نهى عن المصبورة ، ونهى عن صبر ذي الروح ، والمصبورة التي نهى عنها : هي المحبوسة على الموت . وفي حديث آخر في رجل أمسك رجلاً وقتله آخر فقال : اقتلوا القاتل وامبروا الصابر يعني احبسوا الذي حبسه لموت حتى يموت كفعله به قال عنتره :

فصبرت عارفة لذلك حرة ترسو إذا نفس الجبان تطلّع

يقول : حبست نفساً صابرة .

فأنت ترى أنهم بنوا مصطلحهم من فكرة الحبس الذي يؤدى بالفعل « صبر » كما أن « التعليب » في استعمال المشاركة جاء من « علبه » والعلبة في اللغة قدح ضخم من جلود الإبل . وقيل العلبة من خشب كالقدح الضخم يحلب فيها^(٢) . وما زال العراقيون يستعملون العلبة للإبقاء الذي يضعون فيه اللبن الخاثر ، وهي من خشب .

وأنت تقرأ في كتبهم الفقهية مثلاً : « يجوز المتسوغى أراخي الدولة أن يتمتعوا بالفوائد التي تضمنها فصول القانون » والمتسوغ من مصطلحاتهم القانونية فهو المستأجر ، ويبدو أن هذا الاستعمال قديم في لغتهم القضائية .

و « الفصول » عندنا تقابل « المواد » القانونية في اصطلاحنا .

وتأخذ الصحيفة اليومية تقرأ في الصفحة الأولى : « خطاب الممثل القار للجمهورية التونسية في ندوة الأمم المتحدة » . وتعيد قراءة هذه الفقرة فتقف على كلمة « القار » ، فتلمح فيها شيئاً لم تألفه ، ثم تعرف أن التونسيين يريدون بالقار كلمة « الدائم » أي الممثل الدائم . فقد بنوا من الفعل « قر » على وزن فاعل للتعبير

(٣) اللسان مادة « صبر » .

(٤) اللسان مادة « علب » .

عن هذا المعنى ، وما أظن أن هذا الفعل يوصلهم إلى ما يريدون يسر . وهذا لون من ألوان التوسع في الاستعمال .

وربما يدفعك حب التضلع فتقرأ الأخبار القضائية فتقرأ فيها « القرار المخدوش فيه » ويريدون بأخذش على صيل الخاز الطعن كما في استعمالنا مثلاً « القرار المطعون فيه » .

وللقوم أساليب خاصة في التعبير عن شؤونهم وما يضطربون فيه ، وهذه التعابير وإن كانت عربية فهي موسومة بأقلية محلية ، فأنت تقرأ في الصحيفة التونسية : « ازدان فراش السيد فلان وعقبك ببولود ذكر أسمياه محمداً » فهذا اللون من التعبير لا نجده إلا في الصحف التونسية .

وقد تجد في هذه العربية التونسية شيئاً آخر ، هو أن المادة العربية الفصيحة استعملت في دلالة جديدة لا تمت إلى الأصل بسبب ، أو قل إن المادة الفصيحة قد أحالها الاستعمال إلى مادة عامية دارجة . ومن ذلك مادة « شيع » فيبتون منها الفعل « شاح » واسم الفاعل « شايح » لتدل على الجفاف واليبس ، فإذا قالوا : لحم شايح فيريدون به (جاف) ، وشاحت الناكهة أي جفت ويبست .

وإذا رجعنا إلى كتب اللغة نرى مادة « شيع »^(١) ودلالاتها على الحذر والجد ، والشائح والمشيح والشيع هو الحذر الجاد . ولا نعلم وجهاً للتقريب بين الفصيحة والمستعمل الدارج .

وقد تقرأ من استعمالاتهم ما يفتي على أصول قديمة ولكنهم استخدموا بشيء من التوسع لأغراض جديدة ، ومن ذلك ما نجد أحياناً في الصحف من استعمالاتهم « الوسق » بمعنى التصدير للبضائع . والوسق بفتح الواو وكسرهما هو حمل بعير ، وهو ستون صاعاً ، والوسق وقر التخلّة ، ووسقت الشيء أسقه وسقاً إذا حملته^(٢) .

(١) اللسان مادة « شيع » .

(٢) اللسان مادة « وسق » .

وفي لغتنا التجارية التصدير للبضاعة . ويقابله الاستيراد . ولكن اتوسين يعدلون عن الاستيراد إلى التوريد . قال ابن سيده تورده واستورده كورده^(١) . وتقرأ في هذا الباب قولهم : « وردت الحكومة البضائع التي ثبتت صلاحيتها للاستهلاك » ويريدون بالصلاحية الصلاح ، والمصدر من « صلح » صلاح وصلاح . وليس من حاجة إلى المصدر الصناعي « صلاحية » لأن هذا المصدر أكثر ما يلجأ إليه في مادة المصطلح الفني .

وهناك ألفاظ ذات مدلولات تونسية اصطلاحية غير معروفة عند المشاركة مثلاً ومنها : « التربص » ويراد به ما يراد بالكلمة الفرنسية Stage وما نصلح عليه « بالدورة التدريبية » لاكتساب الخبرة والتجربة في فن من الفنون . وليس من سبيل إلى استعارة « التربص » في هذا المعنى إلا بالتوسع البعيد . ومثل هذا المصطلح « المناظرة » بمعنى الاختبار والامتحان للحصول على السابق في النتيجة ، وفي هذا مجازة وابتعاد عن الامتحان والاختبار اللذين يراد بهما النجاح ليس غير . على أن في أخبار الأدب القديم ما يشبه استعمال التونسيين لهذه الكلمة ، كالمناظرة بين الكسائي وسيبويه مثلاً .

وتقرأ في الصحف التونسية « السلم العالية » و « استببت السلم » وهو خلاف المشهور من تذكر السلم في لغة المشاركة . وكتب اللغة تشير إلى فصاحة هذا الاستعمال ، فقد جاء في لسان العرب : السلم بفتح السين وكسرهما الصلح يذكر ويؤنث^(٢) .

وقد وردت هذه الكلمة في لغة التنزيل . فجاءت بكسر السين في سورة البقرة^(٣) كما جاءت بفتح السين في قوله تعالى « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها »^(٤) وقد جاء

(١) اللسان مادة « ورد » .

(٢) لسان مادة « سلم » .

(٣) سورة البقرة ٢٠٨ .

(٤) سورة الأنازال ٦١ .

ضمير الغيبة الذي يعود للسّم مؤثّراً في هذه الآية ، كما جاءت بفتح السين واللام في أربع آيات أخرى في سور مختلفة .

وترى التونسيين يستعملون الفاظاً لا نجدها في استعمالنا المشرقي ، ولكنها فصيحَةٌ تثبتُها معجمات العربية ، فأنت تقرأ في صحيفة من صحفهم : ان التاجر الفلاني يزف البشرى إلى « حرفائه » و « الحرفاء » جمع « حريف » وحريف الرجل معاملة في حرفته ^(١) . والحريف يقابل « الزبون » في لغة المشاركة وجمعت على « زبائن » كما هو الدارج المألوف ، واستعارة الزبون لهذا المعنى شيء موله ، وكتب اللغة لا تثبت هذه الدلالة ، فالناقة الزبون هي التي تدفع حاليها .

والفصيح القديم كثير في اللغة التونسية فهم يطلقون « الشارع » على الطريق العريض الواسع ، و « النهج » على الطريق الذي دونه ، و « الزّقة » على الطريق الضيق الذي لا ينفذ « Impasse » . وأكبر الظن أن هذه الكلمة الأخيرة تقابل « الزقاق » في استعمالنا ، وهي قريبة منها في الاشتقاق . والزقاق يضم الزاي السكّة بذكر وبؤث ، وقيل : الزقاق الطريق الضيق دون السكّة .

على أن « الزّقة » قد وردت في فصيح العربية وهي ميل في جدار في سكّة أو عرقوب واد . والزّقة السكّة الضيقة . وفي حديث عثمان « من يشتري هذه الزّقة فيزبدها في المسجد » .

ويستعملون « الأحواز » جمع « حَوْز » للدلالة على الجهات القريبة من المدينة الكبيرة كما نستعمل « الضواحي » أو « الأرباض » أو ما شابه ذلك ، فيقولون مثلاً « تونس والأحواز » يريدون العاصمة وما جاورها . والحوز في كتب اللغة ما انضم إلى الدار من المرافق والمنافع . وفي الحديث : « فحى حوزة الإسلام » أي حدوده ونواحيه . وهكذا استعملت الكلمة التونسية بشيء من التوسع للاستفادة منها في هذه الدلالة الجديدة .

(١) اللسان مائة « حرف » .

وفي التنظيمات الادارية نجد ان المدينة الكبيرة يطلق عليها «الولاية» ، وصاحب الولاية هو «الوالي» ، والولاية والوالي من الكلمات التي استعملت قديماً ، وظلت مستعملة إلى زعمود القرية الماضية ، وكان على الولاية قبل ثورة الاستقلال «القائد» . ويأتي بعد الولاية في التنظيم الاداري «المعمدية» وهي أصغر من الولاية . ومعنى ذلك ان الولاية يتبعها «معمديات» عدة ، وصاحب المعمدية هو «المعتمد» وهذا من المصطلح الجديد الذي لا نراه في غير تونس . وكان على هذه الشبة من التنظيم الاداري في عهد الحماية الفرنسية «الكاهنة»^(١) . ثم تأتي «الشيخة» للقصة الصغيرة وصاحبها هو «الشيخ» .

وقد تسمع في تونس وغيرها من الشمال الاقريقي ألفاظاً في هذا الباب لا نعرف له أصلاً ومن ذلك : «الذشرة» للجماعة الصغيرة المستوطنة في مكان معين ، وهي لا تدخل في التنظيمات الادارية الرسمية ، ومثلها «الداشر» في المعنى نفسه للمجمعات الصغيرة .

ومن المناسب أن نعرض للألفاظ المتعلقة «بالوظائف الحكومي» ، ونقول الوظيفة الحكومي وليس الوظائف الحكومية كما هو المسموع عادة . وفي هذا الباب مادة كثيرة لم نعرفها في غير أقطار الشمالي الاقريقي بصورة خاصة . ولا بد أن تأتي على هذا الجانب من هذه المادة اللغوية وهو :

(١) مدير المراسم لرئيس الجمهورية ، وهو الموظف الكبير الذي يكلف أموراً معينة كاستقبال ضيف كبير أو ما أشبه ذلك ، وهي تقابل عندنا «مدير التشریفات» أو شيئاً يشبه ذلك .

(٢) كاتب الدولة ، وهو منصب معروف في تونس ، و«كاتب الدولة» عندم هو «الوزير» عندنا . وكأنهم عدلوا عن الوزير وهو كلمة واحدة إلى هذا

(١) من الألفاظ التركية .

التركيب الإضافي تقليدياً وترجمة للكلمة الفرنسية في هذا الباب «*Secrétaire d'Etat*»
وعلى هذا الأساس أيضاً لم تكن لفظة «الوزارة» في جدول مناصبهم الرسمية ،
فهي «كتابة الدولة لتربية القومية» . وأود أن أُنَبِّه إلى أن الوصف بكلمة
«القومية» أو «القومي» يرد كثيراً في أسماء الإدارات الرسمية وشبه الرسمية
نحو «مندوب القسم القومي» ، و «الجامعة القومية لاتحاد النقابات» . وهذا
الوصف لا يرمز إلى شيء من معناه المتعارف عندنا في الديار المشرقية ، فهو مقابل
لللمة الفرنسية «*National*» ^(١) .

(٣) كتابة الدولة للفلاحة ، و «الفلاحة» عندهم هي «الزراعة» في الميادين
الرسمية وفي اللغة العامة ، و «الفلاح» عند التونسيين هو غير المشتغل بالأرض
كما هي الحال عندنا ، فهو المالك للأرض والمتفعم منها والمستثمر لها فلا يقولون :
«زارع» أو «زرّاع» أو كما تقول في استعمالنا الشائع اليوم «مزارع» .
وهكذا جاءت «الفلاحة» في كثير من مصادرهم التاريخية القديمة ، وقد استعمل
ابن خلدون في المقدمة «الفلاحة» ولم يستعمل «الزراعة» مثلاً ^(٢) .

(٤) «مصلحة الاستخلاص» نجد لفظة «الاستخلاص» مستعملة كثيراً لغرض
فني فالمراد بها «الاستحصا» للرسوم والضرائب مثلاً كأن تقرأ «استخلاص
الاداءات القارة» .

وقد تقرأ «قباضة الاداءات القارة» و «القباض» تعني المكان الذي تلم
فيه «الاداءات» ، والاداءات هي «الضرائب» التي يجب أدائها ، أما

(١) ترجمة الفرنسية بكلمة قومي صحيحة ، وهي المستعملة في مصر والشام (لجنة المحلة)

(٢) لم يستعمل القدماء في الشرق والغرب إلا كلمة «الفلاحة» بمعنى «*Agriculture*»
فقالوا كتاب الفلاحة الرومية ، وكتاب الفلاحة النبطية ، وكتاب الفلاحة
الأندلسية وهكذا .. (لجنة المحلة)

« انتقارة » فقد مرت بنا وأسلمنا الكلام عليها . وقد تكون انتقاسة الإدارة التي يتسلم منها الموظفون مرتباتهم الشهرية .

(٥) « المكتب الجهوي لجراية التفتيش » والمراد « بالمكتب الجهوي » المكتب الذي ترجع إليه شؤون الجهات والاقاليم غير العاصمة ، وقد يطلق على هذه « الجهات » « الآفاق » كأن يقال : « فلان من محامي الآفاق » أي مختلف الجهات ما خلا العاصمة .

و « الجهوي » نسبة إلى « جهة » . وهذه النسبة غير معروفة في النصيح المشهور ، فكأنهم ردوا المحذوف وهو فاء الكلمة ، والصحيح فيها عدم رد المحذوف إذا كان فاء لا لاما ، فالنسبة إلى « عدة » « عِدَيَّ » . ومثل هذا التجاوز ما نرى من النسبة إلى « وحدة » في إيماننا هذه فيقولون : « فلان وحدوي » أي من أنصار « الوحدة » ، لتوحدة بين الأقطار العربية ، وزيادة الواو قبل ياء النسب لم تجر على وجه صحيح ، والصحيح هو « وحدوي » . أما « الجراية » فهي من المصطلح الذي لم يشع في عصرنا هذا فهو المعين المرسوم من تقد أو عين .

(٦) « القيم العام » وهو ما يقابله في الفرنسية Surveillant général وهو مسؤول في المدارس الثانوية عن ضبط النظام وعن أمور أخرى وهو يساعد ناظر المدرسة في ذلك .

(٧) « المتفقد » هو ما يقابل عندنا « المفتش » وعندهم متفقد للتعليم الثانوي ومثله للتعليم الابتدائي وغير ذلك مما يمس دائرة التفتيش في مجالات عدة .

(٨) « الحجرة التجارية للحاضرة » ، وقد عدلوا عن (الغرفة) التي يستعملها أهل المشرق في هذا الأمر ، وما أظنهم أرادوا التمييز بين الحجرة والغرفة من حيث الاصطلاح اللغوي . و (الحاضرة) عندهم هي مدينة تونس دون

سائر المدن الأخرى فإذا أطلقت فهم المراد من لفظة (الحاضرة) ولم يختلط الأمر بالحواضر الأخرى .

(٩) « الرائد الرسمي » وهو الجريدة الرسمية سميت بهذا الاسم تمييزاً من كونها تختلف عن الجرائد الأخرى .

(١٠) « الصبايحي » وهو عون من أعوان (الوالي) يقوم بشؤون الوالي فهو سجين الموقوفين أو غير ذلك .

(١١) « المطالب » ويقابل لفظ (العريضة) عند أهل المشرق ، وربما كان من أثر الترجمة عن الفرنسية فهو فيها « Derande » . وهم يقولون مثلاً : (على المترشحين للدارس الثانوية ان يعثروا المطالب الضرورية) ولفظ (التعمير) يقابل (التحريز) عندنا ، وهذا شيء لا نعرفه من معنى التعمير .

الألقاب العسكرية :

ما زالت هذه الألقاب تحفل بالدخيل الأجنبي من تركي قديم إلى فرنسي جاء به الحكم الاستعماري . ومن ذلك مثلاً : (الشاوش) و (الباش شاوش) و (الأمير ألي) و (اليوزباشي) و (القائم مقام)^(١) و (الكوميسار) وغير ذلك .

مصطلحات الجامع الأعظم :

هو « جامع الزيتونة » الشهير في التاريخ التونسي ، وهو صفحة من الصفحات المشرقة ، والمعهد الأول لتونس ، ولهذا المعهد مصطلحاته وألقابه فعندهم :

١ - (الشيخ) ويطلق على خريج الجامع الأعظم وعلى من يباشر التدريس فيه .

٢ - (الأهلية) وهي شهادة الدراسة الابتدائية في المعهد .

٣ - (التحصيل) وهي شهادة الدراسة الثانوية وتقابل البكالوريا .

٤ - (العالية) وهي شهادة الدراسة العالية وتقابل الليسانس في الأنظمة الحديثة .

(١) « القائم مقام » من الألفاظ التي استعملها الترك بالإفادة من المادة العربية .

المصطلحات القضائية :

- للتونسيين مصطلحات خاصة بهم في هذا الباب لا بد من تسجيلها ، ومن ذلك :
- ١ - (محكمة التعقيب) التي يطلق عليها في جبات عدة من المشرق (محكمة التمييز) أو (محكمة النقض والايبرام) كما في مصر .
 - ٢ - (المحكمة الجزية) وهي تقابل في الفرنسية Le Tribunal Correctionnel .
 - ٣ - (سابقة الإضمار) من الألفاظ الاصطلاحية في القضاء التونسي وبقائه (سبق الإصرار) في اللغة القضائية في المشرق العربي .
 - ٤ - (تهمة التمسح بالظن) ويراد بالتمسح الاحتراف أي الشيش باخنا ، وفي صوغ هذا المصدر توهم بأصالة الميم مع حذف الياء ، وقد جاءت الميم من المصدر (مبيشة) ، ولا نعرف هذا التوهم وجهاً ، ولم يستعمل إلا في هذه القرارات القضائية التونسية ، والعربية في غنى عن الوقوع في هذا الدرك .
 - ٥ - (التدليس) وهذا من الألفاظ التي ترد في الاحكام التونسية كأن يقال : (حكم على فلان بجريمة (التدليس) في الشهادة ، أو (التدليس) في الحساب مثلاً . والمراد بالتدليس هنا (التزوير) الذي يشيع في اللغة القضائية في المشرق ، واستعمال التدليس فصيح قديم في هذا الباب ، والذي نعرفه ان من كتب ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ رسالة في (طبقات المدلسين المسمى تعريف أهل التقديس بمرايب الموصوفين بالتدليس) .
 - ٦ - ويقولون مثلاً : (تركبت الهيئة العليا للمحكمة من ستة أعضاء) واستخدام التركيب في هذه الجملة غريب لم تألفه نحن المشاركة ذلك اننا نقول (تألفت الهيئة العليا) .
 - ٧ - ومن هذه المادة ما نقرؤه في الصحف من الاعلانات ومن ذلك (يعلن السيد ٠٠٠ ان بنة كراء مخزنين على ملك أحد المعمرين منتم يوم الجمعة ٢٠ فيفري) .

وفي هذه الفقرة نعرف ان (مناقصة) باصطلاحنا المشرقي لا يجار مخزنين سنتهي في التاريخ المذكور ، ثم ان المخزنين (على ملك أحد المعمرين) أي ان المالك لهما أحد المعمرين ، والمعمرين هم الـ « Colons » في الفرنسية أي الفرنسيون الذين استوطنوا تونس فعمرروا لأنفسهم المزارع الكبيرة والمتاجر الفخمة .

الأسلوب المترجم في اللغة التونسية :

تأثرت العربية التونسية الحديثة بالأساليب الفرنسية في التعبير . ولم تكن العربية التونسية بدءاً في هذا التأثر ، ذلك أن العربية الحديثة بصورة عامة قد اكتسبت شيئاً نتيجة هذا الأسلوب المترجم .

وهذه الترجمة تبدو بوضوح في لغة الخبر السياسي الذي نسمعه من المذيع ، وفي كثير من الأساليب الصحفية .

فإذا أصغت إلى المذيع التونسي وحين وقت إذاعة الأخبار سمعت المذيع يقول : والآن نستمعون إلى الجريدة الناطقة ، ويريد بالجريدة الناطقة (نشرة الأخبار) ، والجريدة الناطقة نقل للتعبير الفرنسي Le Journal parlé .

ثم نسمع في هذه الأخبار ان (الجند الفرنسي قد اعتدى على التراب التونسي) ويراد (بالتراب) الأرض التونسية ، أي إن الاعتداء قد حدث في الأرض

التونسية . واستعمال (التراب) مقابل للتعبير الفرنسي « Territoire » .

وفي هذه الأخبار أيضاً : (إن الرئيس قد قام بجعي لفائدة السلم في الجزائر) واستعمالهم (لفائدة السلم) يريدون به (من أجل السلم) . وجعي الفائدة جاء في ترجمة للفرنسية « au Profit » .

ثم نسمع المذيع يقول : (اتصل الرئيس بترقيات من طرف تعاضديات للفلاحين والصنائية ...) . واستعمال الفعل (اتصل) على هذا النحو شائع في اللغة التونسية ، وربما كان نتيجة لترجمة عن الفرنسية . ثم ان استعمالهم (من طرف)

ويريدون به (من لدن) أو (من قبل) كانت أيضاً نقلاً للتعبير الفرنسي « De la part » .

و (التعااضدية) استعمال تونسي مقابل لـ « Coopérative » وهي (التعاونية) في اصطلاحنا . أما الصنائية فهي جمع يريدون به الصنّاع وهذا الجمع لم نسمعه في غير تونس من أقطار العربية .

ثم نسمع أيضاً أن (الوزير قد قابل طائفة من الإطارات الحزبية) ، فتستغرب كلمة (الإطارات) وتراها جديدة على سمعك ، ولم تدري أنها ترجمة للتعبير الفرنسي « Cadres » ، ولفظة « Cadre » تعني الإطار في معناه الحسي وهو الأداة المعروفة ، ولكن الفرنسيين يتوسعون في دلالة فينقلونها مجازاً إلى معنى آخر ، ويريدون به الأفراد المتعلمين الفنيين الذين يؤلفون العناصر الضرورية في التنظيمات الاجتماعية بصورة عامة . وهكذا فإن التونسي ينقل اللفظة الفرنسية فيجد اللفظة المقابلة لها في العربية في معناها الحسي ، ولا يكفي بذلك فيتوسع في هذه العربية على طريقة المجاز كما توسع الفرنسيون في لفظتهم . وهذا شيء لا تسبغه العربية كثيراً فلكل أمة مجازاتها وطرقها الخاصة في التعبير^(١) .

ومن هذا الأسلوب المترجم جاء في العربية قولهم (كونيغولي) و (طوغولي) في النسبة إلى (الكونفو) وإلى (الطوغو) من الأقطار الأفريقية . واللام في هاتين النسبتين ليست جارية على قواعد النسب العربية فهي زائدة ، وهي غريبة ، وهي من الفرنسية . ومثل هذه النسبة استعمالهم (الكترونيكية) في قولهم :

(١) تستعمل كلمة Cadre الفرنسية بمعنى « إطار » في بعض الآلات والأدوات ، وتستعمل بمعنى « إيلاك » في الحكومة والجيش . فيقال مثلاً ملاك الضباط ، وملاك المدرّسين ، وملاك المحترفين ، والملاك الدائم الخ . أما في بعض الآلات والأدوات فيقال مثلاً . إطار التوجيه ، وإطار الروحة ، والإطار الحامل الخ . وفي المصمم العسكري ٢٧ مصطلحاً لأشكال الكادر . وفي مصر يربون الفرنسية . (لجنة المجلة)

(آلات الكترونية) فالكاف الثانية في الكلمة من الفرنسية « Electronic » والصحيح أن تكون الكلمة في العربية من دون الكاف الأخيرة التي جيء بها في الفرنسية لوصف الذي هو مثل النوب في أفادته للوصفية فيقال (آلات إلكترونية) .

ومن هذا الأسلوب المترجم استعمالهم للظرف (أين) في غير الاستفهام فيقولون مثلاً : (سيقام الاحتفال في بضياء الحكومة أين يخطب الرئيس) ، والصحيح أن يستعمل الظرف (حيث) ، ولكنهم تأثروا بالظرف المستعمل في الفرنسية في مثل هذه الحال وهو « où » .

ما يتعلق بالزراعة والنبات من الألفاظ :

نلح في هذا المجال مادة لغوية خاصة جديدة بالتسجيل والنظر ، ذلك أن تونس بلد زراعي يعتمد على الزراعة الاعتماد الكلي .

ومن هذه المادة اللغوية ما يتعلق بالأرض المزروعة ، فالأرض الكبيرة المعدة للزراعة يسمونها (هنشير) . ولا نعرف في مواد العربية شيئاً من هذا ، وربما كانت هذه الكلمة من المخلفات اللغوية القديمة ، فقد حفل التاريخ التونسي بألفاظ عدة كالأرومانية والفينيقية واللبنانية وغيرها ، وقد حدثني العالم الجليل السيد حسن حسني عبد الوهاب أن الكلمة كانت تطلق على المواقع التي هي مغان الأعاديات والنفائس العتيقة ثم استعملت الاستعمال الأخير الشائع .

ويسمون الأرض المعدة للزراعة والتي تبقى من بئر تنصب عليها واسطة لإيصال الماء (السانية) وهذه الكلمة ذات أصل فصيح ، فالسانية في معجمات اللغة العرب وأداته ، والسانية الناضجة وهي الناقة التي يستقي عليها . وفي المثل : سير السواني سفر لا ينقطع . وعن الليث : السانية وجمعها السواني ما يبقى عليه الزرع والحيوان من بعير وغيره . وقد سميت السانية تسنو سنوفاً إذا استقت . وما نحن نرى أن السانية العرب وأداته ثم

توسع فيها سيفه فصيح العربية فصارت تطلق على الحيوانات الذي يستقى به ،
ثم توسع التونسيون فيها فصاروا يطلقونها على الأرض التي تروى بهذه الطريقة .
ومن هذه لفظة « الكرد » في العراق وهي مادة غير عربية ومعناها الأداة
التي تنصب على بئر أو على حفرة يجتمع فيها الماء الذي مصدره النهر ثم يستعان
بالحيوان على ادارة عجلة هذه الأداة فيؤتى بالماء في أوعية مربوطة بالعجلة .
اقول توسع في مدلول هذه الكلمة فاطلق (الكرد) و (الكروود) بصيغة الجمع
على الأرض التي تسقى بهذه الطريقة ثم صار المشتغلون بهذه الأرض (كرادة)
على صيغة المبالغة ^(١) .

ويزرع التونسيون (الزيتون) وقد اشتهرت تونس بزيوتها منذ أقدم العصور .
وفي تونس من أصول الزيتون ما يرجع إلى عدة قرون ، وهم يسمون ما يظهر
منه من دون أن يتعمده الإنسان بالزرع (الجالي) . والمادة عربية فصيغة
ولكننا لا نعرف هذا الاستعمال في مدلولات الكلمة الفصيحة .

ويسمون حاصل الزيتون (الصابة) وربما كانت مما يصيبه الفلاح من
هذا الثمر المبارك .

واشتهرت تونس في كونها تنتج الفواكه الحمضية كالليمون والبرتقال وغيره .
وهذه الثمار تدعى (الحوامض) في الديار اثناسية والعراقية ، ويدعوها المصريون
(الموالح) ، أما التونسيون فيسمونها (القوارص) وهي المصطلح العلمي والتجاري
عندهم ، على أن لفظ (القارص) يطلقونه على الليمون الحامض « Citron »
دون غيره ، أما الليمون الحلو فيسمونه (الليم) .

(١) الكُرْد في كتب اللغة الدبيرة أي المزرعة الصغيرة أو جزء من المزرعة ، والجمع
كُرْدُود . وللدبيرة معنى آخر وهو الساقية بين المزارع . أما الساقية فهي تطلق
حديثاً على الناعورة التي تديرها الدواب أو المحركات . وهي غير الناعورة التي تدور
بقوة جريان الماء . (لجنة المحلة)

ومن فاكهتهم (المُوَيْتَة) لما يدعى بالفرنسية « Prunnes » .
على أن التونسيين قلما يستعملون لفظ (الفاكهة) أو (الفواكه) وإنما يعدلون
عنها إلى (الفلّة) أو (الفلال) بصيغة الجمع ، فإذا قيل عصير الفلال فالمراد به
عصير الفاكهة . وانصراف (الفلّة) إلى هذا المعنى استعمال تونسي وتخصيص
لكلمة بشيء دون غيره . وحقيقة (الفلّة) في كتب اللغة : الدخل الذي يحصل
من الزرع والثر والبن والإجارة والنتاج ونحو ذلك ، وجمعها (فلال) ، وفلان
يُقَالُ على عبالة أي يأتيهم بالفلّة (١) .

ومن الملاحظ أن (الفاكهة) عتدم قد تنصرف إلى ما يحذف من أصناف
الفاكهة . ومن أسماء (التين) عتدم (الكرموس) و (الشريجة) ولا نعرف
لذلك وجهاً (٢) .

ومن أصناف الفاكهة ما يدعونه (بوساع) لما يسميه الشاميون (ابيك دنيا)
و (بني دنيا) (٣) .

أما الخضراوات « Legumes » ففيها شيء آخر خاص بهم ومن ذلك :
القنّارية لما يدعى بالفرنسية Artichaut ، ولم يثبت P. J. Belot هذه
الكلمة في معجمه الصغير الفرنسي العربي واكتفى بذكر (شوكي أو أرضي)
ولا أدري من أين جاء بهذين الاسمين ولعله أخذهما مما هو مستعمل في لبنان ،
وقد فاته أن الخناجي في (شفاء الغليل) قد ذكره وعده من الدخيل ولم ينص
على أصله الذي جاء منه . قال الشهاب الخناجي : القنّارية هو بالمغرب نوع

(١) اللسان مادة « غل » .

(٢) شريحة التين في الشام مشهورة وهي من مصنوعات اللذينة (لجنة المحلة)

(٣) ويسى بشملة في مصر . وهو زعرور اليابان Néflier du Japon ، وليس له اسم
عربي قديم . (لجنة المحلة)

من الخس ومنه نوع يسمى (الخرشف) وخس الكلب والكنكر قال ابن المعتز :
وقد بدت فيها ثمار الكنكر كأنها حجاجم من حنبر^(١)
على أن التونسيين لا يلفظونها بالقاف بل بالكاف الشديدة على نحو ما ينطق
المصريون بالجيم^(٢) .

ومن خضر اوتهم (السفنارية) ويريدون بها الجزر .
ومنها (الجلبانة) بكسر الجيم ، وهي ما ندعوه (بالزاليا) أو ما يدعى
بالفرنسية « Petit - pois »^(٣) .

والكلمة ذات أصل فصيح وإن تغيرت صورتها فأجلبان بضم الجيم واللام مع
مع تشديد اللام نوع من القطاني . قال أبو حنيفة : لم أسمعه من الأعراب
إلا بالتشديد ، وما أكثر من يخفقه . قال : ولعل التخفيف لغة^(٤) .

ويسمون القثاء أو الخيار (فقوساً) و (الفقوس) من أسمائهم المحلية الشائعة
في كثير من أقاليم الشمال الإفريقي^(٥) .

- (١) الحقاقي ، شفاء القليل (نشرة محمد عبد المنعم خفاقي) ص ٢٢١ .
(٢) الكنكر من الفارسية وردت في مفردات ابن اليطار وغيرها . وقنارية من قنارة
اليونانية . ومدلولها الفرنسي Artichaut من حرشاف العربية وهي اسم هذه البقلة .
وفي معجم الألفاظ الزراعية تفصيل ذلك . (لجنة المجلة)
(٣) ما تسميه العامة « الزليا » هو البَيْدَة والبَيْدَى Petit - Pois . أما الجلبان
فهو بالفرنسية Gesse . وفي معجم الألفاظ الزراعية أوجه النطق بكلمة جلبان .
(لجنة المجلة)

- (٤) القسان مادة « جلب » .
(٥) الفقوس في القاموس المحيط البطيخ الشامي أي ما يسمى اليوم البطيخ الأخضر في
الشام Pastèque . أما في الاستعمال الحديث فالفقوس ضرب من القثاء . وفي مادة
Concombre chaté ou d'Égypte من معجم الألفاظ الزراعية تفصيلات بسدد هذه
الكلمة وأشباهاها . (لجنة المجلة)

- أما (البامية) المعروفة في المشرق فلها اسم غريب عند التونسيين لا يعرفون غيره ، هو (القنّاوية) بتشديد النون .
- ويطلق التونسيون على بعض (الحيوان) أسماء لم أهتمد إلى أصولها اللغوية ، فالخروف الصغير يدعونه (علوش) بتشديد اللام وهم ينطقون بالواو كما ' ينطق الحرف اللاتيني (O) .
- ومن ذلك (انغروس) للعنز ، (والسرودك) للدبك ، و (الحلتوف) للخنزير .

الدكتور إبراهيم السامرائي
بغداد - كلية الآداب

في مفاهيم الحضارة

تؤخر حياتنا الحاضرة ، القومية والإنسانية ، بمختلف المشكلات . قضية التحرر السيامي ، وتنظيم الدولة ، وتنسيق الجهود الاقتصادية ، وارساء قواعد العدالة الاجتماعية ، ورثة - على المستوى الإنساني - مشكلات السلام العالمي وتطور البلاد المتخلفة وتوجيه نتائج العلم المتوافرة إلى خير الإنسان ورفاهه وما إلى هذا كله من قضايا تتبر تفكيرنا وتبعث قلقنا وتتمثل بتبدلات سريعة وتغيرات عنيفة تطفئ علينا من كل جانب وتؤثر في كل ناحية من نواحي حياتنا . على ان في صميم هذه المشكلات جميعاً - سواء على المستوى القومي والإنساني - مشكلة أساسية ، هي المشكلة الحضارية . أو بعبارة أخرى ان كلامنا من القضايا التي ذكرناها لا تفهم على حقيقتها ولا تعالج معالجة صحيحة إلا إذا نظر اليها في نطاقها الحضاري . ذلك ان الوضع الحضاري لأي مجتمع من المجتمعات هو الوضع الذي تلقي به وتبين على ضوءه شئ أوضاع المجتمع الأخرى . نتحدث اليوم مثلاً عن الاستعمار وكثيراً ما نقف عنده ، ولكن الاستعمار لا ينفك في جوهره إلا كمظهر من مظاهر حضارة الدول المستعمرة وحضارة الدول المستعمرة . فلولاً ان الأولى هي في وضع حضاري معين يشمل اقتصادها وسياستها وعلما ونظرتها للإنسان ، ولولا ان الأخرى لها أيضاً وضعها الحضاري الذي يختلف به عن الأولى والذي مكن هذه من أن تتسلط عليها لما كانت تحكم واستغلال واستعمار . ومثل ذلك ، السعي الختيت إلى التنمية الاقتصادية الذي يشغل بال العديد من شعوب اليوم ويستدعي قسماً بالغا من مجهودها القومي . أليس هو في الواقع دليلاً على رغبة هذه الشعوب في الانتقال من وضع حضاري لم يعد يماشي الزمن إلى وضع أكثر ملاءمة

وادعى إلى سلامة البقاء وعز الجانب ونفوذ الشأن ؟ كذلك يمكننا أن نبسط أمام أبصارنا كل ظاهر أو باطن من أحوال أي شعب من شعوب الأرض كشكل الحكم ، ومبلغ الانتاج المادي ، وحالة الصحة العامة ، ومدى انتشار العلم ، ونوع العقيدة السائدة والعادات والأخلاق المتبعة ، فنجد ان هذه كلها وأمثالها ترتبط فيما بينها بروابطة شاملة وتجتمع في كيان عام ، هو الكيان الحضاري لذلك الشعب ، النتائج من ارثه الماضي وجهده الحاضر ونوع استعداداته للمستقبل ، والتأثر بالكيانات الحضارية الأخرى المتصلة به المتفاعلة وإياه .

هذا معنى من معاني الحضارة . ولكن للحضارة معنى آخر : هو جماع القيم التي يسعى المجتمع الى تحقيقها والتي تتشمل في مختلف نشاطاته وانجازاته . فعندما نتكلم مثلا عن الحضارة اليونانية أو الفينيقية أو العربية أو الهندية أو الغربية الحديثة فإن ذهنا ينصرف الى انجازات كل منها في حقول الفكر والفن والدين والتطبيق العلمي وسائر نواحي الابداع ، وبالتالي إلى القيم التي تنطوي عليها والتي تؤلف مجموعها جوهر تلك الحضارة ولب نتائجها وخلاصة اسهامها في التقدم البشري .

ينطبق هذا على الحاضر ، كما ينطبق على الماضي . فمن اذا ابتغيانا أن ندرك حياتنا الراهنة ادراكاً صحيحاً وجب علينا ان نتفقد من خلال مظاهرها المتباينة وتبدلاتها المتلاحقة إلى القيم التي تتضمنها : أي وجب علينا أن نسعى الى تفهيمها بدلولها الحضاري الصحيح . وعندها نجابه سائر مشكلاتنا في أهمق مستوياتها وفي أدق معانيها وأشملها . وعندها أيضا يؤدي حسن تفهيمنا وصدق مجابهتنا الى سلامة العمل وجزالة الانتاج ، فتأمين المزايا والأخطار ، ونسير على هدي الفكر النير في السبل القومية : انتاجاً وتنمية وإبداعاً وفعلاً حضارياً . فانطلاقاً من هذه الحقيقة الأساسية : من كون الحضارة والمعاني الحضارية هي اللب والجوهر في كل شأن من شؤوننا أو مسعى من مساعيها ، يتوجب علينا أن نغمن النظر في ماهية هذه الظاهرة الإنسانية ، وأن نحاول

جلاء المفاهيم الأساسية التي تطوي عليها ، توصلنا لاستكناه حقيقتها واستخلاص جوهرها .

★ ★ ★

فماذا يقصد بهذه اللفظة - الحضارة - وما هي المعاني التي تحملها ؟
إذا استنطقنا اللغة وجدنا أن الحضارة (بفتح الحاء أو كسرهما) تعني في العربية الإقامة في الحضر أي في المدن والقرى ، بخلاف البداوة وهي الإقامة المتنقلة في البوادي . جاء في القاموس : « الحضارة ويقع خلاف البادية والحضارة الإقامة في الحضر » . وفي لسان العرب : « والحضر خلاف البدو والحاضر خلاف البادي والحضارة الإقامة في الحضر عن أبي زيد وكان الأصمعي يقول الحضارة بالفتح » . فاصل المعنى إذن هو الاستقرار . والاستقرار الذي يبدأ عادة بزراعة الأرض هو الذي يفسح لأبناء المجتمعات مجالات التطور ، فإذا لجوها تقدموا في فنون اكتساب العيش ، وفي بناء المدن ، وفي تحصيل المعرفة ، وفي الانتظام الداخلي والتعامل الخارجي ، وكان لهم حظهم من الرفاه ومن الابداع ، ومن الحضارة بوجه عام . وهذا التمييز بين البداوة والحضارة عريق عندنا ، نجده واضحاً مردداً في ما وصلنا من أدب وتاريخ ونظم وعادات وما إليها من عناصر تراثنا : ذلك أن التفاعل بين هذين النمطين من الحياة كان عاملاً من أهم عوامل ماضينا ، سواء في السياسة وفي الاجتماع وفي الأدب وفي العقيدة العامة ، ولا يزال قائماً في مناطق واسعة من مجتمعاتنا ، وله آثاره ودوايبه في مختلف تراحيم حياتنا .

كل هذا يعني من جهة استقصاء المعاني التي تدل عليها هذه الكلمة في تراثنا العربي . ولكن لا بد لنا من أن نقف وقفة ، ولو قصيرة ، عند المؤرخ والفيلسوف الاجتماعي عبد الرحمن ابن خلدون لأنه أبوز من تصدى لهذا الموضوع في اللغة العربية ، بل أول من عالج شؤون الحضارة بصورة منتظمة في إجابة

لغة من اللغات فاستحق أن يعتبر مؤسس علم الحضارات ، أو ، كما دعاه هو ، علم « العمران البشري والاجتماع الانساني » (١) .

الحضارة عند ابن خلدون هي طور طبيعي أرحيل من أجيال طبيعية (٢) في حياة المجتمعات المختلفة . وهكذا البداوة . ولكن البداوة أقدم ، والبدو أصل الحضرة (٣) ، و « الحضارة غاية لبداوة » (٤) . ذلك ان مرحلة البدو من المعاش تقتصر على الضروري منه فيكون « حينئذ اجتماعهم وتعاونهم في حاجاتهم ومعاشهم وعمرانهم من القوت والسكن والدفع انما هو بالمقدار الذي يحفظ الحياة ويحصل بلفة العيش من غير مزيد عليه للعجز عما وراء ذلك » (٥) . فاذا أتبع لهم أن يتطوروا انتقلوا إلى أحوال جديدة ، فتكونت « أجيال الحضرة » . ولا بأس من أن نورد هنا نص ابن خلدون في معاش هذه الأجيال وصفاتها ايضاً لدلولات الحضارة عنده وفي التراث العربي على العموم يقول ابن خلدون : « ثم إذا اتسعت أحوال هؤلاء المتعطلين للمعاش وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفه دعاهم ذلك إلى السكون والدعة وتعاونوا في الزائد على الضرورة واستكثروا من الأقوات والملابس والتأنيق فيها وتوسعة البيوت واختطاط المدن والأمصار لتعضر ثم تزيد أحوال الرفه والدعة فتجيب عوائد الترف الباطنة مبالغها في التأنيق في علاج القوت واستعادة المطابخ وانتقاء الملابس الفاخرة في أنواعها من الحرير والديباغ وغير ذلك ومعالجة البيوت والصروح وإحكام وضعها في تنجيدها والانتباه في الصنائع في الخروج من القوة إلى الفعل إلى غايتها يتخذون القصور والمنازل ويجرون فيها المياه ويعالون في صرحها ويبالغون في تنجيدها ويختلفون في استعادة ما يتخذونه

(١) المقدمة (الطبعة الأدبية ، بيروت ، ١٩٠٠) ، ص ٣٨ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ١٢٠ .

(٣) المصدر ذاته ، ص ١٢٢ و ٤١ .

(٤) المصدر ذاته ، ص ٣٧١ .

(٥) المصدر ذاته ، ص ١٢٠ .

لماشهم من ملبوس أو فراش أو آنية أو ماعون وهؤلاء هم الحضرة ومعناه الحاضرون أهل الأمصار والبلدان ومن هؤلاء من ينتحل في معاشه الصنائع ومنهم من ينتحل التجارة وتكون مكاسبهم أغنى وأرفه من أهل البدر لأن أحوالهم زائدة على الضروري ومعاشهم على نسبة وجدهم (١).

ولا بد من القول أن هذا الوصف لا يحيط بمفهوم الحضارة عند ابن خلدون احاطة تامة ، لأنه يعمل ذكر المعارف والعلوم التي يخصها عالمنا بفصل كبير هو أحد الفصول الستة التي تتألف منها مقدمته بكاملها وأحد الفصول الثلاثة الأخيرة المتعلقة بالعمران الحضري (٢). على أن العنصر الأساسي في الحضارة عند ابن خلدون هو إنشاء المدن وبناء البلدان ، ولذلك كان موضوع الفصل الرابع من مقدمته « في العمران الحضري والبلدان والأمصار » . وعند ابن خلدون أيضاً أن القوم إذ يسلكون سبيل هذا العمران : ويوغلون في الصنائع وفي فنون التأنق وفي مظاهر الحضارة المختلفة يتعرضون حتماً للخراب ، لأن الحضارة تحمل في ثناياها بذور الفساد . أن الحضارة جبل طبيعي وغاية للبداية ، ولكنها آخر أجيال العمران ، إذ « كما أن للشخص الواحد من أشخاص الكونيات عمراً محسوساً وتبين في المعقول والمنقول أن الأربعين للإنسان غاية في تزايد قواه وغناها وأنه إذا بلغ الأربعين وقفت الطبيعة عن اثر النشوء والنمو برهة ثم تأخذ بعد ذلك بالانحطاط فلتعلم أن الحضارة في العمران أيضاً كذلك لأنه غاية لا مزيد وراءها وذلك أن الترف والنعمة إذا حصلت لأهل العمران دعاهم بطبعه إلى مذاهب الحضارة والتخلق بعوائدها » (٣).

وبعد أن يشرح ابن خلدون المقاسد التي تتضمنها هذه المذاهب والعوائد يقول : « وإذا كثرت في المدينة أو الأمة تأذن الله بخرابها وانقراضها ... فافهم ذلك

(١) المصدر ذاته ، ص ١٢٠ - ١٢١ .

(٢) الفصل السادس « في العلوم واكتسابها وتعلمها » راجع تعداد هذه الفصول في المصدر

ذاته ، ص ٤١ .

(٣) المصدر ذاته ، ص ٣٧١ - ٣٧٢ .

واعتبر به ان غاية العمران هي الحضارة والترف وانه إذا بلغ غايته انقلب إلى الفساد وأخذ في الهرم كالأعمار الطبيعية للحيوانات^(١) وعندها يغدو هذا الجيل المتداعي قريسة سهلة لجيل أقوى وأقدر على الغلبة ، لجيل بدوي « أقرب إلى الخير »^(٢) و « ... إلى الشجاعة »^(٣) وملتئم بالعصية^(٤) وبعقيدة دينية^(٥) ، فيسير في طريق الملك فالحضارة وينتهي كما انتهى الجيل السابق ، وهكذا دواليك .

ومرجز القول هو ان مفهوم الحضارة عند العرب عموماً كان يدور على ذلك النمط من الحياة المتناقض للبداءة^(٦) ، المثلث المدن والأمصار ، المستقر فيها ، المتصف بقتون منتظمة من الملك والإدارة ، ومن مكاسب العيش ، ومن الصنائع والعلوم ، ومن وسائل الدعة والرفاه . وقد جاء ابن خلدون في محاولته استكشاف « طبائع العمران » ، أي قوانين تطور المجتمعات ، فجعل البداءة والحضارة طورين طبيعيين من أطوار المجتمعات البشرية ، واعتبر الحضارة آخر هذه الأطوار و « غاية العمران » . ويمكننا فهم الغاية هنا بمعنىين : من حيث انها تمثل خير نتاج المجتمع في الصنائع والفنون والعلوم ومظاهر الدعة والترف ، ومن حيث انها المرحلة الأخيرة للعمران « ونهاية لعمره ... ومؤذنة بفساده »^(٧) .

وفي العربية الحديثة كلمة مرادفة للحضارة هي « المدنية » وهي مولدة لم

(١) المصدر ذاته ، ص ٣٧٣ - ٣٧٤ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ١٢٣ .

(٣) المصدر ذاته ، ص ١٢٥ .

(٤) المصدر ذاته ، ص ١٢٢ - ١٢٨ و ص ١٧٢ .

(٥) المصدر ذاته ، ص ١٥١ .

(٦) لاحظ ما يتردد في الناجم في تعريف الحضارة بأنها « خلاف البدو والبداءة .

(٧) المصدر ذاته ، ص ٣٧١ (عنوان الفصل الثامن عشر) .

ترد في المعاجم ، والأرجح أنها مستمدة من الكلمة الفرنجية *Civilisation* ^(١). وقد استعمل الفلاسفة العرب لفظة « مدني » بمعنى « اجتماعي » ، أخذوا عن اليونان الذين كانت المدينة عندهم مظهر الاجتماع المتكتم المتحضر . وفي هذا يقول ابن خلدون : « ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم الإنسان مدني بالطبع أي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدينة في اصطلاحهم وهو معنى العمران » ^(٢). واستعمل ابن خلدون صيغة « التمدن » بمعنى الحضارة أو التحضر فقال : « ولهذا نجد التمدن غاية للبديهي يجري اليها » ^(٣) . وهذه الصيغة كصيغة « المدنية » لم ترد في المعاجم ، ولكنها انتشرت مثل هذه حديثاً ، وإن كان بعضهم يؤثر عليها « التمدنين » المشتقة من « تمدن » القاموسية بمعنى « تنعم » . ومهما يكن من أمر ، فالواضح أن المعنى الأصلي الذي تطاري عليه لفظنا الحضارة والمدنية ، إنما هو سكنى الحواضر أو المدن ، وما ينشأ عن هذه السكنى أو بصحبها من فنون الحياة ومظاهرها . وواضح كذلك أن الاستعمال العربي الحديث لا يميز بين هاتين اللفظتين ، ولا يخص إحداهما بمعنى دون الآخر ، بل يطلقهما مترادفتين دون تمييز أو تخصيص .



وإذا انتقلنا من العربية إلى اللغات الغربية ، وجدنا ثمة لفظتين رئيسيتين تستعملان للدلالة على معنى الحضارة : *Culture* و *Civilisation* . ولكل منها تاريخ طويل متشعب والوات مختلفة من الدلالة لا مجال لاستعراضها

(١) عرّف المسجم الوسيط الذي أصدره مجمع اللغة العربية « المدنية » بأنها : « الحضارة واتساع العمران » ، ولم يشر إلى أن اللفظة مولدة ، كما فعل في لفظة « تمدن » التي عرّفها بـ « عاش عيشة أهل المدن وتنعم وأخذ بأسباب الحضارة » .

(٢) المقدمة ، ص ٤١ .

(٣) المصدر ذاته ، ص ١٢٢ .

هنا، (١) بل حسبنا أن نشير إلى ما يجبنا في سبيل تحديد المفهوم أو المفاهيم التي تريد استغراجها .

إن كلمة Culture مأخوذة عن اللاتينية (Cultura من فعل Colere بمعنى حرث أو غنى) . وقد كانت دلالة الأصل اللاتيني في العصور القديمة والوسطى مقصورة على تسمية الأرض ومحصولاتها - تلك الدلالة التي نجدها في « Agriculture » و « Horticulture » وأمثالها . ومع أن متبشرون استعمالها بالمعنى المجازي داعياً الفلسفة Cultura Mentis أي فلاحه العقل أو تسميته ، فإن هذا المعنى ظل نادراً في اللغة اللاتينية . وفي أوائل العصور الحديثة بدأت تستعمل في الانكليزية والفرنسية بدلولها المادي والعقلي ، مع إضافة الشيء المقصود تسميته (La culture du blé, la culture des arts ، ومثلها في الانكليزية) . فلما كان القرن الثامن عشر أخذ الكتاب الفرنسيون ، كفولتير وأقرانه ، يطلقون هذه اللفظة اجمالاً وبدون أداة تعريف أو إضافة إلى شيء معين ، وغدت Culture بهذا المعنى المطلق تدل على تنمية العقل والذوق ، ثم انتقلت إلى حصيلة هذه العملية ، أي إلى المكاسب العقلية والأدبية

(١) من أراد متابعة تطور معاني هاتين اللفظتين والوقوف على تعارضها المختلفة يمكنه مراجعة الدراسة الدقيقة للفصل :

Kroeber A. L. Kluckhohn. Clyde Culture. A Critical Review of Concepts and Definition. Papers of the Peabody Museum of American Archaeology and Ethnology, Harvard University, Vol. XLVII - No. 1, Cambridge, Mass . , 1952 .

فقها تتبع تأريخها واف وتحليل دقيق منظم ، مستمدان من عديد الدراسات العامة والخاصة ، في سبيل تحديد مختلف المفاهيم التي تعبر عنها هاتان اللفظتان وتبميزها وتنسيقها . وهي مرجعنا في عرضنا للوجز لتطور معاني هاتين اللفظتين .

والذوقية التي نعبر عنها بالعربية بلفظة الثقافة (١) أما في الانكليزية ، فإن أول نص تستعمل فيه هذه الكلمة بما يشبه هذا المعنى يعود ، حسب معجم اكسفورد ، إلى عام ١٨٠٥ . ولا يزال هذا المعنى هو أحد معانيها السائدة في اللغات الغربية .

وقد انتقلت هذه اللفظة إلى الألمانية من الفرنسية في أواخر القرن الثامن عشر بشكر *Cultur* ثم *Kultur* ، وانتقل معها معناها الأخير أي الإنماء العقلي والأدبي وخصيصة هذا الإنماء . ثم أخذ معناها يتطور عند الفلاسفة وعلماء الاجتماع والمؤرخون ، ويتغلى عن دلالات الإنماء أو التحسين الفردي ، ويتحول إلى أحوال الأقوام بمجموعها . وبرز هذا المعنى الأخير في أواسط القرن التاسع عشر عند المؤرخ والعالم الاجتماعي الألماني *Gustav Klemm* الذي يعتبر مؤسس علم الأنثروبولوجيا الحديث . وغدت هذه اللفظة تطلق على مجموع عناصر الحياة وأسكانها ومظاهرها في مجتمع من المجتمعات . وهذا هو أصل المعنى الاصطلاحي الذي تحتويه كلمة *Culture* اليوم عند علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا . فقد انتقل هذا المعنى من *Klemm* إلى العالم الأنثروبولوجي الانكليزي *E.B.Tylor* الذي كان أول من استعمله باللغة الانكليزية وثبته في عنوان كتابه الشهير *Primitive Culture* عام ١٨٧١ ومنه تسرب إلى الأوساط العلمية الأنكلوسكونية . ثم انتشر بصفة خاصة في الولايات المتحدة الأميركية حيث نشط علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا نشاطاً ملحوظاً في العقود الأخيرة .

وقد غدا هذا المعنى الاصطلاحي مفهوماً أساسياً ، ان لم نقل المفهوم الأساسي ، في هذين العلمين في ألمانيا وأميركا ، ولكنه لم يصادف مثل هذا

(١) على ان اطلاق هذه اللفظة على عملية انماء الأشياء للمادية لم يتطعم كل الاقطاع ، وما هو يعود فيشيع الآن بنمو العلوم الطبية والتطبيقات الصناعية ، كما تدل على ذلك تباير « *Blood culture* » و « *Germ culture* » و « *Pearl culture* » وأمثالها .

الرواج في انكلترا وفرنسا . ومنها يكن من أمر ، فإنه لم يرتكز بعد ارتكازه الأخير ، ولم ينب عن كلمة Culture معانيها السابقة ، فلا تزال تستعمل في الفرنسية والانكليزية ولغات أخرى بمعنى الثقافة الفردية ، والثقافة بوجه عام ، بل عاد إليها في العلوم الطبية والتطبيقات الصناعية ، كما ذكرنا ، معناها الأصلي أي عملية انقلاء الأشياء المادية كالجراثيم واللقاح « الزرع » والتصنيع . أما كلمة Civilisation الفرنسية أو Civilization الانكليزية فمشتقة كذلك من اللاتينية Civis أي المدني أو المواطن في المدينة . ثم أخذت تستعمل مجازاً ، وغنت في بادئ الأمر ، شأن مرادفتها Culture ، عملية اكتساب الصفات المحمودة ، وبخاصة الألفاظ الفردية والاجتماعية . وكانت ترد في الأغلب بصيغة الفعل Civiliser, Civilize لا بصيغة المصدر ، دلالة على العملية ذاتها لا على النتيجة الحاصلة منها . ثم تطورت لتعبر عن هذه النتيجة — أي عن حالة الرقي والتقدم في الأفراد وفي المجتمعات . وكان استعمالها بهذا المعنى أقدم في الفرنسية منه في الانكليزية ، إذ يخبرنا Boswell صاحب اللغوي الإنكليزي Samuel Johnson وكاتب سيرته ان هذا الأخير رفض ادخال هذه الكلمة Civilization في معجمه عام ١٧٧٣ وأثر عليها لفظة Civility . وما لبثت هذه الكلمة ان انتشرت في الانكليزية والفرنسية على السواء ، ولكنها لم تجد مثل هذا الانتشار في الألمانية . وتستعمل اليوم في اللغات الغربية في الأغلب بمعنى الحضارة ، أو الكيان الحضاري^(١) . ولئن حاول بعض الكتاب تحويلها ، كما فعلوا بقريبتها Culture إلى معنى انثروبولوجي صرف أي دلالة على حياة المجتمع بكاملها ، سواء أكان هذا المجتمع راقياً أم غير راقٍ ، فقالوا مثلاً Primitive Civilization (حضارة بدائية) ، فان المعنى الأول — أي المجتمعات المتصفة بالتقدم والرقي (أو التحضر) — يظل هو الشائع .

(١) وبهذا المعنى الثاني يستعملها توينبي في تحليله لتاريخ البشري ، فيجمل « Civilization » بمعنى الكيان الحضاري الوحدة المصيعة في الدراسة التاريخية .

ويجرت هذا الاستعراض التاريخي السريع إلى القول اتسالا نجد هاتين الكلمتين في اللغات الغربية الحديثة تحديدات مستقرة ولا تلقى تمييزاً واضحاً بينهما مقبولا بوجه عام^(١). وقد بدت اتجاهات التمييز، فجرى بعض الكتاب، وبخاصة في الألمانية، على اخلاق Culture على المظاهر المادية للحضارة (كالكنولوجيا والصناعة وأمثالها) و Civilization على المظاهر العقلية والأدبية، ولكن هناك من ذهب إلى عكس هذا تماماً. وتدللاً على هذا التناقض يقول باحث أميركي أن النقدة الأوروبيين الذين يقرون بتقديم أميركا المادي ولكنهم يعتبرونها متأخرة في الميدان الثقافي يكادون ينقسمون قسمين متعادلين بين الذين يصفون أميركا بالتقدم في ما يدعونه Civilization والتخلف في ما يدعونه Culture وبين الذين يقولون العكس^(٢).

وثة محاولات أخرى للتمييز، ولكنها بدلاً من أن تضيق مجال الاضطراب وتثبت لكل من هاتين الكلمتين معنى خاصاً بها، تزيد المعاني تنوعاً وتفرعاً وتوسع مدى الاضطراب. تضرب على هذا مثلاً ما ذهب إليه شينجلر في كتابه الشهير: «المخطاط الغرب». فقد أطلق لفظة Culture بـ C كبيرة على الحضارات الكبرى في التاريخ كالحضارة اليونانية والعربية والأوروبية الحديثة، وخص Culture و Civilization بطورين مختلفين من الأطوار التي تمر بها كل حضارة. أما الأول (Culture) فهو طور القوة والازدهار والانتاج الروحي، وأما الثاني (Civilization) فطور الهرم والركود والانتاج المادي. وهذا الطور الأخير هو الذي يسبق انحلال الحضارة وزوالها. وفي هذا ما يذكرنا بإبن خلدون، الذي نجد له السوابق العديدة في هذه الميادين، عندما يعتبر «الحضارة» كما ذكرنا آنفاً^(٣) غاية العمران ومبث الفساد فالانهار.

(١) ان معجم Webster المطول يترف كلا من هاتين النطتين بالأخرى.

(٢) Dennes, William R. . « Conceptions of Civilization » in Civilization. University of California Press (Berkeley and los Angeles, 1959), P. 149.

(٣) س ٦ - ٧ أعلام.

ولعل أشد هذه المحارلات انتظاماً واستمراراً هي تلك التي يقوم بها علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا، وبخاصة في الولايات المتحدة الأميركية، لابرار معنهم الاصطلاحي لـ Culture وتعبيره، وهو المعنى الذي يفيد جماع حياة أي مجتمع من المجتمعات ويشمل مختلف أشكال هذه الحياة وفاعلياتها ومظاهرها، ولا يقتصر على المجتمعات المتحضرة كما يكاد يقتصر عندهم معنى Civilization. ولقد ذهب بعضهم إلى حد القول أن هذا المفهوم الاصطلاحي غدا حجر الأساس في العلوم الاجتماعية، وأنه يكاد يحتل في هذه العلوم محل مفاهيم «الثقل» في العلوم الفيزيائية، و«المرض» في العلوم الطبية، و«التطور» في علوم الأحياء^(١). على أنه لا بد من توكيد ما ذكرناه آنفاً، من أن هذا المفهوم لم يبلغ بعد ما يريد هؤلاء العلماء له من الضبط والتعديد ومن القبول والانتشار بين العلماء، بله بين جمهور المثقفين، إذ لا تزال لفظة Culture معانيها الأخرى المنتشرة، ولا يزال اضطراب الدلالات قائماً بينها وبين مرادفتها Civilization.

وهنا أيضاً لا بد لنا من العودة إلى ابن خلدون. فإن له في هذه المحاولة العلمية سابقة بينة تأتلف مع سوابقه الأخرى لتبرز مكانته في علم الاجتماع ونجعلنا نعتبره بحق منشيء هذا العلم^(٢). إن «العمران» عنده هو ما يقصده

(١) مقدمة كتاب Kroeber and Kulckhorn المذكور أعلاه، ص ٣.

(٢) وهذا يؤيد شعور ابن خلدون ذاته بسبقه وإبكاره، إذ يقول إن العلم الذي يباشره «مستحدث الصنعة» (المقدمة، ص ٣٨) و«كأنه مستنيط النشأ» (ص ٣٨) ويتابع «ونحن أئمتنا الله إلى ذلك الهاماً واعتزلاً على علم جعلنا بين نكرة وجهينة خبره، فإن كنت قد استوفيت سائله وميزت عن سائر الصنائع انظاره وانحامه فتوفيق من الله وهداية وإن فائتي شيء في احصائه واشتبته بغيره فللناظر المحقق اصلاحه ولي الفضل لأنني نهجت له السبيل وأوضعت له الطريق والله يهدي لنوره من يشاء» (ص ٤٠).

علماء الاجتماع والاثروبولوجيا اليوم « Culture » ومفهومه مفهوم شامل يتناول الحياة الاجتماعية بكاملها ويضم مختلف أشكالها وألوانها . نستدل على هذا من نصوص عديدة ، منها تعريفه العلم الذي يبحث في طبيعة العمران والذي يعتبره « حقيقة التاريخ » بأنه « خبر عن الاجتماع الانساني الذي هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحش والتأنس والعصيات وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض وما ينشأ من الملك والدول ومراتبها وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيمهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث من ذلك العمران بطبيعته من الأحوال » (١) ، وهذا العلم « ذو مسائل وهي بيان ما يلحقه (أي العمران البشري والاجتماع الانساني) من العوارض والأحوال لذاته واحدة بعد أخرى » (٢) . والعمران على أنواع ، بل الأخرى أن نقول انه يمر بأطوار ، أهمها طوران : العمران البدوي (٣) والعمران الحضري . وهكذا فالعمران هو غط الحياة بوجه عام ، وبمعنى وصفي غير تقويمي ، فيشمل أحوال الاجتماعات البدائية والمتحضرة على السواء ولا يقتصر على الثانية منها فحسب . وانطلاقاً من هذا المعنى يحدد ابن خلدون بحثه في مقدمته في ستة فصول : « الأول في العمران البشري على الجملة وأصنافه وقسطه من الأرض ، والثاني في العمران البدوي وذكر القبائل والأمم الوحشية ، والثالث في الدول والخلافة والملك وذكر المراتب السلطانية ، والرابع في العمران الحضري والبلدان والأمصار ، والخامس في الصنائع والمعاش والكسب ووجوهه . والسادس في العلوم واكتسابها وتعلمها » (٤)

★ ★ ★

(١) المصدراته ص ٣٥ .

(٢) للمصدراته ص ٣٨ .

(٣) لاحظ هذا التعبير الذي يقابل « Nomadic culture » عند علماء الاجتماع والاثروبولوجيا المحدثين ، وبشبهه ، من حيث انطباعه على مجتمعات غير متحضرة ، قولهم

« Primitive culture (s) » .

(٤) المقدمة ص ٤١ .

وخلاصة القول ان المفاهيم التي تعبّر عنها لفظة « الحضارة » ومرادفاتها في اللغات الأجنبية لا تزال مترجمة . ولكن ثمة تمييز بدأ يظهر في الدراسات الأجنبية بين المعنى التقليدي لهذه الألفاظ الذي يدلّ على انجازات محققة وقيم مكتسبة ، وبين معنى اصطلاحي أخذ يطلق على لفظة Culture (وأحياناً على Civilization) ، وهو الذي يتناول جماع حياة مجتمع من المجتمع ، بدائياً كان أو متقدماً راقياً ، وينصرف إلى الوصف والتعليل أكثر منه إلى التقييم والتفضيل .

على انه ، وان كان لهذا المعنى الاصطلاحي الجديد ما يبرره عند علماء الاجتماع والاثروبولوجيا ، فإن الذي يهمنا ، في موقفنا التاريخي الحاضر ، هو محاولة استجلاء جوهر « الحضارة » أي المقومات التي تقوم بها ، والانجازات والقيم التي تمثلها ، للاعتداء به في ما ننصرف اليه من فكر توجيهي ومن عمل تخطيطي انشائي . ذلك ان حقيقة « الحضارة » تبقى الحقيقة الأساسية في التاريخ وفي الاجتماع القومي والاجتماع الإنساني ، وقضيتها قد غدت - بفعل عوامل عديدة لا مجال لبسطها هنا - القضية الأولى في هذا العصر الحامس الذي نعيشه .

قسطنطين نرسين

قادة الفتح الاسلامي :

أبو عبيدة بن الجراح الفهري

فاتح أرض الشام^(١)

« هذا أمين هذه الأمة »

محمد رسول الله

— ١ —

مع النبي :

أسلم أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح القرشي الفهري^(٢) قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم^(٣) ، فكان أحد العشرة السابقين إلى الإسلام^(٤) .

(١) أرض الشام : حدودها من الغرب بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) ومن الشرق البادية من أيلة إلى القرات ثم من القرات إلى حد الروم ، ومن الشمال بلاد الروم (الجمهورية التركية حالياً) ، ومن الجنوب حد مصر وبنو إسرائيل ، وآخر حدودها مما يلي مصر رفح . راجع التفاصيل في المسالك والممالك - للاصطخري ص (٤٣) ، وسجيم البلدان (٢١٩/٥) . وهي سورية ولبنان وفلسطين والأردن في الوقت الحاضر .

(٢) هو عامر بن عبد الله بن الجراح بن حلال بن أميـب بن ضبـة بن الحارث بن فهر . وأمه أميمة بنت غنم . راجع طبقات ابن سعد (٤٠٩/٣) ، والإصابة (١١/٤) ، وأسـد الغابة (٨٤/٣) ، والاستيعاب (٢٩٢/٣) . وقد غلبت عليه كنيته . يلتقي نـسبه بنسب رسول الله صلى الله عليه وسلم بـ (فهر) . راجع جوامع البيرة لابن خزم ص (٣) .

(٣) طبقات ابن سعد (٤٠٩/٣) ، و (٣٨٤٧) .

(٤) الإصابة (١١/٤) ، وانظر تسلسل الذين أسلموا في سيرة ابن هشام (٢٦٤/١) - (٢٦٩) ، وفي جوامع البيرة لابن خزم ص (٤٥ - ٤٦) .

م (٨)

— ١١٣ —

وهاجر أبو عبيدة إلى الحبشة الطهجرة الثانية^(١) تخلصاً من التعذيب والبلاء^(٢)؛
ولكنه عاد إلى مكة بعد أن اتصل بمن كان في أرض الحبشة من المسلمين : ان
قريشاً قد أسلمت ؟ وكان هذا الخبر كذباً^(٣) .

ولما أذن رسول الله ﷺ بالهجرة إلى المدينة ، هاجر أبو عبيدة مع من هاجر
من المسلمين إليها ، فأخى النبي ﷺ بينه وبين أحد أصحابه^(٤) ؛ وهناك بدأ
صفحة جديدة من كفاحه لأعلاء كلمة الله .

فقد شهد (بدرآ) وقتل أباه الذي كان مشركاً في هذه المعركة^(٥) ، إذ
جعل والده يتصدى له وأبو عبيدة يحيد عنه ، فلما أكثر قصده وقتله^(٦) ، فنزل
فيه قول الله تعالى : (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ويوادون من
حاد^(٧) الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك
كتب في قلوبهم الإيمان وأبدىهم بروح منه ، ويدخلهم جنات تجري من تحتها

(١) طبقات ابن سعد (٤١٠/٣) ، وسيرة ابن هشام (٣٥٢/١) ، وجوامع السيرة
ص (٦٣) ، والإصابة (١١/٤) .

(٢) سيرة ابن هشام (٣٤٣/١) ، وجوامع السيرة ص (٥٥) .

(٣) سيرة ابن هشام (٣٩١/١) ، وجوامع السيرة ص (٦٦) .

(٤) في سيرة ابن هشام (١٢٤/٢) أن النبي صلى الله عليه وسلم أخى بينه وبين سعد
ابن معاذ وكذلك في جوامع السيرة ص (٩٦) . أما في طبقات ابن سعد (٤١٠/٣)
ففيه : أنه أخى بينه وبين سالم مولى أبي حذيفة ، وفي رواية بينه وبين
محمد بن مسلمة .

(٥) الإصابة (١١/٤) والسيرة الحلية (١٧٨/٢) .

(٦) الإصابة (١١/٤) .

(٧) حاد الله : حارب الله .

الأنهار خالدين فيها ، رضي الله عنهم ورضوا عنه ، أولئك حزب الله ، ألا إن حزب الله هم المفلحون (١) .

وشهد (أحداً) وثبت مع رسول الله ﷺ حين انهزم الناس ودلوا . قال أبو بكر الصديق : « لما كانت يوم أحد ورسى رسول الله ﷺ في وجهه حق دخلت في أجنبه حلقتان من المغتر (٢) ، فأقبلت أسى إلى رسول الله ﷺ ، وإنسان قد أقبل من قبيل المشرق يطير طيرانا ، فقلت : اللهم اجعله طاعة ، حتى توافينا إلى رسول الله ﷺ ، فإذا أبو عبيدة بن الجراح قد بدرني ، فقال : أسألك بالله يا أبا بكر ألا تركني فأترعه من وجنة رسول الله ﷺ . قال أبو بكر : فتركته ، فأخذ أبو عبيدة بثنية إحدى حلقتي المغتر فتزعا وسقط على ظهره وسقط ثنية أبي عبيدة ، ثم أخذ الحلقة الأخرى بثنية الأخرى ، فسقط ، فكان أبو عبيدة في الناس أثرم (٣) » .

وبعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة في أربعين رجلاً من المسلمين ، فأغار على المشركين في (ذي القصة) (٤) فأعجزوهم هرباً في الجبالي وأمسروا رجلاً واحداً فأسلم (٥) .

(١) انظر تفسير الكشاف للزخشري (١٧٢/٣) وتفسير ابن كثير (٢٧٣/٨) وفيه : اترك هذه الآية في أبي عبيدة بن الجراح ، حين قتل أباه يوم بدر . والآية انكرية من سورة المجادلة (٥٨ : ٢٢) .

(٢) المغتر : زرد يلبس فوق الرأس عند الحرب .

(٣) طبقات ابن سعد (٤١٠/٣) . والثرم بالتحريك : سقوط اثنية وهي واحدة الأسنان الأربع . وانظر جوامع السيرة ص (١٦١) وسيرة ابن هشام (٢٨/٣) .

(٤) ذي القصة : موضع بين زبالة والكندوق دون التفوق بميلين فيه قلب للأعراب يدخلها ماء السماء عذب زلال ، وإلى هنا للوضع كانت غزاة أبي عبيدة بن الجراح أرسله إليها رسول الله ﷺ على الله عليه وسلم . راجع التفاصيل في معجم البلدان (١١٤/٢) .

(٥) طبقات ابن سعد (٨٦/٢) و (٤١١/٣) وجوامع السيرة ص (١٨) .

وبعثه رسول الله ﷺ في المهاجرين الأولين ، فيهم أبو بكر وعمر مدداً لعمر و
ابن العاص في غزوة ذات السلاسل ، وقال له : « لا تختلفا ! » ، فخرج أبو عبيدة
حتى إذا قدم على عمرو قال له عمرو : « إنما جئت مدداً لي » . قال أبو عبيدة :
« لا ، ولكنني على ما أنا عليه ، وأنت على ما أنت عليه » . فقال عمرو : « بل أنت
مدد لي » . فقال أبو عبيدة : « يا عمرو ! أنت رسول الله ﷺ قال لي :
لا تختلفا ، وإنك إن عصيتني أطعتك »^(١) .

وبعثه في ثلاثمائة رجل من المهاجرين والأنصار فيهم عمر بن الخطاب إلى حي
ابن جهينة بـ (القبليّة)^(٢) مما يلي ساحل البحر ، فأصابهم في الطريق جوع شديد
حتى أكلوا الخبط^(٣) ، فابتاع لهم قيس بن سعد جزراً ونحرها لهم ، وألقى لهم
البحر حوتاً عظيماً فأكلوا منه ، ثم انصرفوا دون أن يلتقوا كيدها^(٤) .

وشهد فتح مكة ، وكانت على مقدمة موكب رسول الله ﷺ المؤلف من
المهاجرين^(٥) ، كما شهد كافة المشاهد مع رسول الله ﷺ^(٦) .

لقد كان أبو عبيدة موضع ثقة رسول الله ﷺ وحبّه ، فقد سأل أهل اليمن
رسول الله ﷺ أن يبعث معهم رجلاً يعلمهم السنّة والإسلام ، فأخذ يبد
أبي عبيدة بن الجراح ، وقال : « هذا أمين هذه الأمة »^(٧) .

(١) سيرة ابن هشام (٢٩٩/٣) وطبقات ابن سعد (١٣١/٢) والإصابة (١٢/٤) .
(٢) القبليّة : سرّاء فيما بين المدينة وبنع ، ما سال منها إلا ينبع سمي بالفور ، وما سال
منها إلى أودية المدينة سمي بالقبليّة . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢٩/٧) ،
وهو مما يلي ساحل البحر بينها وبين المدينة خمس ليال . انظر طبقات ابن سعد
(١٣٢/٢) .

(٣) الخبط : ورق الشجر .

(٤) طبقات ابن سعد (١٣٢/٢) وسيرة ابن هشام (٣٠٩/٣) وفتح الباري بشرح
البخاري (٦٢٨) .

(٥) سيرة ابن هشام (٢٦/٤) وجوامع السيرة ص (٢٣١) .

(٦) طبقات ابن سعد (٤١٠/٣) .

(٧) الإصابة (١١/٤) وشرح النووي على مسلم (١٦٢/٥) .

وقال وفد (نجران) ^(١) لثني : « أبعث معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها من أموالنا : فإنكم عندنا رضاء » . فقال لهم رسول الله ﷺ : « اثنوني انتمية أبعث معكم القوي الأمين » ، فكان عمر بن الخطاب يقول : (ما أحببت الاشارة قط بحي إياها يومئذ رجاء أن أكون صاحبها ، فرحت إلى النظر معجراً ، فلما صلى بنا رسول الله ﷺ الظهر سلم ثم نظر يمينه ويساره ، فجعلت ألتطاول له ليراني ، فلم يزل يلتبس ببصره حتى رأى أبا عبيدة بن الجراح ، فدعاه ، فقال : أخرج معهم فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه) . قال عمر : (فذهب بها أبو عبيدة ^(٢)) ؛ وفي رواية أن النبي ﷺ قال لأهل نجران : (لا تبعثن حق أمين) فأشرف أصحابه فبعث أبا عبيدة ^(٣) . وفي رواية أنه قال لهم : (سأبعث معكم رجلاً أميناً حق أمين) فتشرف له الناس ، فبعث أبا عبيدة ^(٤) .

وكان الرسول ﷺ يقول عن أبي عبيدة : (إن لكل أمة أميناً ، وإن أميننا أيتها الأمة أبو عبيدة بن الجراح) ^(٥) . وقال عنه : (لكل أمة أمين ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح) ^(٦) .

لقد كان أبو عبيدة من أنجب تلامذة مدرسة الرسول القائد .

-
- (١) نجران : من خالف اليمن . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢٥٨/٨) .
 - (٢) سيرة ابن هشام (٢١٥/٢ - ٢١٦) .
 - (٣) فتح الباري بشرح البخاري (٧٤/٧) .
 - (٤) سنن الإمام ابن ماجه (٣٢/١) وفتح الباري بشرح البخاري (٧٤/٨) وشرح النووي على مسلم (١٦٢/٥) .
 - (٥) فتح الباري بشرح البخاري (٧٣/٧) وشرح النووي على مسلم (١٦٢/٥) .
 - (٦) فتح الباري بشرح البخاري (٧٤/٨) .

مرباه :

١ - إلى الشام

يستعمل أبو بكر الصديق أبا عبيدة على جيش من جيوش المسلمين وأمرهم (بمصر) ^(١) ، وكان نص أمر أبي بكر الذي أصدره لقادة الشام : (إذا اجتمعتم على قتال فأميركم أبو عبيدة) ^(٢) ، فسلك أبو عبيدة طريق (الممرقة) ^(٣) حتى نزل (الجاية) ^(٤) ، وكان عدد جيشه سبعة آلاف وخمسمائة رجل ^(٥) . وما كادت جيوش المسلمين تصل أرض الشام ، حتى بعث (هرقل) قاداته وجيوشه باتجاه قادة وجيوش المسلمين ^(٦) ، ليشتغل جيوش المسلمين بعضهم عن بعض ، وليحول دون تعاون قادة المسلمين فيما بينهم ، ولتضعف كل فرقة من المسلمين عن بأذنها من الروم ؛ ولكن قادة المسلمين قوتوا على الروم هذه الفرصة واجتمعهم في (اليرموك) ^(٧) ، استعداداً لمواجهة الروم جيشاً واحداً بقيادة قائد واحد .

-
- (١) ابن الأثير (١٥٥/٢) .
 - (٢) البلاذري ص (١١٦) وفتوح الشام للواقدي (٨/١) .
 - (٣) الممرقة : طريق تأخذ على ساحل البحر ، وهي الطريق التي كانت قريش تسلكها إذا أرادت الشام . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٩٥/٨) .
 - (٤) الجاية : قرية من أعمال دمشق . راجع معجم البلدان (٣٣/٣) .
 - (٥) البلاذري (١١٦) .
 - (٦) الطبري (٥٩٠/٢) وابن الأثير (١٥٥/٢) .
 - (٧) اليرموك : واد بناحية الشام في طرف النور بحسب في شهر الارن . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٥٠٤/٨) .

٢ - في اليرموك

استمد أبو عبيدة بعد اجتماع المسلمين في اليرموك ، ابا بكر ، فقال أبو بكر :
(خالد لما !) فبعث اليه وهو بالعراق ، وعزم عليه واستحققه في السير ^(١) .
وطلع خالد على المسلمين ، ففرحوا به فرحاً شديداً ، فكان خالد قائداً عاماً
في معركة اليرموك الحاسمة ^(٢) ، وكان أبو عبيدة على القلب ^(٣) ، فهاجم خالد
الروم (بالقلب) حتى كان بين مشاتهم وفرسانهم وكان هجوم القلب صاعقاً ، فلما
وجدت خيل الروم منفذاً لها للهرب ، تركت ساحة المعركة هاربة ^(٤) ؛ وبذلك
قضى المسلمون على مشاة الروم ، فانتهت معركة اليرموك الحاسمة بانتصار المسلمين .

٣ - بعد اليرموك

تولى أبو عبيدة بعد اليرموك منصب القيادة العامة في أرض الشام ^(٥) ، فاستخلف
على اليرموك بشير بن كعب الحميري ^(٦) ، وصار حتى تزل (بالصقتر) ^(٧) ،
وهناك أتاه الخبر بأن المنهزمين من الروم اجتمعوا (بفعل) ^(٨) ، وأتاه الخبر بأن
المدد قد أتى أهل (دمشق) من (حمص) ، فكتب إلى عمر في ذلك ، فأجابه :

- (١) الطبري (٥٩١/٢) .
- (٢) فتوح الشام للواقدي (١٤/١) والبلاذري ص (١١٧) والأغاثي (٢٦/١٤) .
- (٣) الطبري (٥٩٣/٢) وابن الأثير (١٥٨/٢) .
- (٤) الطبري (٥٩٦/٢) وابن الأثير (١٥٨/٢) .
- (٥) ابن الأثير (١٥٨/٢) وطبقات ابن سعد (٣٩٧/٣) واليعقوبي (١١٧/٢) .
- (٦) بشير بن كعب الحميري : أحد الأمراء في اليرموك ، خلفه أبو عبيدة على اليرموك في
خيل . وهو صحابي جليل . راجع الإصابة (١٦٤/١) و (١٨٠/١) .
- (٧) الصقتر : هو مرج الصفر ، موضع بين دمشق والجلولان . راجع التفاصيل في سبيل
البلدان (٣٦٧/٥) .
- (٨) فعل : اسم موضع بالشام في ناحية الأردن . راجع التفاصيل في سبيل البلدان (٣٤٠/٦) .

بأن يبدأ بدمشق لأنها حصن الشام وطاعتها ، وأن يشغل أهل (نخل) بنخل
تكون بازائهم ، وإذا فتح دمشق سار إلى (نخل) (١) .

٤ - في دمشق

سار أبو عبيدة بالناس من المرج وعلى مقدمته خالد بن الوليد وعلى المجنبتين
عمرو بن العاص وأبو عبيدة نفسه ، وعلى الخيل عياض بن غنم وعلى الرجل شرحبيل
ابن حسنة ، فقدموا على دمشق وحاصروا أهلها وطزقوها ، وكان أبو عبيدة على
ناحية (٢) وخالد على ناحية الباب الشرقي (٣) ، فحاصروا أهل دمشق فحرقوا من
سبعين ليلة حصاراً شديداً بالزحوف والتراخي والمجانيق وهم معتصمون بالمدينة
يروجون وصول الامدادات ، فلما أيقن أهل دمشق أن الامدادات لا تصل اليهم
فشلوا ووهنوا وازداد المسلمون طمعاً فيهم .

وانتهز خالد فرصة انشغال أهل المدينة في احتفالهم بمولد طفل للبطريق ،
فاعتلى هو وأصحابه السور وفتحوا الباب ، فلما رأى الروم ذلك قصدوا أبا عبيدة

(١) نص وصايا حركات عمر كما وردت في الطبري (٦٢٥/٢) ، أما بد : فابدأوا
بدمشق فانهذوا لها فانها حصن الشام وبيت مملكتهم ، واشغلوا عنكم أهل فعل
بنخل تكون بازائهم في نحرهم ، وأهل فلسطين ، وأهل حمص ، فان فتحها الله قبل
دمشق ، فذاك الذي نحب ، وإن تأخر فتحها حتى يفتح الله دمشق ، فليزل بدمشق
من يملك بها ، ودعوها . وانطلق أنت وسائر الأمراء حتى تتيروا على فعل ، فان
فتح الله عليكم فانصرف أنت وخالد إلى حمص ودع شرحبيل وعمراً وأجلها بالاردن
وفلسطين ، وأمير كل بلد وجند على الناس حتى يخرجوا من إمارته . وانظر أيضاً
ابن الأثير (١٦٤/٢) .

(٢) الطبري (٦٢٦/٢) .

(٣) البلاذري (١٢٧) .

وبذلوا له الصلح ، فقبل منهم وفتحوا له الباب وقالوا له : ادخل وامنعنا من أهل ذلك الجانب ، فدخلها خالد عنوة ودخلها أبو عبيدة صلحاً (١) .

٥ — بعد دمشق

سار أبو عبيدة بعد فتح دمشق إلى (فيحل) بعد أن استخلف يزيد بن أبي سفيان على دمشق ، تشهد انتصار المسلمين في هذه المعركة التي كان من نتائجها فتح الأردن على يد شرحبيل بن حسنة (٢) . وبينما كان أبو عبيدة يخوض معركة (قنس) ، كان يزيد بن أبي سفيان يخوض معارك فتح ساحل دمشق : صيدا ورسنة وبيروت (٣) .

٦ — أكثر فتح سرورية

ونسرف أبو عبيدة يخوض معارك من مسرى (حمص) في طريقه إليها اصطدم بقوات الروم في (صراج الروم) ، ونرس خالد ليضرب من خلف قوات الروم التي قصدت دمشق ، فاستطاع خالد كما استطاع أبو عبيدة الانتصار على الروم (٤) .

(١) الطبري (٦٢٤/٢ - ٦٢٧) وابن الأثير (١٦٤/٢ - ١٦٥) . أما البلاغري في ص (١٢٩) فيذكر : أن اسقف دمشق لما رأى أبا عبيدة قد قارب دخول المدينة ، بدر إلى خالد فضاحه وفتح له الباب الشرقي ، فدخل معه ، فقال بعض المسلمين : والله ما خالد بأمر ، فكيف يجوز صلحه ؟ فقال أبو عبيدة : « إنه يجير على المسلمين أدنام » ، وأجار صلحه وأمناه ... انتهى .

وأكثر الروايات على ما ذكرناه في المتن ، لذلك رجحناه - خاصة وأنه أقرب لطبيعة انقيادهم : طبيعة أخلاق خالد الحاربة وطبيعة أخلاق أبي عبيدة المسالمة ، لذلك نرجح دخول خالد دمشق من الباب الشرقي قسراً ودخول أبي عبيدة من باب الجالية سلباً .

(٢) الطبري (٦٢٨/٢ - ٦٣٠) وابن الأثير (١٦٥/٢ - ١٦٦) والبلاغري ص (١٢٢) .

(٣) ابن الأثير (١٦٥/٢) والبلاغري ص (١٢٣) .

(٤) الطبري (٩٦/٣) وابن الأثير (١٩٠/٢) .

واستمر أبو عبيدة في سيره باتجاه هدفه (حمص) ، فملك طريق (بعلبَك)^(١) فطلب أهلها الأمان ، فأمنهم وصالحهم ، وسار عنهم ، فنزل على (حمص) ومعه خالد ، ففتحها بعد حصار طويل على مثل صلح دمشق^(٢) . ثم مضى إلى (حماة)^(٣) ، فتقاء أهلها مدعين ، فصالحهم على الجزية لرؤوسهم واخراج على أرضهم . ومضى نحو (مَيزَر)^(٤) فخرجوا إليه يسألون الصلح على ما صالح عليه أهل حماة ، فسار أبو عبيدة إلى (معرة حمص)^(٥) وهي (معرة النعمان) ، فأذعنوا بالصلح على ما صالح عليه أهل حمص .

وسار أبو عبيدة إلى (اللاذقية)^(٦) وكان لها باب عظيم لا يمكن فتحها إلا بجماعة كبيرة من الناس ، فمسكر المسلمون على بعد منها ، ثم أمر فحفر حفائر عظيمة تستر الحفرة منها الفارس راكبا ، ثم أظهر المسلمون أنهم عائدون

(١) بلبك : مدينة قديمة فيها أبنية عجيبة وآثار عظيمة ، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢٢٦/٢) والمالك والمالك من (٤٦) .
« لجنة المجلة : عرفت بلبك وغيرها من المدن والقرى على حسب ما ورد فيها في الكتب القديمة » .

(٢) الطبري (٩٧/٣) وابن الأثير (١٩٠/٢) والبلاذري من (١٣٦) .

(٣) حماة : مدينة كبيرة عظيمة ، يحيط بها سور ، تقع على نهر العاصي . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣٣٥/٣) .

(٤) شير : قلعة تشتمل على كورة بالعام قرب المعرة ، بينها وبين حماة يوم واحد . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣٢٤/٥) .

(٥) معرة حمص : مدينة كبيرة قديمة مشهورة من أعمال حمص بين حلب وحماة . أطلق عليها اسم معرة النعمان على اسم الصحابي الجليل النعمان بن بشير الذي مات بها . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٩٦/٨) والمالك والمالك من (٤٦) .

(٦) اللاذقية : مدينة في ساحل بحر الشام تعد من أعمال حمص . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣١٢/٧) .

عنها ورحلوا ، فلما أظلم الليل عادوا واستتروا في تلك الخفائر . وأصبح أهل اللاذقية وهم يرون أن المسلمين قد انصرفوا عنهم ، فأخرجوا سرحتهم وانتشروا بظاهر البلد ، فذا يرعهم إلا والمسلمون يصيحون بهم ودخلوا معهم المدينة ، ففتحوها عنوة (١) .

وأرسل أبو عبيدة خالدًا إلى (قنسرين) (٢) ، وفي (الحاضر) (٣) فمضت خالد بقوات الروم ، فاقتتلوا قتالًا لم يقتلوا مثله من قبل ، وكانت نتيجة المعركة انتصار المسلمين على الروم ، فسار خالد حتى نزل على (قنسرين) ، فحصن أهلها منه ، ولكنهم صالحوه على مثل صالح حمص ، فأبى إلا على خراب المدينة (٤) . ولما فرغ أبو عبيدة من (قنسرين) سار إلى (حلب) (٥) فبلغه أن أهل قنسرين تقصروا وغدروا ، فوجه اليهم السمط الكندي (٦) ، فأعد فتحها .

ووصل أبو عبيدة (حاضر حلب) (٧) ، فصالح أصفافا من العرب على الجزية ، ثم أسلموا بعد ذلك . وأتى حلب فحصن أهلها ، ولكنهم لم يباشروا أن طالبوا الصالح والأمان على أنفسهم وأولادهم ومدنيتهم ، كذا نسبهم حصنهم ، فأعطوا ذلك (٨) .

-
- (١) ابن الأثير (١٩٠/٢) والبلاذري ص (١٣٧) ، وفي البلاذري ص (١٣٨) : أن الذي فتح اللاذقية هو عبادة من الصامت .
- (٢) قنسرين : بلد في أرض الشام جنوبي حلب . راجع التفاصيل في معجم البلدان (١٦٨/٧) والمساك والممالك ص (٤٦) .
- (٣) الحاضر : خلاف البادي ، وهو بقرب حلب قنسرين وهو حاضر قنسرين .
- (٤) الطبري (٩٨٣) وابن الأثير (١٩١/٢) والبلاذري ص (١٥٠) .
- (٥) حلب : مدينة عظيمة واسعة ، وهي قصة قنسرين ، مسورة بحجر أيضا . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣١١/٣) والمساك والممالك ص (٤٦) .
- (٦) هو السمط بن عمرو الكندي ، وسنرد ترجمته مع قادة الفتح الإسلامي .
- (٧) حاضر حلب : الحاضر خلاف البادي ، وهو بقرب حلب . راجع التفاصيل في معجم البلدان (١٩٩/٣) .
- (٨) ابن الأثير (١٩١/٢) والبلاذري (١٥١) .

وسار أبو عبيدة من حلب إلى (إنطاكية) ^(١) وقد تحصن بها خلق كثير من قنسرين وغيرها ، فحاصرها من جميع نواحيها ، فصالحوه على الجلاء أو الجزية ، فجلا بعضهم وأقام بعضهم ، فأمنهم ^(٢) .

وبعث أبا عبيدة أن جمعا من الروم بين (معرة مصرين) ^(٣) وحلب ، فتقدم وقائهم وفتح (معرة مصرين) على مثل صلح حلب . وجالت خيوله ، فبلغت (يوقا) ^(٤) ونجت قري (الجومة) ^(٥) و (سرمين) ^(٦) و (سرحوان) ^(٧) و (تيزين) ^(٨) وغلبوا على جميع أرض قنسرين وإنطاكية ^(٩) .

وسار أبو عبيدة يريد (قورس) ^(١٠) ، فدالحا على صلح إنطاكية . وبث خيوله

-
- (١) إنطاكية : مدينة تعتبر قسبة المواسم من الثور الشامية . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣٥٣/١) .
- (٢) ابن الأثير (١٩٢/٢) والبلاذري ص (١٥٢) .
- (٣) معرة مصرين : بلدة وكورة بنواحي حلب ومن أعمالها ، يشها نحو خة فراسخ . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٩٥/٨) .
- (٤) يوقا : بلدة قريبة من حلب ومن أعمالها .
- (٥) الجومة : من نواحي حلب . راجع معجم البلدان (١٧٦/٣) .
- (٦) سرمين : بلدة مشهورة من أعمال حلب . راجع معجم البلدان (٧٥/٥) .
- (٧) سرحوان ، من نواحي حلب . راجع معجم البلدان (١٤/٨) .
- (٨) تيزين : قرية كبيرة من نواحي حلب ، كانت تعد من أعمال قنسرين . راجع معجم البلدان (٤٤١/٢) .
- (٩) ابن الأثير (١٩٢/٢) والبلاذري ص (١٥٤) .
- (١٠) قورس : مدنة أزلية بها آثار قديمة . وهي كورة من نواحي حلب . راجع التفاصيل في معجم البلدان (١٨١/٧) .

فغلب على جميع أرض 'قورس' ، وفتح (تل عزاز)^(١) ، ثم فتح (منبج)^(٢) و (دُلوك)^(٣) و (رَعْبَان)^(٤) صلحاً ، واشترط على أهلها أن يخرجوا المسلمين بخير الروم ، ووجه أبو عبيدة خائناً وهو (منبج) إلى (سرعش)^(٥) ففتحها وأجلى أهلها وأخربها ، كما أنه فتح حصن (آخذت)^(٦) ، وبذلك استولى أبو عبيدة على أرض الشام من هذه الناحية إلى الفرات ، فولى على كل كورة فتحها عاملاً ، وضم إليه جماعة من الإداريين يعاونونه في إدارة منطقته وجيشاً يدافع عنها ، ثم عاد إلى فلسطين^(٧) .

وبينا كان أبو عبيدة يعمل جاهداً لا يكال فتح سورية ، كان عمرو بن العاص يعمل جاهداً لفتح فلسطين ، فجاءه أبو عبيدة ، وحاصروا (ايليائ)^(٨) وهي

(١) تل عزاز : بلدة فيما قلة تقع شمالي حلب ، بينهما يوم واحد . راجع معجم البلدان (١٦٨/٦) .

(٢) منبج : بلدة قديمة كبيرة واسعة ، بينها وبين افرات ثلاثة فراسخ وبينها وبين حلب عشرة فراسخ . راجع معجم البلدان (١٦٩/٨) .

(٣) دُلوك : بلدة من نواحي حلب بالمواسم . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٦٨/٤) .

(٤) رعبان : مدينة بالتورين حلب ومسيطاً قرب الفرات ، مدودة من المواسم . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢٦١/٤) .

(٥) سرعش : مدينة في التورين الشام وبلاد الروم ، لها سوران وخندق ، وفي وسطها حصن عليه سور . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢٥/٨) .

(٦) الحدث : قلعة حصينة بين ملطية وسيمساط وسرعش ، من التور ، يقال لها : الحراء ، وقلتها على جبل يقال له : الأحيدب . راجع معجم البلدان (٢٣١/٣) وعن فتح سرعش والحدث تاريخ أبي الفداء (١٦٠/١) .

(٧) ابن الأثير (١٩٢/٢) والبلاذري ص (١٥٥) .

(٨) ايليائ : اسم مدينة بيت المقدس . وسماتها : بيت الله . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣٩٢/١) .

يث المقدس ، فطلب أهلها أن يصالحهم أبو عبيدة على مثل صلح أهل الشام ، وأن يكون المتولي لعقد الصلح عمر بن الخطاب ، فكتب إليه بذلك ، فقدم عمر وفتح مدينة القدس (١) .

٢ - الدفاع عن حمص

عاد أبو عبيدة إلى (حمص) بعد فتح القدس ، فقصده الروم ، وكانت المبيج لهم أهل (الجزيرة) (٢) ، فقد راسلوا ملك الروم وحثوه على إرسال الجيوش لاسترداد الشام ، وتطوعوا من أجل ذلك لمعاونته .

وسمع أبو عبيدة باجتماع الروم وحلفائهم ، فقم إليه مسالح المسلمين وعسكر في داخل مدينة حمص . وأقبل خالد من قسرين إليهم ، فاستشاره أبو عبيدة في مهاجمة الروم أو التحصين إلى بحبي ، الامدادات ، فأشار خالد بالمناجزة وأشار غيره بالتحصين ، فأطاع أبو عبيدة الأكثرية ، وكتب بذلك إلى عمر .

وكان عمر قد أعد في كل مصر من أعمار المسلمين الكبيرة ومنها الكوفة قوة احتياطية سريعة من الفرسان ، فكان بالكوفة وحدها أربعة آلاف فارس ، وكان واجب هذه القوات الاحتياطية السريعة ، إسناد مواقع المسلمين التي يتهدها الخطر اسناداً فورياً حتى يتجهز الناس ، فلما سمع عمر الخبر ، كتب إلى سعد بن أبي وقاص : « اندب الناس مع القعقاع بن عمرو وسرحهم من يومهم الذي بأتبك فيه كتابي إلى حمص ، فان أبا عبيدة قد أحيط به ، وتقدم إليهم

(١) ابن الأثير (١٩٣/٢) والبلاذري ص (١٤٥) .

(٢) الجزيرة : هي التي بين دجلة والفرات مجاورة أرض الشام ، تشمل على ديار مصر وديار بكر . راجع التفاصيل في معجم البلدان (١٦/٣) .

في الجند والحث « ، وكتب إليه أيضاً ، أن يسرح صييل بن عدي إلى (الرقة)^(١) لأن أهل الجزيرة هم الذين استشاروا الروم على أهل حمص ، وأمره أن يسرح عبدالله بن عبدالله بن عتيان إلى (نصيبين)^(٢) ، ثم ليقصد (حران)^(٣) و (الرها)^(٤) ، وأن يسرح أنوليد بن عقبة على ضرب الجزيرة من ربيعة وتوش ، وأن يسرح عياض بن غنم ، فان كان قتال ، فأمرهم إلى عياض .

ومضى القعقاع من يومه على رأس أربعة آلاف فارس إلى حمص^(٥) ، وخرج عياض وأمرأه الجزيرة وأخذوا طريق الجزيرة ، وتوجه كل أمير إلى المنطقة التي أُمِر عليها ، وخرج عمر فأتى (الجابية) يريد حمص مبيتاً لأبي عبيدة .

وبلغ أهل الجزيرة الذين أغانوا الروم على أهل حمص أن جنود المسلمين قد تحرکوا من الكوفة دین أن يعرفوا الوجهة الحقيقية لها : أي هل توجه صوب الجزيرة أم توجه إلى حمص ، كذلك تفرقوا إلى بلدانهم لحمايتها والدفاع عنها من

(١) الرقة : مدينة مشهورة على الفرات . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٧٢/٤)
والسالك والمالك ص (٥٣) ،

(٢) نصيبين : مدينة كبيرة طامة في بلاد الجزيرة . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢٩٢/٨)
والسالك والمالك ص (٥٢) .

(٣) حران : مدينة عظيمة مشهورة في الجزيرة . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢٤١/٣)
والسالك والمالك ص (٥٤) .

(٤) الرها : مدينة في الجزيرة . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣٤٠/٤)
والسالك والمالك ص (٥٤) .

(د) حركة أربعة آلاف فارس في يوم واحد إلى هدف بعيد ليس سهلاً . إنه يكاد يكون مستحيلاً في أيامنا الحاضرة ، فكيف أنجزه المسلمون قبل أربعة عشر قرناً !

الخطر المباشر الذي دامها ، وبقي الروم وحدهم حول حمص ، فقاتلهم المسلمون
واتصروا عليهم بسهولة قبل أن يبلغ القمعاق حمص بثلاثة أيام ، فكتب عمر إلى
أبي عبيدة كي يشرك أهل الكوفة في العطاء قائلاً : « جزى الله أهل الكوفة
خيراً : بكفون حوزتهم ويمدّون أهل الأنصار »^(١).

وبذلك استطاع أبو عبيدة ترصين ما فتحه من أرض الشام ، وإكمال فتح
أرض الشام : سورية ولبنان وفلسطين والأردن .

الزعيم الركن

محمود شيت قطاب

(يتبع)

(١) الطبري (١٥٠/٣) وابن الأثير (٢٠٠/٢) .

مارسب في اللغة العامية

من اللهجات القرآنية

هذا باب واسع وأنا أكتب في دائرة محدودة والموضوع بكر وهو ينتظر إضافات وتقريعات ...

ان كثيراً من اللهجات القرآنية عثرت عن (لغة الدراسة) قراءةً وكتابةً حفظاً لوحدة التعبير ، وكان على ذلك اجماع عجيب من المشرقة الغربية ، واقتصر الخلاف على رسم الخط كنقط الفاء والقاف ، ولم يكن ذلك عن تأنيف بجمع ولا سعي دولة ولا دعوة داع ولا تأثير لاختلاف المصطلحات .
ولعل مما ساعد على ذلك اختيار أسهل القراءات لعامة الناس وأبعدها عن التعقيد كقراءة عاصم في المشرق وقراءة نافع على ما أظن في المغرب .
وهذا الذي عُثر عن لغة الدراسة رسب كثير منه في لغة التخاطب ، يعم تارةً ويختص أخرى ، ومن هنا تشعبت اللهجات العامية ولم ينفعها سقوط الإعراب .
فأول ما يتبادر إلى الذهن إمالة الألف في الحواضر بتبدى من تكرير الملحقة ببغداد دون أن يكون لبغداد نصيب منها^(١) ، تليها الموصل مغربة إلى ما شاء الله . ولم نسمع أهل بادية يميلون ألفاً ولا هاء . والبحث في دائرة محدودة كما سبق والاستيعاب صعب بل مستحيل .

(١) لكن أهل بغداد شنوا في باننجان فقالوا (يدينجان) ويقولون (ديور) بمعنى (داور) لم أجد لهم غيرهما وأظنهم يقولون (يلي) مكان (يلي) ونس ياقوت على أن ديال بالأمة .

فالموصل يقول (جميع) مكان (جامع) ، و (ويقف) مكان (واقف) .
ولا يقول (كينب) مكان (كاتب) ولا (حيب) مكان (حاسب) إلا إذا
أراد الحديث مثل (نزل كينب لي مكتوب) و (فلان حيب احساب) ،
وهذه الإمالة ممثلة كإمالة السوريين ، لكن أهل تكريت يقولون فيها ، ومثلهم
أهل حي من أحياء الموصل يقال له باب العراق وهو اليوم دارس اشتهروا بلفظ
(جيبي) و (انقيش) بكسرة قوية والمراد (حاجة) و (فراش) وبعض الأحياء
(حاجة) بالإقامة والأصل (دجاجة) .

واللهجة العربية في الموصل إمالة خفيفة للآلف وإمالة ثقيلة للهاء ، ولم أجد
على هذا التقسيم نصاً ، واضطرت إلى مراعاة الواقع كما أني تساهلت في التعبير
بإمالة الهاء وعبارة النحويين إمالة القنطرة قبل الهاء عند الوقف على المختوم بتاء
التأنيث لأن الهاء تصبح حرف علة في اللهجة العامية فتقلب إلى ياء .

وأهل الأحياء يتنادرون في شأن الابهجات ولا تخرج المسألة عن الآلف فالذين
يقولون (جيبي) بإمالة خفيفة وأخرى ثقيلة يضحكون ممن يقولها بإمالتين ثقيلتين !
والغالبون يقولون سوق وصندوق بضممة مخرفة ، ويضحكون ممن يقول سوق
وصندوق بضممة قوية مع أنها سوق وصندوق بضممة مخرفة ، ويضحكون ممن
يقول سوق وصندوق بضممة قوية مع إنها هي الفصيحة فيستغفط المغلوب عند الكلام
ويقتصر على أهل حيه ! وإذا قال الموصل في بغداد أو سورية (رحنو) أو (جيتو)
استغربوا ضم التاء وعدوه تنطعاً ثقيلاً ! لاسيما أنهم يضمنون بأشباع الضمير
المخاطبين أي (جيتم) و (رحتم) ويستوي عندم المتكلم والمخاطب في قولهم
(رحتم) أو (جيت) بإمكان التاء وإنما التزم الموصليون الضم للتفريق بين المتكلم
والمخاطب فعند إرادة الأول يضمنون بأشباع وعند إرادة الثاني يسكنون .

وكإمالة الألف إمالة الهاء كما سبق ، ولما كان الوقف ملازماً للهجة العامية لم يكن بد من فشو الإمالة في المناطق التي تميل مثل (سمكي) و (واغني) و (كلي) و (يزوني) و (غماني) ، إلا أنها غير مطردة إذ يقولون : (فاغة) و (قاعة) و (غزالة) و (تفاحة) ٠٠٠ ويملون (فاظمة) ^(١) ولا يملون عائشة ولا خديجة ولا فاطمة بنت النبي ﷺ وكذلك سائر الأعلام مثل عنيزة وشريفة ٠٠٠ فإذا أرادوا الوصف أمالوا فقالوا (فلانة عنيزي على أهلاً) و (فلان أخلاقو شريفي) بفتح اللام والقاف لعل مبسوطة في باب الوقف .

وهذه أيضاً تنقسم إلى خفيفة وثقيلة ، فالثقيلة ملازمة للهجة الشكرينية والموصلية لا تعداها ! والخفيفة منتشرة في البلاد السورية مبتدئة من ماردين إلى مالا أدرى . ومن يستمع إلى اسطوانة (شمس الشموسة) يجزم أن الإمالة بلغت الريف المصري وهي مقودة في ريفنا !

وأكد أشعر أن إمالة خفيفة جداً تيجري على ألسنة البغداديين أو بعضهم عند النطق بمثل وظيفة وخليفة وجريدة وأنا لا أدرك الاختلاف في اللهجات البغدادية كما يدركه أهلها .

والاستناد من استماع القراء المصريين من دار الإذاعة أن الإمالة الثقيلة واردة في القرآن مثل (اولئك أصحاب الجني) ولا أزال أسمع قارئاً ^(٢) يقرأ (وجاء ربك والملك صفاً صفاً وجيء يومئذ يجهنم ٠٠٠) فلا أفرق بين الفعل المعلوم والفعل المجهول كما لا أفرق بين الماضي والمضارع في (وما أدريك ما الطارق) وكنت أظن أن الإمالة في القرآن الكريم كلها معتدلة حتى سمعت قراء مصر المعتبرين وفي نظري أن الإمالة القوية كسر لا إمالة .

(١) العرب وأهل بباد يقولون فاطمة وفطوم وأهل الموصل يقولون فاطمي وفطومة

وقد يقولون نطوش كأنه تصغير أعجمي (نطوبه) ، والأكراد : فاتي .

(٢) هو الأستاذ صديق للنشوي .

ومن الباب تقل حركة همزة إلى الحرف الساكن قبلها فتقلب ألفاً ثم تحذف ، والشواهد كثيرة في القرآن ، وأظنها قراءة ورش منها (يسألونك عنكفال فللنفال) ولما كانت العامية تبدى بالسكون كثيراً والسكون يحتاج إلى همزة وصل كثر هذا القرب من النقل مثل (خذ الكتاب) بسكون وكسر واصله (خذ الكتاب) بكسر وسكون ولما كانت اللهجة كسر همزة (أقلام) كانت حكمها حكم همزة (إكتاب) فيقولون (خذ أقلام) بسكون وكسر ، والفصح (خذ أقلام) بكسر وفتح ، والاصل (خذ الأقلام) .

ومن الباب حكم الراء في قراءة عاصم احتفظت به (قراءة الدراسة) ، وتقلب في العامية ، فنجد الترقيق في بعض ما حكمه التنخيم ، فيقولون (زهرة) وهو ترخيم (زهراء) ، وفي جنوب الموصل عين معدنية تسمى (عين زهرة) بالترقيق ^(١) ، ومنه بيت لشاعر صوفي بلهجة بدوية ولعله رادي :

باللي تريد العبير وامن العرك تبهر كل الشرايع زلك من يمنا العبره
بترقيق حرف الروي ، ولو نغم لفست مذاقة اليت ، ومن هنا تعلم ما في اللهجات من دقة وارتباط الشعر بها ، وبكثر الترقيق في لهجات النصارى ، والسموع من قراء السبعة كثير مثل (اكبر) و (اقترى) و (فرارا) و (يرى) و (يره) و (ذراعيه) . . . ومن عجائب اللهجات وغرائبها أن أهل الموصل يقولون (اضغاع) إذا أرادوا آلة الذرع ، وإذا أرادوا العضو قالوا (اذراع) بالترقيق ، ويقتصرون في ذلك على كناية مشهورة لديهم : (جابوا بذراعوا) أي باستعداده وقوته دون اعانة من أحد ، مع أنهم لا يطلقون الذراع على العضو المعلوم خارجاً عن المثل فلا يقول أحدهم (اكلت اذراع) بل يقول (اكلت زند) ومن الأمثال على ما أتذكر (شمل ذرعانو) بالجمع بمعنى (شمر عن ساعديه) للأكل ونحوه .

(١) فاذا قالوا (فاطمة الزهرة) فخموا .

ومن الباب ادغام التاء فيها بقاربها من الحروف وذلك في باب تفعل وتفاعل
مثل (اذكر) بشدتين و (اذكر) بشدة ء و (امدق) و (اصادق) ء
و (اصاخ) ء ومثلها مضارعاتها فهذه عزلت عن نثر الكتاب وقراءته ورسبت في
لغة التخاطب لكن (اذكر) بالشدة عزلت عن النثر والتخاطب معا وكل ما عزل
مرخوص فيه للشاعر .

أما الضم والكسر في مثل (عليكم) و (عليهم) فأهل بغداد والأعراب
يلتزمون الضم وأهل الموصل يكسرون في الجمع ويضمون في المفرد ^(١) فيقولون
(عليكو) والمراد (عليه) بالضم وهو ما شذ فيه عاصم في قوله تعالى (ومن أدنى
بما عاهد عليه الله) وعلى هذا القياس (يتو) مكان (فيو) للاستغناء بياء
مشبعة عن (في) ومن هذا الضرب (متو) وأهل بغداد : (منه) بالشدة
والفتح والضم يبدأ من جزيرة الموصل إلى آخر الأندلس . وفي الأزجال العامة
شواهد وما أدري الفتح الذي يبدأ من بغداد إلى أين يصل ؟ وسمعت من عرب
الجزيرة (بوه) والمراد (بهو) ولما كنا سفاراً تراسى بالمقاليم كان إذا انكسر
أحد الطرفين ينادي الطرف الآخر وراءه (عليهم عليهم !) بالضم على لهجة
البادية لأنها أوقع في النفوس مع أن الكسرين من أهل الكسر ! وتلك بلاغة
غريزية لم يدرسها الصغار في كتب البلاغة !

(١) كان المفقور له الشيخ عبد القادر المغربي سأل عن مثل هذا بناء على سؤال أتاه من
يون عاصمة ألمانيا بناء على وقوعه في ديوان الحلبي ، فتعجبت من سؤاله عن شيء
واقع في لهجته ، فكتبت إليه أن الحلبي إما أن راعى لهجة ماردن أو اللهجة السورية
أو أن لهجة الحلة كانت كذلك في عصره ، ولا يبعد أنها كانت فاشية في العراق كالموصل
والجزيرة ثم تبدلت الأحوال ... ولا يبعد أن يكون الجواب محفوظاً بين أوراقه التي
تركها مع أشياء أخر كنت كتبتها إليه ولم تحفظ بالنفس .

وفتح ابن خلدون علينا مشكلاً هو قلب القاف الممهودة كافاً في الجبل العربي
قنطرة، والاشكال من جهة شموله لا من جهة وقوعه لأنه وارد . وما أذكره
قراءة (فأما اليتيم فلا نكهر) .

وزعم الداهيون إلى هذا أنه قراءة النبي ﷺ ولما زار العراق ولي عهد اليمن
البدر ... قدمه (أهل أبي حنيفة) إماماً في بعض الثعلبات . وكان أبو حنيفة
صديقاً لزيد فبلغني أنه قرأ (الصراط المستقيم) ، و (كال الله هذا يوم ينفع
الصادكين صدقهم) . وهذا المخرج شائع في العراق ، إلا الموصل وتكربت
باعتناء أحياء معينة ، وليس مطرداً ، إذ يقولون قرآن و (اقراية) و (قانون)
و (قوندره) و (قنفة) و (قالب) و (يرتقال) ... وما أدري كيف شمل هذا
المخرج الجبل العربي غير المتخضر مع اجماع السبعة على المخرج المتعارف بين القراء
لا سيما أن علماء التجويد نصوا على القلقة والقلقة تقتضي قاناً ثقبلة لا كافاً خفيفة .
ومن الباب تفخيم لام (الصلاة) الشائع بين الجبل وهو مما نسمعه من بعض قراء السبعة .
ومن الغريب أن المسلمين العربيين في الموصل لا يفخمونها ، ويفخمها النصارى
العريقون فيقولون (يصلي) بتفخيم ثقبيل مع بعدهم عن لهجة البادية من قديم
الزمن ، وما حفظته عامية اليهود في بغداد اطلاق لفظ (الصلاة) على معبد
المسي في لهجة الموصل (اكنيسي) وجاء في القرآن (ولولا دفع الله الناس بعضهم
بعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد) . وأهل بغداد يطلقون لفظ
الكنيسة على معبد النصارى وأهل الموصل : (بيعة) بفتححة مماله ، والصواب
الكسر ، لكن في شمالي الموصل موقع يقال له (حاوي الكنيسة) والعرب
(حاوي الكنيسة)^(١) يعنون معبداً نصرانياً أظنه مقام (مار ميخائيل) والحاوي
ما جاور النهر في اصطلاحهم .

(١) بادغام اللام بالجم الفارسية وكذلك الجيم العربية مثل (غاس الجحش) لثتم يلحقونها
بالحروف الشمسية .

ومن الباب التزام كسر حرف المضارعة إلا الألف أو ما جاور الألف
ولا أتذكر إلا (نستعين) ، غير أن البداية تضيف كسر التاء مثل (يستني)
(يختزي) . ومن الغريب أن يرد كسر الهجزة في قول الشاعر :
ويا أدري ولست إخال أدري أقوم آل حصن أم نسا .
وقول الآخر :

إخالك موعدي بيتي جفيف وهالة اتني انهاك هالا !
والتزم النحاة وقصروه على مادته .

ومن الباب عموم مادة (أنطى) : لا يستثنى إلا الموصلون العربون ، وقد
قريء (انا أنطيناك الكوثر) ، والله أدري وأخبر .

وبما وقع في المصاحف رسم مثل (رحمت) بالتاء الطويلة مراعاة للوقف عليها ،
وهي لهجة تنسب إلى حمير ، ويروى عن سيف بن ذي يزن أنه قال (ليس عندنا
صرييت من دخل ظفار حمر) . وهذه اللهجة مقتصرة على لبنان فيما أظن ،
وأخذ بها الترك فقالوا (ملت) و (حميت) وشوكت وعزت الخ . . . وأخذ
عنهم العرب بعض الألقاب وكتبوها كما كتبوها ، وقام المحدثون لقصروا التاء ،
وهو خلاف مقتضى ما دام النطق محافظاً على التاء فإذا كتبنا شوكت على شكل
شوكة أو هم واحدة الشوك ! وهي عند الترك سماعية أيضاً لأنهم يقولون مسأله
وقضيه وترييه ووالده وكريمه وسليمه وتزمت ودولت علماً على مرأة وعندنا بسمون
(دولة) والترك يقولون ولايت ويجمعونها على ولايات وإيالات ويجمعونها على
إيالات وقالوا زعامت والجمع (زعاتلر) .

وبما ورد في القراءات قلب السين صاداً مثل (مصيطر) و (صراط) وكان
أصله (صراط) .

والموصل يقول في (ساذج) : ساذه والبغداد ي والوري ساذة . ويقولون

(حاج) مكان حاج و (اصخام) مكان سخام . وقد يعكسون فيقولون سقال مكان سقال .

ومن أمثال الموصل : (ايعبداء ويسقله) الضمير للتأنيث نقلت حركة الهاء إلى ما قبلها ، واكتُفي بالفتحة والبغدادية : (ايعبدها ويصقلها) . ولا تكاد الألف تظهر في النطق اكتفاءً بالفتحة وظهور الألف في الخط فقط . ولكل من اللهجتين تعليل فالبغدادية أبقى السكون في الفعل على حاله والموصلي نقل الفتحة إلى الساكن قبلها .

وبعض اللهجات القرآنية عزل عن لغة الإنشاء ولغة التخاطب مما كاشباع ضم الميم من هم وكم الضميرين والشاعر حرقه ولا ضرورة إليه في قراءة ولا كتابة . وما عزل عن اللغتين مما حذف إحدى التاءين من مثل (تنذكرون) كما عزل عنها نون التوكيد في الغالب . وأسمع من بعض سكان الجنوب (اروحن) ، (اجيين) ، (اكونن) لغير غرض التوكيد ، وكنون التوكيد لام التوكيد بأنواعها وبعض الكتاب القاصرين يستعملون (وائن) بمعنى (وإن) وعزل عن العامية مد مثل حمراء وبيضاء فأهل الموصل يقولون (حمفا) و (خضفا) و (صففا) للألوان فإذا أرادوا مرض (الصفراء) قالوا (صفرة) ! والأعراب و : (حمرة) و (خضرة) و (شكرة) و (ملحمة) يقول شاعرهم :
حورن يراعي الشكره حورن وانطيني اعلموك !

و (صفرة) و (بيضة) ... وهذه اللهجة فتحت لي باباً إلى القول بأن أعزة وأذلة واشحة وما شاكلها مرخمة عن أعزاء وأذلاء واشحاء ... فهي منتزلة عن (افعلاء) لا (افعلة) مستقلة ، والدليل على ذلك انهم قالوا : أبعلاء واجلة ، ومضوا في التحقير فقالوا (جيلة) ، وهذا دليل على مرونة اللغة ، إلا ان الألف له أحكام فقد يميز القياس شيئاً غير المألوف كجملتي وشرقي وصرقي لتفضيل المؤنث وقد يؤلف شيء خارج عن القياس كأصدقاء وانصباء وحمقاء وطلحاء وعلماء .

فائدة تتعلق باللهجة الموصلية :

اشتهر أهل الموصل بقلب الراء غينا إلا أنه ليس قياسيا إذ يقولون : رجب في جنب غمضان وريبع للرفيق وريبع للشهر وغيبع للوسم واغبعة في العدد وربع للأصدقاء وامغيع لو كبل الملاك على الزرع وربعة لأجزاء الختم وثرابع توافق . . . ووقع في روع شاب موصل أن أهل بغداد يتنادرون على هذه اللهجة فأراد أن يردّها عليهم مدعيا أن أهل بغداد كانوا يجلبون الفتيات الجيلات فكان يلفن بالراء فأعجبتهن لفتن فقلدهن فيها ثم سرت إلى الموصل بحكم المدى وأتى براهيم لا جدوى من تقلها - وفاته أن شاعرا قديما تعرض لها قائلا :

لقد فتنتني لغة موصلية رمتني في تيار بحر هوى الشغ

وجاء بنماذج تزيد فيها حيث قال :

تفقد شغب الخف من كفم غيقي يزيدك عند الشغب شكفا على شكف
وأهل الموصل لا يلفنون براء الشكر أما الشغب فنعم ! لكنهم يقولون (مشرية)
لما يقال له اليوم بالعامية يرواق أو كلاص أو كباية .

بغداد:

محمود الملاح

التعريف والنقد

طبقات الصوفية

لأبي عبد الرحمن بن محمد السلي

تحقيق وتقديم يوهانس بيدرسين ، طبعة ليدن ، سنة ١٩٦٠

يقول السلي في التعريف بكتابه : « .. فأحييت أن أجمع في سير متأخري الأتباع كتاباً تسميه طبقات الصوفية ، أجعله على خمس طبقات من أئمة القوم ومشائخهم وعلمائهم وأذكر في كل طبقة عشرين شيخاً من أئمتهم الذين كانوا في زمان واحد وقريب بعضهم من بعض وأذكر من كلامه وشماله وسيرته ما يدل على طريقته وحاله وعلمه .. » . وقد حقق هذا الكتاب الاستاذ بيدرسين معتمداً على خمس مخطوطات ، وقدم له بمقدمة تقع في نحو خمس وأربعين صفحة ، وألحق به فهرس بأسماء الرجال والنساء والأماكن ...

•••••

كتاب مشاهير علماء الأمصار

من تصنيف محمد بن رحبان البسقي ، عني بتصحيحه م . - فلايشهر

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، سنة ١٩٥٩

هذا كتاب في علم الجرح والتعديل ، يضم ألفاً وستمائة ترجمة وترجتين للمحدثين الموثوقين ، وقد نظر في تصنيفه الى زمان المترجمين (الصحابة فالتابعين فأتباع

التاسين) ، وقد اعتمد المستشرق الألماني الأستاذ فلابشهر في تحقيقه على نسخة وحيدة عثر عليها في مكتبة الجامعة بلايزنغ ، ولم يأل جهداً في التحقيق بالرجوع إلى المشهور من كتب التراجم والطبقات . وتبعه بفهرس أيجدي بأسماء رجال التراجم .



روضة السلوان

لأبي اسحق ابراهيم بن عبد الجبار النجيجي

عني بنشرها وترجمتها إلى الفرنسية والتعليق عليها : نور الدين عبد القادر وهنري جيهه نشر معهد الدراسات الشرقية ، كلية الآداب بالجزائر ، سنة ١٩٥٩ و « روضة السلوان » هذه قصيدة عينية من البحر الطويل في الصيد ، وتقع في أربعة عشر ومائتين من الأبيات ، ومطلعها :

يلوموني في الصيد والصيد جامع لأشياء للإنسان فيها منافع
والشاعر من شعراء النصفين الأخير والأول من القرنين التاسع والعاشر
المجريين ، وموطنه نجيج وهي أرض تقع إلى الجنوب من وهران .



فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد للامام البخاري

تأليف فضل الله الجيلاني

في (٦٤٨) صفحة ، طبع على نفقة الحاج يوسف زينل الحجازي في المطبعة

السلفية في القاهرة ، سنة ١٣٧٨ هـ .

أفرد الإمام أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري ، إلى جانب جامعه الصحيح ، كتاباً قصره على موضوع الأدب هو «الأدب المفرد» . وكتابنا هذا هو الجزء الأول من شرحه الذي قام به فضل الله الجيلاني الأستاذ في الجامعة العثمانية بيدرآباد الذي . ويحتوي هذا الجزء على ستة وأربعين وخمسمائة حديث مشروحة . تتناول موضوعات مختلفة من بر الوالدين وصلة الرحم ورعاية الجار ومعاملة الخادم والتعب بآداب المعاشرة وحسن الخلق وعيادة المريض ورحمة اليهائم وسواها . وقد فتحت بثلاث مقدمات : أولاها في التعريف بالإمام البخاري كتبها الأستاذ محب الدين الخطيب ، وثانيها في التعريف بكتاب الأدب المفرد وشرحه كتبها الأستاذ عبدالرحمن بن يحيى المعلي البجلي ، والثالثة بقلم الشارح نفسه .



كتاب الوافي بالوفيات (الجزء الرابع)

تأليف صلاح الدين خليل بن ابيك الصفيدي

في (٤١٦) صفحة من قطع الوسط ، نشر باعتناء : س . ديدرلينغ في سلسلة «النشرية الإسلامية» طبع في المطبعة الهاشمية بدشق ، سنة ١٩٥٩ .

كتاب الوافي بالوفيات كتاب تراجم مرتبة حسب الأحرف الأليجية . وهذا الجزء الرابع يترجم لخمسمائة من الرجال ، فيما بين : محمد بن عبيد الله ومحمد بن محمود . وقد اعتمد المحقق المستشرق الألماني الأستاذ س . ديدرلينغ على نسخة فونوغرافية مأخوذة عن النسخة المحفوظة في خزانة السراي باستانبول ، التي أثبت الأستاذ ريتز أنها قولت مرتين على خط المؤلف بكامل الاعتناء .



كنز الدرر وجامع النور

الجزء التاسع وهو

الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر

تأليف أبي بكر عبد الله الداوداري ، تحقيق هانس روبرت روبر

في (٥٩٠) صفحة من قطع الوسط ، نشر قسم الدراسات الإسلامية بالمعهد الألماني للآثار بالقاهرة ، سنة ١٩٦٠ ، يطلب من سامي الخانيجي بالقاهرة .

هذا الكتاب هو الأول من سلسلة مصادر تاريخ مصر الإسلامية التي يزمع إصدارها قسم الدراسات الإسلامية بالمعهد الألماني للآثار . وهذا الكتاب من نوع الحوليات ، يبدأ سنة ٦٩٨ هـ ، وينتهي سنة ٧٢٥ هـ . وقد قدم له المستشرق الأستاذ روبر بمقدمة في (٢٤) صفحة باللغة الألمانية . وختم بأربعة فهارس للأعلام والأسم والطوائف ، والأماكن ، والاصطلاحات والكلمات ، والشعراء والمؤلفين والكتب .



متادمة الأطلال ومسامرة الحيال

تأليف الشيخ عبد القادر بدران الخوفي بدمشق سنة ١٣٤٦ هـ .

في (٤٥٠) صفحة من القطع الكبير ، طبع على نفقة صاحب السمو أمير قطر الشيخ علي آل ثاني منشورات المكتب الإسلامي للطباعة والنشر بدمشق ، سنة ١٩٦٠ . يقول الأستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار في التعريف بالكتاب وترجمة المؤلف : « .. نخافه (أي المؤلف) فهو كتاب (الدارس في تاريخ المدارس)

نسميه الشيخ عبد القادر النعيمي الدمشقي المتوفى سنة ٩٢٧ هـ ٠٠٠ فبدأ بوصف دور القرآن فدور الحديث فدور هماماً ، فمدارس الشافعية فالحنفية فالملكية فالحنابلة ، فمدارس الطب والحكمة ، والخاتمة في ذكر ما أنشئ في دمشق من المعاهد العلمية ، وذكر ما هو موجود منها الآن مما تقدم ذكره ، ثم خواتم الصوفية والربط في دمشق والزوايا ، وانتهى به وما اشتهر من الجوامع ، وخاتمة بمتنزهات وأنهار دمشق .
وقد أشرف على طبع الكتاب ووضع له أربعة فهارس الأستاذ محمد زهير شاديش .



تاج العروس من جواهر القاموس (الجزء الأول)

تأليف : السيد محمد مرتضى الواسطي الزبيدي المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ

أصلح هذه الطبعة وعلق عليها الدكتور مصطفى جواد ، ونشرتها دار الفكر ببيروت .
يحتوي هذا الجزء (٨٦ صفحة من القطع الكبير) على ترجمة للمؤلف كتبها الدكتور مصطفى جواد ، وعنى ديباجة المؤلف ومقدمته ، ثم على شرح ديباجة مؤلف القاموس محمد الدين العديقي الفيرز آبادي الشيرازي المتوفى سنة ٨٠٢ هـ .



العراق في الخوارط القديمة

جمعها وحققها الدكتور أحمد سوسة

من مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، سنة ١٩٥٩

تحتوي هذه المجموعة على ثمان وثلاثين خارطة قديمة (وخارطة تاسعة وثلاثين حديثة للعراق تبين المواضع التاريخية فيه) . وترجع أولى هذه الخوارط إلى

العهد السومري قبل أربعة آلاف سنة وأخراها إلى العهد العربي الإسلامي في القرن السادس عشر . وتضم فيما بين هذين الحدين خوارط بابلية و آشورية وبونانية وعربية ، لمدينة أو إقليم أو دولة أو العالم ، وبعضها خوارط للأراضي الزراعية المحددة وخوارط فلكية وقدم لهذه المجموعة الدكتور أحمد صوسة بمقدمة استعرض فيها نشأة الخوارط الجغرافية والفلكية وتطورها ، مشيراً إلى مفهوم الإنسان المتطور للعالم الأرضي والسماء .

معجم ألفاظ القرآن الكريم (الجزء الثاني)

في (٢٦٥) صفحة من القطع الكبير

منشورات مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، سنة ١٩٥٩

يحتوي هذا الجزء على الألفاظ الواردة في القرآن الكريم المبندثة بأحرف الجيم والحاء والطاء والذال والذال . والطريقة المعتمدة فيه ، كما في الجزء الأول ، هي : الابتداء بذكر مادة اللفظة في كل صيغة الواردة في القرآن ، وتصنيف هذه الصيغ حسب رابطة الاشتقاق والمعنى ، ثم ذكر كل صنف وتحديد معاني الألفاظ المنسبة إليه ، ثم الاتباع بسرد كل صيغة متاراً إلى عدد مرات ورودها مرفقة بآية أو آيتين مع تعداد مواضع الورد بذكر رقم الآية واسم السورة .

فمثلاً في مادة حجج ابتدئ بسرد كل الصيغ الواردة في القرآن فبلغت العشرين ؛ وصنفت هذه الصيغ في ستة أصناف هي : (١) حجج يحجج ... (٢) الحاج (٣) الحجة (٤) حاجّة (٥) تحاجاً (٦) الحجة ؛ وذكر تحت كل صنف معانيه ، ثم أتبع بالصيغ المختلفة الداخلة فيه على النحو الذي ذكرنا .

الادب العربي المعاصر في سورية

تأليف سامي الكبيالي

بتكليف من الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية

في (٢٢٣) صفحة من قطع الوسط ، دار المعارف بمصر ، سنة ١٩٥٩
 حاول الأستاذ سامي الكبيالي ، في أربع وثلاثين صفحة في مبتدأ الكتاب ،
 أن يصور الجو السياسي والاجتماعي والفكري ، وبدل على المتابع التي استقى
 منها الأدب العربي في سورية ، فيما بين منتصف القرنين التاسع عشر والعشرين .
 ثم ترجم لثلاثة وعشرين شاعراً وأديباً ومفكراً ، ملحقاً كل ترجمة ، في غالب
 الأحوال ، بمختارات من شعر أدثر المترجم له .

تاريخ يتكلم

مجموعة شعرية لفخري البارودي

طبع دمشق سنة ١٩٦٠

لقد شارك الأستاذ فخري البارودي مشاركة فعالة في نضال هذه الأمة ضد
 المستعمر ، وفي سعيها لبعث تراثها ، وبخاصة الفني منه . وتلكس هذه المجموعة
 الشعرية أصداً من هذا النضال تمتاز بعذوبتها الشعبية وصدقها وخفة روحها .

عبد الكريم زهور

آراء وأنباء

أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق في سنة ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٤ م
أعضاء العاملون

١ - الرئيس : الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي

١٠ الأستاذ عز الدين النورخي	٣ الدكتور اسعد الحكيم
١١ الدكتور عدنان الخطيب	٣ الأستاذ جعفر الحسني (أمين السر العام)
١٢ الشيخ محمد بهجة البيطار	٤ الدكتور جميل صليبا
١٣ الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي	٥ = حسني صبح
١٤ = محمد كامل عياد	٦ = حكمة هاشم
١٥ الأستاذ محمد المبارك	٧ الأستاذ شفيق جبيري
١٦ الدكتور أحمد الطرابلسي	٨ الدكتور شكري فيصل
	٩ الأستاذ عارف النكدي

أعضاء المراسلون

٦ الدكتور أحمد زكي	الجمهورية العربية السورية
٧ الأستاذ خليل ثابت	١ الدكتور عبد الرحمن الكيالي
٨ الدكتور طاهر حسين	٢ الأستاذ عمر أبو ريشة
٩ الأستاذ عباس محمود العقاد	٣ الدكتور قسطنطين زريق
١٠ الأمير يوسف كمال	٤ الأستاذ نظير زيتون
لبنان	الجمهورية العربية المتحدة
١١ الأستاذ أنيس المقلعي	٥ الأستاذ أحمد حسن الزيات

المملكة الليبية	١٢ الأستاذ بشارة الخوري
٢٩ الأستاذ علي أنقيد حسن	١٣ الدكتور صبحي انعمصافي
الجمهورية التونسية	١٤ = عمر فروخ
٣٠ الأستاذ حسن حنفي عبد الوهاب	فلسطين
٣١ = محمد الطاهر ابن عاشور	١٥ الأستاذ نذري حافظ طوقان
الجمهورية الجزائرية	المملكة الهاشمية الاردنية
٣٢ الأستاذ محمد البشير الابراهيمي	١٦ الأستاذ محمد التبريتي
المملكة المغربية	الجمهورية العراقية
٣٣ الأستاذ عبد الله كنون	١٧ الأستاذ أحمد حامد المراف
٣٤ = علال الفاسي	١٨ = ساطع الحصري
تركية	١٩ = عباس المزاري
٣٥ الأستاذ أحمد آتش	٢٠ الشيخ كاظم الدجيلي
ايران	٢١ الأستاذ كور كبس عواد
٣٦ الدكتور علي أصغر حكمت	٢٢ الشيخ محمد بهجة الاثري
الهند	٢٣ الأستاذ محمد رضا الشيبلي
٣٧ الأستاذ آصف علي أصغر فيضي	٢٤ الدكتور مصطفى جواد
٣٨ = أبو الحسن علي الحسيني الندوي	٢٥ الأستاذ منير القاضي
باكستان	السودان
٣٩ الأستاذ عبد العزيز الميمني	٢٦ الشيخ محمد نور الحسن
٤٠ = يوسف البنوري	المملكة العربية السعودية
فرنسة	٢٧ الأستاذ محمد الجاسر
٤١ الدكتور بلاشير (رجيس)	٢٨ = خير الدين الزركلي
٤٢ الأستاذ كولان (جورج)	

اسبانية	٤٣ الاستاذ لاوست (هنري)
٥٣ الاستاذ غومن (اميليو غارسيا)	٤٤ = مامه (هنري)
النمسة	بريطانية
٤٤ الدكتور اشتولز (كارل)	٤٥ الاستاذ أريوي (أ. ج.)
٥٥ الاستاذ موجيك (هاتز)	٤٦ = جيب (١٠.٥ ر.)
ايطاليا	٤٧ = غليوم (الفرد)
٥٦ الاستاذ جبرائيل (فرثيسكو)	المانية
هولاندة	٤٨ الاستاذ ريتز (هلموت)
٥٧ الدكتور شخت (يوسف)	٤٩ = هارتمان (ريشارد)
الدانيمرك	السويد
٥٨ الاستاذ بدرسن (جون)	٥٠ الاستاذ دبدرنغ (م.)
فنلاندة	الولايات المتحدة الاميركية
٥٩ الاستاذ كرسبكو (يوحنا اهتنن)	٥١ الدكتور ضودج (بارد)
البرازيل	٥٢ الاستاذ فيليب حتي
٦٠ الاستاذ رشيد سليم الخوري	

أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق الراحلون

الجمهورية العربية السورية	
١	الشيخ طاهر الجزائري
٢	= سليم البخاري
٣	= مسعود الكواكبي
٤	الاستاذ الياس قديمي
٥	= أنيس سلوم
٦	= جميل العظم
٧	= سليم عنخوري
٨	= عبد الله رعد
٩	= رشيد بقدون
١٠	= ادبب النقي
١١	الشيخ عبد القادر المبارك
١٢	الاستاذ معروف الأرنؤوط
١٣	السيد محسن الأمين
١٤	الاستاذ الرئيس محمد كرد علي
١٥	= محمد البزم
١٦	= سليم الجندي
١٧	الشيخ عبد القادر المغربي
١٨	الاستاذ الرئيس خليل مردم بك
١٩	الدكتور مرشد خاطر
٢٠	الاستاذ فارس الخوري
٢١	الأب جرجس شلحت
٢٢	= جرجس منش
الجمهورية العربية المتحدة	
٢٣	الاستاذ قسطنطين الحمصي
٢٤	الشيخ كامل الغزي
٢٥	الاستاذ ميخائيل الصقال
٢٦	الشيخ بدر الدين النعساني
٢٧	= راغب الطباخ
٢٨	= عبد الحميد الجابري
٢٩	= عبد الحميد الكيالي
٣٠	= محمد زين العابدين
٣١	الدكتور صالح قنباز
٣٢	الشيخ سليمان الأحمد
٣٣	الاستاذ ادوار مرقص
٣٤	الشيخ سعيد العرفي
٣٥	البطريق مار اغناطيوس افرام
٣٦	الشيخ امين صويد
٣٧	الدكتور جميل الخاني
٣٨	الاستاذ متري قندلفت
٣٩	الاستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي
٤٠	= رفيق العظم
٤١	= احمد كال
٤٢	= احمد تيمور
٤٣	= احمد زكي باشا
٤٤	الدكتور يعقوب صروف

٦٦ الشيخ عبد الله البستاني	٤٥ السيد محمد رشيد رضا
٧٠ الأستاذ جبر صومط	٤٦ الأستاذ حافظ ابراهيم
٧١ = عبد الباسط فتوح الله	٤٧ = احمد شوقي
٧٢ الشيخ عبد الرحمن سلام	٤٨ الشيخ احمد الاسكندري
٧٣ = مصطفى الفلايبي	٤٩ الأستاذ اسعد خليل داغر
٧٤ الأستاذ عمر الفاخوري	٥٠ = داود يركات
٧٥ = يونس الخولي	٥١ الدكتور امين المعلوف
٧٦ الأستاذ امين الريحاني	٥٢ الأستاذ مصطفى صادق الرافعي
٧٧ الامير شكيب ازملان	٥٣ الشيخ عبد العزيز البشري
٧٨ الشيخ ابراهيم المنذر	٥٤ الدكتور احمد عيسى
٧٩ الأستاذ جرجي بني	٥٥ الأمير عمر طوسون
٨٠ الشيخ احمد رضا	٥٦ الشيخ مصطفى عبد الرازق
٨١ الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف	٥٧ الأستاذ انطون الجميل
٨٢ = فليب طرازي	٥٨ = خليل مطران
٨٣ الشيخ فؤاد الخطيب	٥٩ = ابراهيم عبد القادر المازني
٨٤ الدكتور نقولا فياض	٦٠ = محمد لطفي جمة
٨٥ الشيخ سليمان ظاهر	٦١ الدكتور احمد امين
٨٦ الأستاذ مارون عبود	٦٢ الأستاذ عبد الحميد العبادي
فلسطين	٦٣ الشيخ محمد انخضر حسين
٨٧ الشيخ سعيد الكرمي	٦٤ الدكتور عبد الوهاب عزام
٨٨ الأستاذ نخلة زريق	٦٥ = منصور فوهي
٨٩ الشيخ خليل الخالدي	٦٦ الأستاذ احمد لطفي السيد
٩٠ الأستاذ عبد الله مخلص	لبنان
٩١ = محمد اسعاف النشاشيبي	٦٧ الأستاذ حسن بيه
	٦٨ الأب لويس شيخو

١٠٩ الأستاذ هوار (كليان)	٩٢ الأستاذ عادل زعبي
١١٠ = يونا (لوسيان)	٩٣ الأب أ. س. مرمجي الدومني
١١١ = مالتجو	الجمهورية العراقية
١١٢ = كي (ارتور)	٩٤ الأستاذ محمود شكري الآلومي
١١٣ = باسه (رينه)	٩٥ = جميل صدقي الزهاوي
١١٤ = ميشو بلير	٩٦ = معروف الرصافي
١١٥ = مارسيه (وليم)	٩٧ = طه الراوي
١١٦ = دوسو (رينه)	٩٨ الاب انتاس ماري الكرمل
١١٧ = ماسينيون (لويس)	٩٩ الدكتور داود الجلي
بريطانية	١٠٠ الأستاذ طه الهاشمي
١١٨ الأستاذ مرجليوث (د. س.)	الجمهورية الجزائرية
١١٩ = بن	١٠١ الشيخ محمد بن ابي شنب
١٢٠ = يراون (ادوارد)	المملكة المغربية
١٢١ = كرينكو (فريتز)	١٠٢ الأستاذ محمد الحجوي
المانية	١٠٣ = عبد الحى الكفاني
١٢٢ الأستاذ هومل	توكية
١٢٣ = ساخاو (ادوارد)	١٠٤ الأستاذ زكي مغامر
١٢٤ = هوروفيتز (يوسف)	ايران
١٢٥ = هارتمان (مارتين)	١٠٥ الشيخ ابو عبد الله الزنجاني
١٢٦ = ميتفوخ (اوجين)	١٠٦ الأستاذ عباس إقبال
١٢٧ = بروكلز (كارل)	الهند
	١٠٧ الحكيم محمد أجمل خان
	فرنسة
	١٠٨ الأستاذ فران (جبرئيل) فرنسة

الهجر	سويسرة
١٢٨ الأستاذ غولد ميهير (اغناطيوس)	١٤٠ الأستاذ مونت (ادوارد)
١٢٩ = ماهر (ادوارد)	١٤١ = حس (ج. ج. ج.)
الولايات المتحدة الاميركية	بولونية
١٣٠ الأستاذ ماك دوتالد (د. ب. ب.)	١٤٢ الأستاذ كد فالكس (ت. ب.)
١٣١ = هرزفيلد (ارنست)	تشكوسلافيا
١٣٢ = سارطون (جورج)	١٤٣ الأستاذ موزل (الوا)
الاتحاد السوفياتي	هولاندة
١٣٣ الأستاذ كراتشكوفسكي (ا. ا.)	١٤٤ الأستاذ هورغرينيه (ستوك)
١٣٤ = برتلز (ايفيكين)	١٤٥ = اراندوك (ك. ب.)
اسبانية	١٤٦ = هوتسا (م. ت. ب.)
١٣٥ الأستاذ آسين بلاسيوس (ميكيل)	الدانمارك
البرتغال	١٤٧ الأستاذ بوهل (ف. م. ب. ب.)
١٣٦ الأستاذ لويس (دافيد)	١٤٨ = استروب (ج. ب.)
ايطالية	السويد
١٣٧ الأستاذ جويدي (اغنازيو)	١٤٩ الأستاذ سترشين (ك. ف. ب.)
١٣٨ = فالينو (كارلو)	البرازيل
١٣٩ = غريفي (اوجينيو)	١٥٠ الأستاذ سعيد ابو جرة

نظرة في الكتاب المعنون بعنوان

« مقدمة في النحو »

المنسوب إلى الإمام خَلَف الأحمر

- ٣ -

١٢ - وقال (في صفحة ٥٣) « والواحدُ الخارجُ من الجماعة » أراد به تمييز المقادير كما سيوضحه بالمثال (في صفحة ٥٨) بقوله « اضر به عشرين صوتاً » ، وهذه تسمية غريبة لا نعرفها لأحد من النحاة . ومعنى كون تمييز المقدار - واحداً خارجاً من الجماعة - أنه فرد بارز للسامع من جماعة مبهمه ، فالخارج بمعنى المتجلى البارز كما في قوله تعالى تخرج على قومه . ومن ابتدائية .

١٣ - ووقع (في صفحة ٥٣) قوله : « والأغراء وهو الذي يسميه الكوفيون الاستيناء (كذا) ويسميه البصريون القطع ويسميه بعض أهل العربية التيام » . إذا كانت لفظة الاستيناء غير محرفة فهذا لقب لا يظهر من ماذا هو منقول . والظاهر أنها محرفة ، وإن صوابها الاستيناء ! ، وحيث أن تكون الأسماء الثلاثة متقاربة المعاني ، ولكن لا يظهر تلقب الأغراء بواحد منها . فالذي يظهر أن هذه الاسطر منعزلة عن مكانها وأنها كانت متصلة بقوله « والمدح والدم » ، فإن المراد بالمدح والدم النعت المقطوع قسميته بالقطع جائية من قولهم نعت مقطوع ، وتسميته الاستيناء لأنه لا يقطع إلا بعد استيناء المنعوت ما يعرف به من وصف مذكور قبل المقطوع أو معلوم اشتهاره به ، وكذلك تسميته التيام لأنه يؤتى به غير تابع لأن المنعوت تمت أوصاله .

١٤ - ووقع (في صفحة ٥٥) بين حاصرتين أربعة أسطر في أول الصفحة من قوله : « وتقول للرجل الواحد - إلى قوله - عمو ظلاما » . وقال الأستاذ الناصر في تعليقه إن ما بين الحاصرتين جاء في آخر المقدمة فوضعه مع مسائل المبتدأ . وأقول لم أدر كيفية وضع هذه الأسطر في آخر المقدمة حتى أنوسم فيها أنها من المقدمة زُحِزحت عن مكانها ، أو أنها مُدرجة في النسخة كفائدة قُبِدها كاتبها ولم تكن من المقدمة ، على أن حتمها أن توضع في باب الحكاية لإفادة التفرقة بين استفهام الحكاية المسمى باستفهام الاستثبات وبين الاستفهام الأتق وهو استفهام الاستعلام . على أن قوله « وللجماعة ممنون أنتم الخ » تخلط في الأمثلة بين أمثلة الاستفهام الاستعلامي ، وهي الأمثلة التي قبل البيت ، وبين أمثلة استفهام الحكاية الذي سبق البيت شاهداً فيه على بعض لغات العرب عند بونس وقال سيوييه هو شاذ .

١٥ - وقال (في صفحة ٥٧) : « وما تطرح الخافض كقولك ليس خارجاً زيد » جعل ما هو خبر ليس : منصوباً على تزعم الخافض وهذا يدل على أن خلقاً يعتبر ليس حرفاً لا فعلاً جامداً ، فإذا كان ليس حرفاً كان حق الجملة الاسمية بعده أن يكون جزأها مرفوعين على أنها مبتدأ وخبر ، فلما وجدنا الجزء الثاني منصوباً علمنا أن لا سبب لنصبه إلا اعتبار تزعم الخافض وهو الباء الذي يؤكد بها النفي .

ولا يعرف القول بأن ليس حرف إلا لأبي علي الفارسي وأحمد بن شقير البغدادي^(١) وقد علمنا الآن أن خلقاً سبقهما إلى ذلك فينبغي أن يعزى إليه هذا القول .

(١) هو أحمد بن الحسين (كما في إقوت) أو ابن الحسن (كما في البقية) البغدادي للتوفى سنة ٣١٧ .

١٦ - وقال (في صفحة ٥٨) « لا يَبْعَدَنَّ قومي الآيات الثلاثة » ،
 إنما ذكر الآيات الثلاثة لأنها تشتمل على ما نصب بالمدح وهو قولها النازلين
 والطاعنين ، وعلى ما رُفِعَ بالمعطف على الصفة المرفوعة وهو الطيبون والضاربون في
 رواية المؤلف هنا ؛ وفي تلك الصفات كلها روايات بتصب البعض ورفع البعض .
 والمقصود وضوح الفرق للمبتدي بين الاعرابين وتنبهه إلى أن تعدد الأوصاف
 يسوّغ عدم اتباع بعضها لما قبله ونصبه على القطع المسمى بالمدح .
 ١٧ - ووقع (في صفحة ٥٩) : « وقولك والإغراء » ، والظاهر أنه سقط
 كلام بعد « وقولك » : والظاهر أنه مثال للتحذير فيمكن أن يكون الساقط
 هكذا « وقولك الأسد تريد احذر » كما يقتضيه كلامه في باب التحذير
 صفحة (٨٢) .

١٨ - وقال (في صفحة ٦٠) « والجواب » لم يظهر موقع هذه الكلمة فتأمل .
 ١٩ - وقال (في صفحة ٦٠-٦١) : « وفي كتاب الله عز وجل في آيات
 التعجب مسألة نسل عنها أهل العربية الخ » ، وهو كلام لا مناسبة له في موقعه ولعله
 أدخل هناك بسبب خلط في أوراق أصل النسخة ، وحقه أن يقع عقب
 قوله « والتعجب ما أحسن زيدا » في صفحة ٥٧ وقوله في آيات التعجب أي
 آيات القرآن التي فيها تعجب .

٢٠ - وقوله : « نسل عنها أهل العربية » ، يحتمل أن يكون قسّل بصيغة
 فعل الأمر خطاباً لازول هذه المقدمة أي قسّلهم وانظر ماذا يجيبون ، فيكون
 هذا تبيهاً منه على أهل العربية إذ لم ينتبهوا لها ، فلعل التفتن لها من مبتكراته
 وحقاً فأنا لم أر من تعرض لما فيها من معنى التعجب قبل صاحب الكشف .
 ويحتمل أن يضبط قوله قسّل بضم الفاء وكسر السين وفتح اللام على البناء
 للنائب من قولهم قسّلَت الصبي إذا قطمته وهو هنا مجاز أي قطمهم فاطم

عن تذوق معناه والمعنى حال بينهم وبين هذه المسألة حائل فلا يكون في كلامه
تجمع على أهل العرية .

٢١ - وقوله : « بنصب كلمة على التعجب » أي نصيبها على التمييز لنسبة الكبير
بمعنى الفظاعة إلى قولهم اتخذ الله ولداً ، يدل بالتمييز على إرادة التعجب من
قولهم الفظيع ، وإلا لما كانت حاجة إلى التمييز لعدم انبهاهم الخبر ، فإن ما سبقه
من قوله : « ويُنذِرَ الدين قالوا اتخذ الله ولداً » دالٌّ على أن ذلك فظيع ،
وذلك أن من مواقع التمييز أن يَرِدَ بعد الخبر الموقى لإرادة التعجب ، كقولهم
لله درء فارساً ، وحسبك بفلان صاحباً ، وهذه المسألة من غرر هذه المقدمة .

٢٢ - وقال (في صفحة ٦٧) : « باب الحروف التي تقتضي الفاعل » أي
الكلمات التي تقتضي بمعانيها أن يكون الفاعل موالياً لها ، أي لا يُقدَّم مفعولها
على فاعلها ، وأراد بذلك أن معاني تلك الأفعال قوية التلبس بفاعلها فلا ينبغي
أن يُذكر مفاعلها قبل فاعلها اعتماداً على ظهور المعنى بالرفع والنصب ، ووجه
أن ذلك لا ينبغي أن الاستعمال الفصيح أن تكون فاعلها مقدّمة للاهتمام بها
مع كون التقديم هو الأصل فهذا تقديم لجرد الاهتمام بالفاعل .

وعكس هذا يُقرَّر في قوله باب الأفعال التي تقتضي المفعول فتقديم
المفعول فيها لجرد الاهتمام . قال في تلخيص المفتاح : « وتقدم بعض معمولاته
(أي الفعل) على بعض لأن أصله التقديم ولا مقتضى للعدول عنه كالفاعل في
نحو ضرب زيد عمراً » ، قال في المطول وقولك قتل زيد رجلاً إذا كان
زيد ممن لا يقدر فيه أن يقتل فالغرض الأهم الاخبار بأنه صدر منه القتل ،
فالمثال الذي أشار إليه في المطول مندرج فيما قرره خلافت هنا ، قال في التلخيص :
« أولان ذكره أم كقولك قتل الخارجي فلان » . وهذه المسألة من
غرر مسائل هذه المقدمة التي سبق إلى ملاحظتها قبل علماء المعاني .

٢٣ - قال (في صفحة ٧٢) : « وكذلك تميّز الأفعال المستقبلية بأخواتها » أي يعرف كون الفعل مستقبلاً إذا دخل عليه أحد هذه الحروف لأن جميعها خاص بالمستقبل .

وقوله « وتسقط النونان الخ » أفاد به كيفية اعراب الفعل المنصوب إذا اقترن بنون تثنية أو نون جمع .

٤ - وقال (في صفحة ٧٥) : « وهو نصب كله » أي كلا جزأيه الاسم المنادى والمركب الدال على نسب المنادى ، فأما نصب المنادى في مثله فهو المختار ويجوز ضمّه باتفاق النحاة والمؤلف اقتصر عليه تسهيلاً على المبتدئ . وأما المركب الدال على نسب المنادى فنصبه واجب .

٢٥ - قال (في صفحة ٧٦) : « وإذا ناديت ما 'بدري' بالالف واللام » هذه المسألة غير متدرجة في عنوان الباب ، وإنما ذكرها لمشابهة المعطوف على المنادى بالمنادى في أنه اتصل بالمنادى بالمطف فأشبهه انضاف إليه ، لأن النحاة يتوسعون في إطلاق المضاف على المنادى الذي اتصل به شيء من تمام معناه ، ولعل من اصطلاحهم في القديم الحاق المنادى المعطوف بأقسام ما بدعونه بالمضاف .

٢٦ - قال (في صفحة ٧٧) : « قال الله تعالى يا جبال أوبي معه والطير »

جعل المؤلف نصب الطير في القراءات المتواترة كلها حجة قاطعة على أن الأفصح نصب المعطوف المقترن بالالف واللام على المنادى . وأعرض عن تأويل الذين تأولوا النصب بتقديرات دعاهم إليها قول سيبويه : « فأما العرب فأكثر ما رأيتهم يقولون يا زيد والنضر وقال الخليل هو القياس ^(١) » . وقد اتفق البصريون والكونيون على جواز نصب هذا المعطوف وضمه . وإنما اختلفوا في ترجيح أحد الوجهين ، فالخليل وسيبويه والمأزني من البصريين رجحوا ضمّه وتبعهم ابن مالك . وأبو عمرو ديونس وعيسى بن عمر والجري منهم رجحوا نصبه . وأحسب أن

(١) صفحة ٢٦٤ جز ١ طبع باريس سنة ١٨٨١ م .

الكوفيين يرجحون نصبه ، ولم ينقل لنا عنهم فيه شيء ، وجرى كلام خلف على هذا ، فقلت قال : « فانصب به : لأنك وأنلام » أي مدخولها أي فانصبه اختياراً وليس يريد وجوب نصبه إذا لا قائل بوجوده .
والمؤلف كثيراً ما يجري كلامه في هذه المقدمة بالاختصار على الوجه الراجح تبسيراً على المبتدئ .

٢٧ - قال (في صفحة ٧٧) : « قال خلف واللغة فيه والنصب أنك إذا قلت يا زيد والفضل لم يميز ويا أبا الفضل وإنما يجوز يا أيها الفضل » ، صدر كلامه بذكر اسمه للتنبيه على الاعتناء بهذا الكلام لأنه مجال تخالف بين التحويلين وتصريحاً بالفرق بين نصب المعطوف المعروف على المنادى وبين عدم نصبه إذا ولي حرف النداء .

فقوله « واللغة فيه والنصب أنك إذا قلت الخ » اللغة مبتدأ والتعريف في اللغة للدلالة على معنى الكمال أي اللغة الفصحى فيه . وفي حال من المبتدأ ، والنصب عطف على اللغة عطفاً تفسيرياً ، وأنت إذا قلت الخ هو خبر المبتدأ بتأويل مصدر منبكي من أن المفتوحة واسمها وخبرها جملة إذا قلت فإذا ظرف متضمن معنى الشرط وجوابه محذوف دل عليه المبتدأ ، وتقديره فاللغة فيه النصب أي إنما تنصب المعروف المعطوف على المنادى إذا نطقت بمثل ما مثلت لك فقلت يا زيد والفضل بدون إعادة حرف النداء فلام والفضل هنا مفتوحة .

وعبارة المؤلف إثر هذا مغلطة ، وفي النسخة اختلال وذلك قوله : « لم يميز ويا أبا الفضل » ولا معنى لكلمة « يا » هنا ، فلعل صواب العبارة هكذا : « ولم يميز ويا الفضل » أي لم يميز النصب إذا أعيد حرف النداء بعد واو العطف ، فيتعين أيضاً أن يضبط لام الفضل (الثاني) بقية . « وإنما يجوز يا أيها الفضل » أي إنما يجوز حينئذ ضمّه لأنه منادى مستقل ويجب وصله بأي الموصول صلة لنداء المعروف

باللام وصلًا واجبًا عند البصريين وراجحًا عند الكوفيين الذين أجازوا نداء
المعروف باللام دون وصل بأي^(١).

وقوله : « وقال الشاعر ألا بازيد والضحاك سيرا البيت » عطف على قوله
قال الله تعالى « يا جبال أوبي معه والطير » وما بينهما اعتراض ، وظاهر كلام
المؤلف وكلام ابن هشام في شرح القطر وكلام الآلوسي في تفسير آية يا جبال
أوبي أن الرواية في هذا البيت بنصب والضحاك ، ووقع للمكودي في شرح
الآلفية أنه روي بالنصب ولم أره لغيره .

٢٨ — وقال (في صفحة ٨٠) : « باب التحقيق » أراد الاستثناء المفرغ لما
دل عليه المثالان وذكره عقب الاستثناء ، ولا يعرف هذا الاسم في شيء من
كتب النحويين وإنما يعبرون عنه بالتفريغ أو الاستثناء المفرغ ، ولعل تسميته التحقيق
كانت معروفة ثم تنوعت ، ولعلها كانت مشتهرة بين الكوفيين والبصريين
وأن الكوفيين سموه الإيجاب أيضًا ، وكلتا التسميتين غير معروفة في غير هذه المقدمة .

٢٩ — قوله (في صفحة ٩١) : « وكذلك كل ما بنته العرب الخ » هذا تخلص
إلى حكم الأسماء المبنية . وجرت عادة النحويين أن يذكروا حكم أسماء
البقاع المبنية في أثناء الكلام على ما لا ينصرف كما فعل سيبويه .

٣٠ — وقال (في صفحة ٩٢) « فتقول » وهو تفريع على قوله قبله « فانه
مخفوض أبدا » وما بينهما اعتراض .

٣١ — وقال (في صفحة ٩٣) : « وكذلك أسماء المواضع فانها لا تتغير ولا
تخفض » لعله يعني أن أسماء الأماكن نوعان نوع ممنوع من الاصراب أصلاً وهو
البنيات منها ، مثل سقار (بوزن حذام بئر لني مازن بن مالك) وتطاع
(بوزن حذام أيضا قرية باليامة وماء لني تميم) ، ومثله المؤلف « بالبطال » ،
ولا يعرف لغيره ، ولم تقف على هذا لأحد من أهل اللغة ، فهذا الكلام يحتاج

(١) قال المرادي في شرح التسهيل مخطوط .

إلى سريد تمحيص ، ونوع لا يخفّض أي ممنوع من الصرف وهو غالب أسماء البقاع مثل جيلق اسم مدينة دمشق .

٣٢ — وقال (في صفحة ٩٥) : « المذكر والمؤنث إذا اجتمعا كان المخاطب للمذكر » كذا في النسخة ، ولعل صوابه كان الخطاب أي التعبير للمذكر ، أي من خصائصه ، أي إذا اجتمعت إرادة مذكر ومؤنث بشيء يجمعهما من ضمير أو اسم إشارة يغلب جانب التذكير ، وهذا ما يسمى بالتغليب ، ومنه قوله تعالى « وكانت من القاتنين » وقوله « ولا يؤيد » أي لا يبيد وأمه .

٣٣ — وقوله (في صفحة ٩٦) « أراد بذلك الآيات الخ » أي ليس هذا الاستعمال الذي في الآية من قبيل التغليب لأن التغليب يكون بمراعاة الأثرى . بل الآية من قبيل تأويل الاسمين المذكورين بأنها آيتان فلذلك أجري الضمير على التأنيث أي الذي خلق الآيات . والظاهر أن الكلمات التي حجبها خاتم الوقف هي « فرد على » كما يدل عليه كلام المؤلف بعد ذلك .

٣٤ — وقال (في صفحة ٩٩) : « وإذا أردت بكم أن تأتي بمعنى من نصبت الخ » هذا الكلام اعترض بين قوله — قال الشاعر — ، وقوله — بمعنى كم ورب — قصد به التنبيه على استعمال كم في الاستفهام ، فلا يكون فيها معنى رب الذي عتمد له الباب ، فقوله « بمعنى كم ورب » حال من قوله قال الشاعر ، وقوله « وهما يتعاقبان » أي يرد أحدهما في موضع الآخر للتكثير والتقليل ، فأما رب فهي موضوعة للتكثير والتقليل فهي من حروف الأضداد ، وأما كم فالتحيرية موضوعة للتكثير ، وإذا استعملت للتكثير ، كان ذلك مجازاً في مقام التهكم مثلاً ، وأما كم الاستفهامية فلا يتصور فيها قصد التكثير أو التقليل .

تفسير الشواهد الشعرية الواردة

في هذه المقدمة وهي غير معروفة في شواهد الشعر

الشاهد الأول في صفحة ٧٥ « قال الشاعر في معناه

يا فارس الميرة باسمه وبيا حيوة بن عقيل »

يحمل أنه شاهد واحد ساقه المؤلف على أنه بيت كامل ولكن دخله اختلال في النسخة من سقوط بعضه من قلم الناسخ . وحيث أن الشاهد في الجزء الأخير . ويحمل ، وهو الأظهر ، أن المؤلف أتى بمصراع مفرد مقتصراً عليه . ويكون قوله : يا حيوة بن عقيل عطفاً على جملة قال الشاعر أي وقولك يا حيوة بن عقيل . ويكون المصراع الأول سقطت منه كلمة ابن المغيرة ولعل قوله باسمه تحريفاً بأسفه .

الشاهد الثاني قوله في صفحة ٩٢ « قال الشاعر

رأيتك أسـ أحسن من يمشي وأنت اليوم خير بني معد
وهذا الشاهد لا يعرف في كتب النحو واللغة ولا يعرف قائله .
وكتي بمن يمشي عن الناس كقول الحارث بن حازمة :
ملك مقسط وأفضل من يمشي ومن دون ما لديه القضاء
ومعنى البيت المدح بأنه قد نشأ أحسن الناس وهو الآن سيد العرب .
وهذا المعنى قريب من قول أبي تمام :

ان الهلال إذا رايت غناه ابقت أن سبكون بدرأ كاملاً
ولعل قائل هذا الشاهد أخذه من بيت زياد الأعجم الذي ذكره الأستاذ الناصر أو العكس ، أو هو من توارد الخواطر ، أو هو لزياد الأعجم من قصيدة غير التي منها البيت الذي على قافية السين وتشابه الأبيات في الشعر غير عزيز .

الشاهد الثالث في صفحة ٩٣ « وقال الشاعر :

إذا هنت حمامتهم بشجو جرى الدميان واسود البطالا
وهذا البيت لا نعرفه ولا نعرف قائله . والحناف الصوت ، ويطلقونه كثيراً على صوت الحمام ، قال ثعلب :

لقد هنت في جنح ليل حمامة على فتن وهناً واني لسانم
والشجو يقال على الحزن وعلى الطرب ، والعرب يجعلون صوت الحمام مرة غناء ومرة نواحاً . قال أبو العلاء :

ابَكَتْ تِلْكَ الْحَمَامَةُ أُمَّ غَنْتَسَتْ عَلَى فَرْعِ غَصْنِهَا الْكِبَادِ

وقال النابغة :

دُعَاءُ حَمَامَةٍ تَدْعُو هَدْرِيلاً مَطْوَقَةً عَلَى قَنْنٍ تُغْتَنِي

وقال أبو فراس :

أَقُولُ وَقَدْ نَاحَتْ بِقُرْبِي حَمَامَةٌ أَيْ جَارَتَاهُ تَشْعُرِينَ بِجَالِي

ثم يحتمل البيت معنيين أحدهما أن يريد بالحمامة الكناية عن المرأة كما كانوا عنها بالسرحة ، والتخلة ، والشافر . فالمنى إذا تكلم امرأة منهم بالحب اقتتل الحيان حي المرأة وهي حبيبها ، قال امرؤ القيس :

تَجَاوَزْتَ أَحْرَاصَ الْيَاسِ وَمَعَشَرًا عَلَى حِرَاصٍ لَوْ يَسْرُونَ مَقْتَلِي

والاحتمال الثاني أن تكون الحمامة حقيقة والمعنى إذا عتف حمام الحي أي أصبح الصباح حين تلعو الطير بأصواتها ، فيكون الكلام كناية عن ترقب حصول غارة بين حينين لأنهم كانوا يغيرون عند الصباح ، ولذلك كانت كلمة الانذار بالعدوان أن يصرخ نذير القوم قائلاً « يَا صَبَاحُ » ، وعليه قوله تعالى : « فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ » ، وقال عمرو بن كلثوم في تعجيل الغارة قيل الصباح .

قَرَيْتَنَاكُمْ فَعَجَلْنَا قِرَاكُم قُبَيْلَ الصُّبْحِ مِرْدَاةً طَحُوتًا

والدميان دماء القبيطين على كلا الاحتمالين .

ومعنى أسود أنه أسود من قمام القتال الذي تثيره منابك الخيل وأرجل الناس ، فهو لكثرتة يصير به الجو قريباً من الأسود فغير عنه بالسواد تشبيهاً بليغاً قال بشار :

كَأَنَّ مَسَاوِدَ النَّعَمِ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ وَاسِيًا قَنَابِلُ تَهَادَى كَوَاكِبُ

« والبطلان » قال المؤلف انه اسم موضع . وقال الأستاذ التتوخي انه لم

يحمده ووجد البطان أي بنون في آخره . قلت فلعل الذي باللام لغة في الذي بالنون لأن النون واللام قد يبادلان كما ذكر أبو علي القالي في أمانيه ، فمن ذلك امرأته واسماعيل وجبرين وسجين في قول : إلا ان الذين ذكروا البطان من أهل اللغة لم يذكروا أنه مبني . وهذا أشكك في هذه المقدمة وأغريبها ، فإذا أضمانا أن هذه المقدمة لحلف الآخر كان حقاً أن نضم هذا إلى المعجم الكبير الذي يُعده النجاشي بالقاهرة ، وأن نزيده في النحو في أمثلة المبنيات على النفع مثل أين ، وأحد عشر ، وبعلبك .

وأما البيت الذي نقله الأستاذ الملق في ورقة استدراك وتصويب في آخر هذه المقدمة عن كتاب الإبدال لأبي الطيب الحلبي وهو :

إذا ناحت حمامة آل بدر جرى الدموان وابتل نعال

فإن كان بيتاً من شعر آخر فذلك من تقارب الينين ، وإن كان رواية في البيت الذي رواه المؤلف فهو عمري عن الشاهد في هذه الرواية . وأياً ما كان فلا ينطبق على مسألة هذه المقدمة .

الشاهد الرابع قوله في صفحة ٩٨ « وقال الشاعر :

كم ليلة بت فيها مقتبلاً »

لا يعرف ولا يعرف قائله . وهو من بحر المنسرح دخله زحاف الطي مرتين وهو حذف الساكن الثاني في كلمة « بت » وكلمة « مقتبلاً » ، ودخله علة التسيغ وهي زيادة ساكن في جزء مفعولات فصار مفعولاتين .

ولعل كلمة « فيها » معرفة عن « بها » فيصير المصراع رجزاً ويسلم من الزحاف ومن العلة (١) .

محمد الطاهر ابن عاشور

(١) للأستاذ عز الدين النواحي نظرة على هذه النظرة ستعمر في العدد القادم .
(لجنة المجلة)

تاريخ بناء القرويين

٢٤٥ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٣٠٦

ان كل أولئك الذين كتب لهم أن يزاولوا الدراسات التاريخية بصفة عامة وتاريخ المغرب بصفة خاصة يذكرون جيداً أن ابن أبي زرع في كتابه القرطاس نقلاً عن أبي القاسم ابن جنون في تاريخه لمدينة فاس ، وكذا سائر الذين حذوا حذوه من أمثال الجزنائي في زهرة الآس ، وابن خلدون في تاريخه العبر ، وابن القاضي في جذوة الاقتباس وغير هؤلاء يجمعون على أن مسجد القرويين بمدينة فاس « شرع في حفر أساسه والأخذ في أمر بنائه أول رمضان من سنة ٢٥٤ (٣٠ يونيو ٨٥٩) بمطالعة العاهل الإدريسي يحيى الأول ، وأن أم البنين فاطمة النفريية هي التي تطوعت ببنائه وظلت صائمة محنسة إلى أن انتهت أعمال البناء وصلت في المسجد شكراً لله » ، وهذه حقيقة تاريخية لا يسمع الباحث لنفسه بالاستسلام للشك والتردد أمامها لا سيما وهي ترجع لوقت مبكر من تاريخ المغرب أعني وقت بني مرين أوائل القرن الثامن الهجري ، بيد أننا نجد أنفسنا اليوم أمام وثيقة معاصرة للأدارة ، أنها لوحة منقوشة عثر عليها — عند أعمال الترميم — في البلاط الأوسط فوق قوس المحراب القديم الذي كان للقرويين قبل قيام المرابطين بتوسعة المسجد ، لقد اكتشفت مدفونة تحت الجبس وقد كتب عليها — في جملة ما كتب — بخط كوفي افريقي عتيق : « ٠٠٠ بني هذا المسجد في شهر ذي القعدة من سنة ثلاثة (كذا) وستين ومائتي سنة مما أمر به الإمام أعزه الله داود بن إدريس أبقاه الله ٠٠٠ ونصره نصراً عزيزاً » .

وما دمتنا في استعراض الآراء حول تاريخ بناء القرويين لا بد أن نعرض لرأي ثالث نقله الدكتور اوسكار لاتز^(١) ، فلقد ساق ترجمة لنقش قيل انه عثر عليه

(1) Oskar Lens : Voyage au Maroc Paris 1886 Vol 2 .

فوق « صفيحة فضيه » مفروزة في أحد جدران المسجد وتوجد ضمن هذا النص العبارة التالية : « ٠٠٠ بقي يوم الخميس من سنة ٣٠٦ أو شهر ربيع النبوي ٠٠٠ » أي في أيام ولاية يحيى الرابع .

وحقن نرجع إلى حديث فاضلة وداود تشير إلى أن رواية الدكتور لاز لا نغيرها أي وزن من الناحية التاريخية لأنها خالية من كل سند ملموس ولا سيما مع ما حكاه عن الطالب ادريس الذي زوده بهذه الوثيقة والذي لم يكن أنه وجد صعوبة في الوصول إلى بقية النقش ، الأمر الذي يقرب إلى « أساطير » السياح أكثر مما يخدم الحقيقة التاريخية ، هذا مع العلم بأن أول ربيع الأول يوافق — حاليًا — يوم الثلاثاء وليس يوم الخميس ٠٠٠ وبعد فلنرجع إلى ابن أبي زرع ، واللوحة المنبثقة .

ولكن قبل أن تنفتح الموضوع يجب أن نعرف في كلمة وجيزة عن الامام داود بن ادريس تاركًا التفصيل للبحث الذي كنت كنيته خصيصًا عن هذه الشخصية ^(١) :

بالرغم من أن جميع المؤرخين يخلوا على داود هذا بأكثر من كلمة واحدة تتلخص في أنه « لما توفي ادريس الثاني قام بالأمر بعده ابنه محمد ، وأن هذا الأخير قسم بلاد المغرب بين كبار اخوته ترضية لهم وكان من بينهم داود الذي استأثر بأقليم تازة » . وقد رددت سائر المصادر صدى « الفتنة » التي نشبت بين بني ادريس على أثر هذه « الترضية » لكنها لم تعد يحال لذكر اسم داود ، وقد كاد صاحب هذا الاسم يعد في عداد الضائعين لولا عناصر ثلاثة :

أولها : اليعقوبي ^(٢) الذي يذكر أن داود بن ادريس كان واليًا على عدوة الأندلس وأنه كان « يدافع » يحيى صاحب عدة القرويين المعروفة بالمدينة العظمى .

(١) اتاخي ، مجلة « دعوة الحق » العدد السابع ، السنة الثالثة ابريل ١٩٦٠ — مجلة

« مجمع الفقه العربية » بدمشق المجلد ٣٦ جزء ٢ ص ٢١٢ .

(٢) اليعقوبي ، أخبار البلدان ، طبعه لندن ١٨٩٠ ، ص ١٣٧ .

ثانياً : الدرهم الموجود بالمكتبة الوطنية يساريّ بقي يحمل اسم الإمام داود بن ادريس^(١) .

ثالثاً : هذه اللوحة الأثرية التي يحتفظ بها الآن في المركز الرئيسي لمصلحة الآثار بتملكة المغربة .

وبعد هذا نرجع إلى الحديث . . .

هل نقرويين^(٢) من تأسيس فاطمة ؟ أو من عمل داود ؟

لقد كنت كنت كُتبت بمجرد وقوفي على اللوحة كلمة في الموضوع نشرت في مختلف المجلات العلمية سواء بالمغرب^(٣) أو القاهرة^(٤) أو تونس^(٥) أو إسبانيا^(٦) ، وكنت قصدت كما صرحت بذلك أن أثير إقباه الناس عليهم يساعدون على إخفاء الضوء على هذه الحقائق ، ومن سوء الحظ أنني إلى الآن لم أقف على « رد فعل » من قبل الذين يهمهم أمر التاريخ ، حاشا لبعض « الفروض » التي تلقيتها من بعض الأمانة الأجلاء الذين حرصوا على أن يجعلوا نقل القرطاس في فجوة من الشبهة والريب . فني الناس من أوصى بنبد أمر هذه اللوحة لأنها في نظره تناهض « تواتراً » متوارثاً في الأجيال ، وفيهم من رجح أن تكون اللوحة قد نقلت من مكان آخر وغرزت هنا . . . وأن ذلك تم على عهد الوطاسيين في الفترة القصيرة التي رجع فيها النفوذ إلى الشرفاء الأدارسة بواسطة محمد بن علي الجوطلي^(٧) .

(١) La Voix Catalogue des Monnaies Musulmans de la Bibliothèque Nationale P. 69. n° 92 .

(٢) يريد جامع القرويين .

(٣) التازي : مجلة الترية الوطنية ، العدد الرابع سنة ١٩٦٠ ص ١٠ - ٢٠ .

(٤) مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، العدد الثامن ١٩٥٩ ص ٢٤٤ - ٢٤٥ .

(٥) التازي - مجلة الفكر - السنة الخامسة عدد ٦ مارس ١٩٦٠ .

(٦) التازي - مجلة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد - المجلد السادس ١٩٥٨

ص ٢٧٧ - ٢٧٨ .

(٧) Deverdun mélanges d'Histoire et d'Archéologie T. II. Page 72. (٧)

وفي الناس طائفة ثالثة يصمون على أن يأخذوا بما ورد في مدلول اللوحة نظراً أولاً لكونها « وثيقة معاصرة » ، وثانياً لما أثر في هفوات عن القرطاس ، وثالثاً لكون بعض الرحالة والمؤرخين القدامى من أمثال اليعقوبي والبكري وابن عذاري تحدثوا عن مدينة فاس بمسجديهما العتيقين لكنهم لم يعرجوا على تأسيس القرويين على النحو الذي عرف في القرطاس . . .

فماذا تكون الحقيقة ؟

أما « التوضيح » بنبذ اللوحة فأمر سلمي لا يسمع به المؤرخ النزبه ، وأما عن أمر نقل اللوحة وخاصة أيام الوطاسيين فإنه يبعده عندي أن التاريخ ظل صامتاً صمتاً مطلقاً عن مؤسسات داود بن إدريس في مناطق نفوذه فلا يمكن أن ندعي إذن أنه أسس هناك « مسجداً » وأن « اللوحة » التي كانت على ذلك المسجد هي التي نقلت ! لكن الأبعد هو القول بأن عملية النقل تمت في عهد الوطاسيين مع أنها وجدت تحت الجبسي الذي ضرب — منذ نهاية دولة المرابطين — على سائر جهات البلاط الأوسط ، ولم يتحدث التاريخ أبداً عن ازاحه « التبليط »^(١) الذي قام به فقهاء فاس أو المسؤولون في الدولة الموحدية ، لذا فأمام قوة هذه الوثيقة الناطقة واعتباراً لما نقل عن اليعقوبي وعرف من أمر السكة الداودية واحتراماً لما نقل عن أبي القاسم ابن جنون^(٢) وأبي محمد عبد الملك بن محمود الوراق^(٣) مما تردد صداه في الأندلس المطرب وانعكس في زهرة الآس والوبر والجذوة ،

(١) مجلة كلية الآداب — الاسكندرية ، العدد ١٤ سنة ١٩٦٠ ص ٦٠ - ٨٨ ، للؤتمر الثالث للآثار العربية ، نشر الجامعة العربية صفحة ٤٤٥ - ٤٦٥ . الترية الوطنية دجنبر - ١٩٦٠ ص ٤٤ ، التازي : جامعة القرويين في أحسد عصر قرناً ، طبعة المحمدية ص ٨ .

(٢) رسالة في ذكر من أسس مدينة فاس (مخطوطة) مجهولة المؤلف بمعهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية تحت رقم (٩٧٢٢ ح) .

(٣) مخطوط في تاريخ الإدارة من كوينهاغن مصور بمعهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية .

ونظراً لأننا لم نعثر لحد الآن على نص تاريخي آخر يعزز بناء الإمام داود للجامع القرويين ، ونظراً لكون النقش المشار إليه لم ينص بصفة واضحة على لفظ القرويين ، أقول مراعاة لكل ذلك نجد أنفسنا بين احتمالين :

فأما أن يكون ابتداء البناء كان في رمضان سنة ٢٥٠ في أيام يحيى ، ولكنه استمر إلى سنة ٢٦٣ أيام داود بن ادريس ، وتكون فاطمة استغرقت في صومها كل هذه المدة ، وبؤيد هذا الرأي أولاً ما استهدفت له البلاد من حالة الجفاف في هذه الأثناء ، وثانياً ما تعدت به فاطمة والتزمت من استخراج كل مواد البناء من نفس البقعة تحريماً ، وثالثاً أن المصادر التاريخية إنما تحدثت عن ابتداء البناء ولم تحدث عن انتهائه ، فكل هذا مما يبرر استغراق كل هذه المدة .

وأما أن يكون البناء تم في نفس السنة نظراً لكون الجامع - ومساحته لا تصل إلى ألف متر مربع - لا يمكن التهاون في أمر بنائه طيلة ثمانية عشر عاماً ٠٠٠ وبفسر وجود داود بن ادريس هنا بأنه في الفترة التي كان « بدافع » فيه يحيى ، تمكن في بعض الظروف من الاستيلاء على عدوة القرويين ، وتخليداً لهذا الفوز الذي حصل عليه في عدوة القرويين ورغبة في أن تعرف الأجيال القادمة انه « كان هنا » فقد شاء أن ينقش اسمه كنصب تذكاري في هذه الجهة ، ولما كانت الملوك والرؤساء يختارون أبرز مكان وأشهر تخليداً أسمائهم ، وكان أفضل مكان في المسجد وأطهره هو المحراب فقد تم ضرب هذه « الأثرية » عليه حتى تظل أمام المتعبدين والقاصدين . بقي أن يتساءل عن اختفاء اسم فاطمة من اللوحة مع ان النصوص المذكورة تتضافر على أنها المؤسدة ؟

إننا نعلم ان التقاليد القديمة لا تلح في ذكر أسماء النساء على المباني ولا صيغ مع ما أثر من أن الشعوب قد تقوم بالشاريع وترجو إلى الملوك تبنيها تقديراً لهم وتكريماً لمقامهم . وبعد ٠٠٠ فهل ستكون هذه ككتبتنا الأخيرة حول تاريخ بناء القرويين ؟

مراجعة في شأن تعريف غير

وجمع معجم على معاجم

افادنا الأستاذ عارف النكدي في مقال له بالجزء الثاني من المجلد الثامن والثلاثين من هذه المجلة بوقوع مناقشة بين الدكتورين طاهر الحميري وابراهيم السامرائي في مسألة ادخال ال على غير وجمع معجم على معاجم ، نشرت في مجلة « اللغات » بترنس . وعقب حضرة على ذلك بما اوضح وجه المسألة وطلب رأي أعضاء الجمع وقراء مجلته ليكون الرأي رأي جماعة لا فرد . وبصفة كوني من الفريقين معاً حُبَّب إلي أن أدلي برأيي الذي أجمله في هذه المراجعة ، وإن كان في الحقيقة ليس رأياً بل تقريراً لما عند علماء العربية في هذا الشأن .

فأما ادخال ال على غير فقد نص العلماء على انه خطأ لأنها لا تعرف ولو بالإضافة ، وذلك لشدة ايمائها . وأصلها أن تكون صفة لنكرة نحو « ارجعنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل » ، أو معرفة قريبة من النكرة نحو « غير المغضوب عليهم » ، لأن المرف الجنسي قريب من النكرة . وبهذا يُعلم ان تجويز ادخال ال على غير ، بناء على أنه تعريف كتعريفها بالإضافة في نحو غيري وغيره ، ليس بصحيح . وتساؤل الأستاذ هل قولنا غيري فعل هذا أكثر تعريفاً من قولنا الغير فعل هذا ؟ يقال عليه صحيح أنه ليس أكثر تعريفاً منه بل ولا هو معرفة أصلاً حتى يُنظر في المفاضلة بينه وبين ما نُحمل عليه في التعريف ، وانما جاء ذلك من شدة ايهام غير التي لا يتعين المراد بها .

نعم ذهب ابن السراج الى ان المتغير إذا كان واحداً تعرفت غير بإضافتها اليه ، وبه يؤكد قول السيرافي إذا وقعت غير بين متضادين تعرفت ، أي بين متضادين لا ثالث لهما كقولنا الحركة غير السكون والزوج غير الفرد ، بخلاف القيام غير القعود فانها لا تعرف لصدقها بالالتكاء والاضطجاع ونحوهما .

وهذا كله في الإضافة ، وأما ال فلا مورد لها هنا لأنها إما للجنس أو للعهد ولا تحقق لأحدهما في دخولها على غير ، فبقي أن ادخلها عليها خطأ تساهل فيه المتأخرون ولم يقع من أحد من المتقدمين ، والشجاعي والهوريني كلاهما متأخر لا يحتاج به .

وأما جمع معجم على معاجم فإنه لا ينبغي الاختلاف فيه ، وليس جمعه على معجمات بأقبح منه . ولا حاجة إلى تتبع الكلمات التي جاءت على وزنه مجموعة بذلك الجمع للاستظهار بها ، فإن من التقرر نحويًا أن مفاعل هو من باب كفعال الذي قال فيه ابن مالك في الألف .

وبفعال (وشبهه) انطلقا في جمع ما فوق الثلاثة ارتقى من غير ما مضى ... وقد ذكروا أن شبه فعال مفاعل وفاعل وفعاول وغيرها مما هو مثله عدداً وهيئة وإن خالفه زنة كفعايل وفعايل ونحوهما ، فهذه كلها جموع لما زاد على الثلاثة من الرباعي فما فوقه أصلياً كان أو مزيداً باستثناء باب كبرى وسكرى وأحمر ورام وكامل ونحوها ، وهو ما أشار له ابن مالك بقوله (من غير ما مضى) فإن له جموعاً أخرى ذكرها في محلها . ويدخل فيها نحن بعدده ، أعني الرباعي الذي يجمع على مفاعل ، مثل 'مُجِمْ ومُصَحَّف بما أوله مضموم ومسجد ومعد بما أوله مفتوح ومِعْصَم ومِغْتَلَب بما أوله مكسور فيقال معاجم ومصاحف ومساجد ومعاهد ومعاصم ومخالب قياساً لا ترد فيه وكذا كل ما كان مثله والله أعلم .

عبد الله كنون

مصحف عثمان^(١)

سمعت بمحدث المصحف الذي كان في جامع الخوجة أحرار بسرقتهم ولم يتيسر لي رؤيته . وأعتقد ان كاتب المقال اكتفى بنقل رواية أهالي سمرقند دون أن يدعم هذا الزعم بحجة عليه . وذكر المستشرق الكبير كراتشكوفسكي الروسي هذا المصحف في مقال له نشر في العدد الثالث من المجلة الروسية (ابغرافيا الشرقية) لعام ١٩٤٩ حدد فيه تاريخ كتابة المصحف المذكور في أوائل القرن الثاني للهجرة .

ويستدل من حجم هذا المصحف ووزنه انه لم يكن ليتدأرل اذ لا يتسع له حجر القاريء ويصعب حمله ونقله . وارجح انه كان كغيره من المصاحف الكبيرة من الأمهات التي يعتد بها نسخ المصاحف .

وأما نسبة المصحف الى الخليفة عثمان فهي نسبة إلى المصحف الذي جمعه الخليفة ووزعه في عهده تمييزاً له عن المصاحف الأربعة التي حل محلها وهي نسخ أبي كعب وابن مسعود والأشعري والمقداد ، وليت نسبة ملكية ، وهكذا نوهم الناس ان كل مصحف كبير بالحجم ووسم بالعثماني ينسب إلى شخص الخليفة عثمان الذي نقل عنه .

وأعتقد ان مصحف حمص هو من هذه الفئة وقد سمعت خبره بالتواتر ولا يوجد على ما أعلم في متحف أوقاف الآستانة أو غيره من المتاحف الكبيرة مصحف يرتقي عهد كتابته إلى عصر الخلفاء الراشدين .

جعفر الحسني

(١) نطبق على مقال الدكتور عبد الرحمن الكيالي للنشر في ص ٧٢٦ في الجزء الرابع من المجلد (٣٨) من مجلة المجمع العلمي العربي .

مصحف عثمان^(١)

اننا بعد التقصي والبحث والاتصال مع المعبرين في مدينة حمص حصلنا على المعلومات الآتية :

١ - المعلوم تاريخياً ان أمير المؤمنين سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه كان أمر بكتابة خمس نسخ عن المصحف الشريف ووزعها على الأقطار الإسلامية في عهده .

٢ - ان النسخة الموجودة في حمص مخضوطة بالخط الكوفي وكانت محفوظة في المسجد المشهور « مسجد القلعة » وكان المسلمون يزورون هذا الجامع للتبرك بالمصحف الشريف وتقبيله ، وقد اعلنا شيخ مشايخ حمص الحالي محمد طاهر الرئيس انه كان هو بنفسه يزور المسجد ويتلو في المصحف الشريف ويتبرك به حتى قيل الحرب العالمية الأولى حيث رقع المصحف الشريف من هذا المسجد ووضع في جامع سيدنا خالد بن الوليد رضي الله عنه .

٣ - يقول الأستاذ الرئيس ان هذه النسخة كان أحضرها لحمص الخليفة العادل (عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه) وانه عندما وقعت الحرب العالمية المثار اليها نقل هذا المصحف الشريف إلى ألمانيا من قبل بعض الفواد الألمان واحتفظ به في المتحف الأثري الموجود في برلين في ذلك الوقت .

٤ - بعد أن نقل المصحف إلى ألمانيا انقطعت المعلومات الصحيحة عن مصيره وأصبح مكان وجوده مجهولاً .

٥ - ويقول الأستاذ الرئيس انه من المحتمل جداً أن يكون المصحف الشريف المنود به في كتابكم والموجود في طشقند حالياً هو نسخة من إحدى النسخ الخمس التي كتبها أمير المؤمنين سيدنا عثمان بن عفان ووزعها على الأقطار والأمصار الإسلامية وصلت فيما بعد إلى هذا القطر .

(١) تعليق على مقال الدكتور عبد الرحمن الكيالي للنشور في ص ٧٣٦ في الجزء الرابع من المجلد (٣٨) من مجلة المجسم العلمي العربي .

٦ — أما الوصف المصحف الشريف الذي كان في حمص فهو مخطوط على رق غزال جيد ويبلغ طوله ثمانين سنتيمتراً وعرضه ستين سنتيمتراً ، وله وقف في حمص ما يزال موجوداً ويعرف بوقف مصحف عثمان .

هذه خلاصة عن التحقيقات التي أجريتها بخصوص مصحف سيدنا عثمان ابن عفان رضي الله عنه الذي كان موجوداً في حمص حتى الحرب العالمية الأولى .

مدير الأوقاف بحمص

صلاح الدين بن بدوي السباعي

استدراك

سقط بالمقال المنشور في الصفحة ٦٨٠ من الجزء الرابع من المجلد الثامن والثلاثين من المجلد ، بعد السطر (١٨) من بعد (فناهيك بأصالة) الجملة التالية : « العقاد وبعد غروره ووضوحه . وكذلك تناول مؤلفنا الموضوعات الآتية : فريضة التفكير في كتاب الإسلام » الموانع والأعذار . . . الخ

تصويبات

جاء في ص ٣٥٧ من الجزء الثالث من المجلد الثامن والثلاثين أن وفاة الأديب أسعد خليل داغر كانت في سنة ١٩٦٠ والصحيح ١٩٣٥ .

وجاء في هذا الجزء من المجلد :

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٨	٤	ومن العلوم	ومن العلوم
١٠	٢	منها المسم	منها السام

بيان المشروعات المنوي تحقيقها في دورة السنة الجمعية ١٩٦٣ - ١٩٦٤^(١)

المجمع العلمي العربي :

أنجز مجمع اللغة العربية بدمشق (المجمع العلمي العربي) في دورته السابقة أكثر المشروعات التي كان تقرر إنجازها في تلك الدورة ويأمل مكتب المجمع أن ينجز ما تبقى منها قبل نهاية السنة المالية الحاضرة ، ليعمل بعدها على إنجاز مشروعات المجمع الجديدة . وتميزت الدورة المنصرمة باهتمام السادة أعضاء المجمع بالمصطلحات العلمية خاصة منها ما نشر في مجلة المجمع ومنها ما طبع على حدة ، وأهمها :

(معجم المصطلحات الحراجية بالانكليزية والفرنسية والعربية) لسيادة الرئيس الأمير مصطفى الشهابي ، وله أيضاً (أخطاء شائعة في الفاظ العلوم الزراعية والنباتية) . ومما هو جدير بالذكر أيضاً الأبحاث التي يواصل السادة الأعضاء نشرها في المجلة ومنهم : سيادة الرئيس الأمير مصطفى الشهابي ، والدكتور حسني سبيح ، والدكتور جميل صليبا ، والدكتور صلاح الدين الكواكبي ، والدكتور عدنان الخطيب ، في شتى مصطلحات العلوم الزراعية والطبية والفلسفية والكيميائية والمعجمية القنوية وجميعها من صميم أغراض المجمع . ولم يكتف المجمع بالمصطلحات العلمية المألوفة بل تجاوزها إلى نوع جديد من أغراضه وهو تبني طبع (معجم الآثار الأفرنسي - العربي) الذي وضعه الأستاذ الأمير يحيى الشهابي . وعهد المجمع إلى لجنة من أعضائه وخير من مديرية الآثار العامة بالتعاون مع المؤلف لإعادة النظر في هذا المعجم وتحقيقه

(١) تلاه الأستاذ أمين المجمع في اجتماع مجلس المجمع بتاريخ العاشر من تشرين الأول سنة ١٩٦٣ .

واختيار أفضل المصطلحات ، وقد باشرت اللجنة عملها منذ بضعة أشهر وهي تواصل جهدها لانتهائه في أقصر مدة .

وكان المجمع في دورته السابقة قرر طبع اثني عشر كتاباً ، أنجز منها عشرة كتب ثم أضاف إلى هذا العدد بسبب تعدد السنة المالية ستة أشهر ، أحد عشر كتاباً ورسالة أنجز منها سبعة كتب ، والبقية تحت الطبع ، فيكون المجمع قد أنجز طبع (١٨) كتاباً من مجموع (٢٣) كتاباً . وهو جهد يشكر عليه المحققون والمثقفون على انطباع . وهذه أول مرة في تاريخ مجعنا تستنفد مطبوعاته فيها الاعتمادات المرصودة في ميزانيته لهذه الغاية .

أما الكتب المقترحة طبعها في هذه الدورة فهي :

- ١- الجامع في أخبار أبي العلاء المعري (الجزء الثالث) بقلم الأستاذ سليم الجندي وتحقيق الأستاذ عبد الهادي هاشم .
- ٢- حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (الجزء الثالث) بقلم الشيخ عبد الرزاق البيطار وتحقيق الأستاذ محمد بهجة البيطار .
- ٣- تراجم الأعيان للبيروني (الجزء الثاني) بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .
- ٤- ديوان ابن التقيب . بتحقيق الأستاذ عبد الله الجبوري .
- ٥- فهرس المجلدة العاشرة من تاريخ ابن عساكر . وضعه الآنسة ملك هنانو .
- ٦- فهرس مجلة المجمع العلمي العربي (الجزء الثالث - القسم الثاني) . وضعه الأستاذ عمر رضا كحالة .
- ٧- جزء من تاريخ ابن عساكر . بتحقيق الآنسة ملك هنانو .
- ٨- أخبار الراعي النيربي وشعره بقلم الدكتور فاسر الحاني وتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي .
- ٩- ديوان قتيان الشاغوري : بتحقيق الأستاذ أنور العطار .

- ١٠- الحيدة لعبد العزيز الكتاني : بتحقيق الدكتور جميل صليبا .
- ١١- منتهى الطلب من أشعار العرب لابن ميمون : بتحقيق الأستاذ عز الدين التتوخي .
- ١٢- فهرس الشعر (المكتبة الظاهرية) وضعه الدكتور عزة حسن .
- ١٣- فهرس الحديث (المكتبة الظاهرية) وضعه الشيخ ناصر الدين الألباني .
- ١٤- معجم ألفاظ الآثار بالفرنسية والعربية للأمير يحيى الشهابي .
بتحقيق لجنة خاصة .
- ١٥- ما بنته العرب على فعال للصناني : بتحقيق الدكتور عزة حسن .
- ١٦- ديوان دعلج للدكتور عبد الكريم الأستر .
- ١٧- رسالة الكتيبة الكامنة في أدهاء المئة الثامنة لسان الدين بن الخطيب ،
بتحقيق الدكتورة هناء الدويدري .
- ١٨- الجزء الأول من الرسالة الجامعة للجريطي (إعادة طبع) طبعة ثانية .
- ١٩- الجزء الأول من الدارس في تاريخ المدارس للنعماني (إعادة طبع) طبعة ثانية .
- ٢٠- المجلد (٣٩) من مجلة المجمع العلمي العربي .
ويتوقف تحقيق هذه المشروعات على منع المجمع الاعتمادات المالية الكافية
في ميزانية عام ١٩٦٤ .

اهداء كتب :

أوصى المرحومان الشيخ محمد خير دياب و خليل مردم بك رئيس المجمع العلمي العربي السابق بخزائني كتبها إلى هذا المجمع وهما محتويان على كتب مخطوطة ومطبوعة قيمة . وقد نفذ السادة ورثة المرحومين الوصيتين بأمانة .
رحم الله الفقيدين الحسين وأسكنها فسيح جناته ، وأجزل ثواب ورثتها .

الوفيات :

فقد المجمع من أعضائه :
الأستاذ أحمد لطفي السيد .

الأستاذ عبد الحمي الكتاني .

الأب ا . س . مرمرجي الدومنيكي .

تقدم الله بروحته ورضوانه .

دار الكتب الظاهرية :

كان نشاط دار الكتب مرضياً ولا سيما بعد أن اقتنت بوضع فهرس لقسم من مخطوطاتها فقد صدر منها في مدة قصيرة ما يأتي :

فهرس قسم الفقه الشافعي .

« علوم القرآن .

« الشعر .

وهي تعد فهرس قسم الحديث

وتعتبر هذه الخطوة أم عمل أنجزته المكتبة منذ تأسيسها ، وكان النقص في فهرسها من أشد ما يعيبه عليها العلماء . ويأمل أن تتم فهرسة البقية من المخطوطات في سنتين أو ثلاث سنين .

ومن أعمالها تصوير غطاءات المكتبة . وقد أنجزت عدداً كبيراً منها . وأصبح طلب تصوير المخطوطات يأتيها من العلماء والمؤسسات العلمية في أنحاء مختلفة من العالم .

وقد اقتنت دار الكتب خلال هذه السنة (١٨٧٥) كتاباً مطبوعاً و (٢٣٩) مخطوطاً .

الاستلاك :

اعترضت مشروع الاستلاك للعقارات المجاورة لدار الكتب بغية توسيعها وتنظيمها عتبات إدارية شكلية آثارها أصحاب العقارات والقضية هي اليوم في الدوائر القضائية ومن المأمول أن تنتهي في مصلحة الجمع .

الأمين

جعفر الحسني

—•—•—•—

مجلة المجمع العلمي العربي

١ نيسان «ابريل» سنة ١٩٦٤ م ١٩ من ذي القعدة سنة ١٣٨٣ هـ

فارس العرب !

لويسكر الدهر من ذكراكِ يا حلبُ	لكان للدهر منكِ الخمرُ والعنبُ
هذا دوئكِ والدنيا تردده	تكاد تهتزُّ من أهواله الحقب
ما كان أمسكِ إلا أمس ملحمة	غنى بها السيفُ والأقلامُ والكتب
لولا الليالي التي كابدتِ ظلمتها	ما كان للعرب بين الروم مضطرب
فلو سألت دروب الروم عن بلد	ذلت به الروم قالت: حسبكم حلب!
أعدتِ ذكرى بني حمدان وارقة	ذكرهم الجودُ والعلية والأدب
كانوا الملوك وتاج الملك فوقهم	تزهي به الأرضُ والأفلاك والشهب
حصنُ العروبة لم يهدم عروبتهم	نومٌ على الضيم والندارات تُغتصب

ما كان إلا سروج الخيل مركبهم لنصرة العرب ما جرؤوا وما ركبوا
ردوا البطاريق عن أطلال ملكة يفتى على ظنّها نتيانها النجيب
تروى من الأحمر القاني منابتها وينضر العود بالأشلاء وانعشب

* * *

إذا نسبت في النتيان فارسهم أبا فراس حسبت المجد ينتسب
زين الشباب ولم تملأ شببته إلا المعالي والأخيل والخبب
ضرب السيوف ورايات يليح بها في ملك قيصر : هذا الهم والأرب
لم يرو من عمر هدت نضارته مضارب النيف والنيران واللب
فلم يمتنع من الأيام متعته ولا تملئ شباباً كله تعب
ما منزل اللهور واللذات منزله وانما لهوه الهيجاء والجلب
فأين منه ظهور الخيل سابعة وأين منه ضجيج الحرب والصخب
إن راح يوم ولم ترسب صوارمه في أرؤس الروم ضاع اليوم والرّسب

* * *

يا فارس العرب كم غادرت من أثر على مدارجه الفرسان تنسحب
زحفت بالجيش والرايات خافقة لم يحم قيصر منها جيشه اللجب
فضج منك كفاف الأفق واختلجت غياهب الليل حتى مادت الرّحب
لو كنت للموت هيأاً لما ظفرت بك السيوف ونالت وجهك الشطب

هذي الجراح على الخندين شاهدة أن الرجال إذا ما استغضبوا غضبوا
ما في الجراح على الهيحاء من عجب نجاة فرسانها منها هي العجب
لم تخلق الحرب إلا للسيوف فما يليق بالحرب إلا الفارس الدرب !

* * *

يا بن الملوك ! وكم أذلت من ملك لم يحمه في القيافي معقل أشب
نزعت عنه وشاح الملك فانتخفت به القفار وماج اليم والعيب
إن دلّ لون على خوف تكتفه دلّ الشحوب فإن الخوف والرهب
أنتت إليك شيوخ العرب طاعتها لما ألح على أشياخها الرعب
فما نرا شاغب منهم على جبل الأبطشت به حتى انقضى الشغب
إذا تولّى فذلّ الخوف لاحقه وان تدلّى ثناء الشك والريب
خلّ المفاخر والألقاب ناحية فما يحيط بما أعليته لقب !

* * *

يوماً أميراً ويوماً في سلاسله يطوي الليالي والأشجان تضطرب
يصيح في كل يوم فوق مضجعه ألا فؤاد على أقيادنا حذب
أما ترقّ قلوب كنت حارسها والملك معتلج الآفاق مُنتهب
ألا فداء وسيف الدولة امتلأت منه الخزائن والأعلاق والذهب
لقد تملّت قلوب الناس عطفته وعطفه دون هذا القلب محتجب

اذا عتبتُ فلم أعتب لمبخلته
 اني أضنُّ بتاجٍ أن أزاحمه
 لكن طربتُ إلى نارٍ أسعَّرها
 فكل همٍّ على الأحشاء منبسط
 تلقى العيونُ على الأعياد فرحتها
 يمرُّ بالعيد والأغلال حلتُّه
 فالعين خلف خضمِّ الروم موحشة

* * *

أين الديار وأين الشام لذته
 خياله في ربوع الشام منسرح
 فما ثنته قصورُ الروم عن وطنٍ
 اذا سجا الليلُ لم يحلم بغيرهم
 فكم الى حلبٍ حنتُ خواطره
 فإن تذكر بين الروم ذلته
 فهزَّ رأساً على الجوزاء قمته
 لولا العجوز ولولا صية سرجوا
 نأت به الدار والبطحاء والكثب
 وطرفه في ديار الروم منقلب
 على مشارفه الأهلون والصحب
 وفي الضحياهم الأحلام والرغب
 وكم الى منبج أسرى به الخدب
 نقى المذلة عزَّ الملك والحسب
 وكاد يأكل من أضلاعه الغضب
 مثل الفراخ على أطرافها الزغب

لما تظامن من عليائه كنف ولا تقطع من أسبابه سبب
سحاب صيفٍ وبعد الأسر معتزك تشقى به الروم أو يروى به الترب

* * *

يا حسرةً من وراء اليمِّ تحملها يظلُّ قلبك من لأوائها يحب
لو يفصح الشعر عن دمع تكتمه لكان من شعرك الريان مُنتخب
عليه في ظلال الشام والهة هذا معلماً في القيد منتشب
يضني جوانحها جرح يؤججه شوق اليك على جنح الدجى يشب
فجرحها في يياض الصبح ملتهب ودمعها في سواد الليل منسكب
إذا اطمأنت إلى الأحداث مهجتها ثارت بها ذكرك كالموج تصطبب
تهفو إلى الركبان عجت مواكبهم وتسأل الركب ما جاؤا وما ذهبوا
هل الأمير ريب الملك مائجة به الشجون فلا هو ولا لعب
وهل أليف العوالي في سلامه مشئت الفكر من أغلاله كتب
والله ما هدأت عيني ولا انقطعت دموعها وحيب القلب مغترب

* * *

ما أقسى قلبك في الهيجاء ترسله خلف العدو فما ينجو به الهرب
وما أرق فؤاداً ان ذكرت له أمّا على صدرها الأشجان تلهب
تظلُّ صورتها في الأسر مائلة لقلبك الغضّ تدنيها فتقرب

فيها الصفاء ، صفاء الدين مؤتلق فلا هواده في التقوى ولا كذب
لو تجمع الأرض في الدنيا وزيتبا لفاقت الأرض أم في الورى وأب

* * *

ويح البؤلة ما كانت عواقبها هل العواقب إلا القتل والعطب
لما رأى جنات الملك خالية حلا له التاج والرايات والغلب
ما كاد يطلبها والعين طامحة حتى تفلت منه الملك والطلب
مشت إليه سيوف الترك غادرة لله ما صرعوا منه وما شطبوا
نجوا من الروم والأسياف تضربه وما نجا من سيوف الترك ما ضربوا
لم ينكبوا من بني حمدان فارسهم وانما العرب في آثاره نكبوا
كانت سيوف بني حمدان تحجبهم واليوم لا حاجب يحمي ولا حجب
وهكذا درجت في الشام دولتهم من بعد أن ملأوا الدنيا بما غلبوا
لو يعرب الدمع عن مأساة فارسهم لفاضت الأرض مماسحت السحب

* * *

سل الديار ، ديار العرب كم نكبت في كل يوم شقاقات ومُنتكب
إن تنطق الأرض عن قتلى شبيبتهم أبكاك من درجوا فيها ومن سربوا
لم تُسق منهم سيوف الروم مأسقيت منهم أسنتهم والبيض والقضب
شقاقتهم في ضحى التاريخ مثلبة وعهدهم في دجى تاريخهم ثلب

فما تألف بعد الفتح شملهم
 حثى تبعثرت الأهواء فانشعبوا
 يينا يُغذُّ بنو حمدان سيرهم
 للروم إذ نجد الأعراب تنقلب
 أمامهم وثبات الروم تشغلهم
 وخلفهم وثبات البدو والسلب
 لولا شباب بسيف الندوة اعتصموا
 لراع قلبك حوض في الحمى خرب
 فللمهالك ما سلوا صوارمهم
 وللمكارم ما أعطوا وما وهبوا
 فهل تعيد لنا الأيتام دوتهم
 والشرق مبتهج والغرب مكشَب

* * *

أبا فراس! وما قلت الذي اختمرت
 به القوافي وبعض القول مقتضب
 تظل ذكراك بين العرب خالدة
 ما دار دهرٌ وما دارت به العرب

شفيق جبري

قادة الفتح الاسلامي :

أبو عبيدة بن الجراح الفهري

قَاتِحَ أَرْضِ الشَّامِ

« هذا أمين هذه الأمة »

محمد رسول الله

- ٢ -

الإصابة :

١ - كان أبو عبيدة معروق الوجه ، خفيف النحية ، طوالاً ، أجنأ ، أثرم^(١) ،
وما رؤي أتم قط أحسن منه^(٢) ، وكان يخضب رأسه ولحيته بالخناء والكتم^(٣) .
وربما كان هناك من يشابهه في صفاته الجسمية وفي مزايا قيادته ، ولكن
أبا عبيدة تفوق على أقرانه في مزاياه الانسانية ، وحسبه أن يكون فريداً في
خلقه حتى بين الصحابة بشهادة رسول الله ﷺ إذ قال : « ما أحد من أصحابي
إلا لو شئت لأخذت عليه في خلقه » ، لبس أبا عبيدة بن الجراح^(٤) . وكان
يدعى بين الصحابة : القوي الأمين ، لقول رسول الله ﷺ لأهل نجران :

-
- (١) الإصابة (١٢/٤) وطبقات ابن سعد (٣٨٤/٧) ، ومعروق الوجه : أي قليل
لحم الوجه . أجنأ : فاتح الوجه . أثرم : انكسرت ثناياه .
(٢) أسد القابة (٨٥/٣) والاستيعاب (٧٩٣/٢) ، وأتم : انكسرت ثناياه .
(٣) الإصابة (١٣/٤) وأسد القابة (٨٦/٣) ، والكتم : فبت يخلط بالوسمة يخضب به .
(٤) الإصابة (١٢/٤) والاستيعاب (٧٩٣/٢) .

« لا رسلن معكم القوي الأمين » ولقوله : « لكل أمة أمين » وأمين أمي أبو عبيدة بن الجراح ^(١) ، لذلك كان من أحب أصحاب النبي ﷺ إلى النبي ، فقد قيل لعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها : أي أصحاب رسول الله ﷺ كان أحب إليه ؟ فقالت : « أبو بكر ثم عمر ثم أبو عبيدة بن الجراح ^(٢) » .

وقد وصفه عبد الله بن عمرو ^(٣) قائلاً : « أصبح الناس وجوهاً وأحسنهم خلقاً وأشدهم حياء ثلاثة : أبو بكر وعثمان وأبو عبيدة ^(٤) » .

(١) الاستيعاب (٧٩٣/٢) .

(٢) الاصابة (١٢/٤) .

(٣) عبد الله بن عمرو بن العاص : أسلم قبل أبيه ، وكان فاضلاً حافظاً عالماً ، قرأ القرآن والكتب للخدمة ، واستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتب حديثه فأذن له ، قال : « يا رسول الله ! أكتب كل ما أسمع منك في الرضا والنصب » ، قال : « نعم » ، فاني لا أقول إلا حقاً . وكان يبرد الصوم ولا ينام الليل ، فشكاه أبوه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : « إن لبيك عليك حقاً ، وإن لأهلك عليك حقاً ، قم ونم وصم وانظر . صم ثلاثة أيام من كل شهر فذلك صيام الدهر » ، فقال : « إني أطيق أكثر من ذلك » ، فثم يزل يراجه في الصيام ، حتى قال له : « لا صوم أفضل من صوم داود ، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً » ، فوقف عبد الله عند ذلك وتنادى عليه .

واعتمر رضي الله عنه عن شهوده صفتين ، وأقسم أنه لم يرم فيها برمح ولا سهم ، وأنه إنما شهد ما لزمه أبيه عليه في ذلك ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « أضح أباك » .

كان أيضاً الرأس والحية ، طويلاً أحمر عظيم البطن ، وقد عمي في آخر أيامه ، وتوفي بالشام سنة خمس وستين وهو يومئذ ابن اثنتين وسبعين . وقد روى عن أبي بكر وعمر . راجع التفاصيل في طبقات ابن سعد (٢٦١/٤) والاصابة (١١١/٤) وأسد النابة (٢٣٣/٣) والاستيعاب (٩٥٦/٣) .

(٤) الاصابة (١٢/٤) .

لقد كان أحد العشرة السابقين للإسلام^(١) . وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة^(٢) .
 ولما توفي رسول الله ﷺ ، أتى بعض الناس أبا عبيدة ليأمنوه بالخلافة ، فقال :
 « أتأتوني وبكم ثلث ثلاثة ؟ » يريد أبا بكر الصديق ، إشارة للآية الكريمة :
 ﴿ إِذْ هَمَّ فِي الثَّغَارِ ، إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ : لَا تَجْعَلِ إِنِّ اللَّهُ مَعَنَا ۖ وَكَانَ عَمْرُ
 ابْنِ الْخَطَّابِ مِنْ أَتَائِهِ بِوَمَذَاكَ ، فَقَالَ : نَسِطُ يَدَكَ فَلَا يُبْعَثُ ، فَأَنْتَ أَمِينُ هَذِهِ
 الْأُمَّةِ شَرَى نَسَازِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ » . فقال أبو عبيدة فعمر : « ما رأيت لك فهمة
 قبلها منذ أُسِّيت ! أتيا بعني وبكم الصديق وثاني اثنين ؟ »^(٣) . وبينما كان
 عمر وأبو عبيدة في هذا الخديث ، علما بأن الأنصار قد اجتمعوا في سقيفة بني
 ساعدة لاختيار خليفة للمسلمين ، فأرسل عمر إلى أبي بكر في بيت عائشة
 أم المؤمنين ، وقصدوا سقيفة بني ساعدة ، فقال أبو بكر : « ما هذا ؟ » ،
 فقال الأنصار : « منا أمير ومنكم أمير » ، فقال أبو بكر : « منا الأحرار
 ومنكم الوزراء » ، ثم قال : « قد رخصت لكم أحد هذين الرجلين : عمر
 وأبا عبيدة أمين هذه الأمة » ، فقال كل من عمر وأبي عبيدة : « لا ينبغي لأحد
 أن يكون فوقك يا أبا بكر » ، فبايعاه^(٤) .

٢ - وفي خلافة أبي بكر ، تولى أبو عبيدة أمر المال^(٥) ، وهو الذي فرض

(١) الامامة (١١/٤) .

(٢) أسد الغابة (٨٥/٣) والاستيعاب (٧٩٣/٢) والبردة (٣٦٦/٣) .

(٣) طبقات ابن سعد (١٨١/٣) والبردة الحنية (٣٩٥/٣) ، والفتنة :
 هي القطة أو الجبهة .

(٤) ابن الأثير (١٢٣/٢) والبردة الحنية (٣٩٥/٣) والبخاري (١٠٢/٢)
 والاستيعاب (٧٩٣/٢) .

(٥) الطبري (٦١٧/٢) وابن الأثير (١٦١/٢) .

لأنني بكر فوت رجل من المهاجرين ليس بأفضلهم في سعة الرزق ولا بأقربهم وكسوة الشتاء والصيف^(١) ، وذلك ليتفرغ أبو بكر لإدارة أمور المسلمين وينصرف عن التجارة حرفة السابقة .

وبلأه أبو بكر القيادة العامة في أرض الشام ، فاستضافه أبو عبيدة من ذلك^(٢) ، ولكن أبا بكر أمره على رأيه ، فلا تخرج موقف المسلمين في أرض الشام واجتمعوا باليرموك ، ولى أبو بكر خاتماً منصب القيادة العامة في الشام بدلاً عن أبي عبيدة^(٣) الذي بقي على جند حمص^(٤) ، ولكن عمر بن الخطاب أعاده إلى منصب القيادة العامة بعد وفاة أبي بكر^(٥) وصير خالداً موضح أبي عبيدة^(٦) أي أن خالداً أصبح قائداً مسؤولاً لأنني عبيدة في أرض الشام ، فلم يخبر أبو عبيدة خالداً بعزله إكراماً له وإجلالاً^(٧) ، فلما علم خالد بعزله واستعمال أبي عبيدة مكانه ، قال الناس : « بث عليكم أمين هذه الأمة » ، وقال أبو عبيدة للناس عن خالد : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : خالد سيف من سيوف الله ، نعم فني المشيرة »^(٨) . . . لقد كان كلامها فوق المناسب ،

(١) السيرة الحلبية (٣٩٧/٣) .

(٢) البلاذري ص (١١٦) .

(٣) فتح الشام للواقدي (١٤/١) والبلاذري ص (١١٧) والأغانى (٢٦/١٤) .

(٤) ابن الأثير (١٥٥/٢) .

(٥) طبقات ابن سعد (٣٩٧/٢) .

(٦) البيهقي (١١٧/٢) .

(٧) ابن الأثير (٢٠٧/٢) ، وفي رواية أخرى أن خالداً علم بعزله قبل أن يعلم به أبو عبيدة ، راجع الطبري (٥٩٠/٢) وابن الأثير (١٥٨/٢) .

(٨) الامامة (٩٩/٢) وأسد الغابة (٨٥/٣) والاستيعاب (٢٩٤/٢) .

وكلاهما يعتبر المنصب تكليفاً لا تشريفاً ، فلا عجب ألا يؤثر عزل أحدهما في تقديريهما ولا في علاقاتهما الشخصية .

وكما كان أبو عبيدة لا يكثر بالمناصب ، كان لا يكثر بتأجير الدنيا من مال وعقار ، فقد أرسل عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة بأربعة آلاف درهم وأربعمائة دينار ، وقال للرسول : « انظر ما يصنع ! » فلتسها أبو عبيدة ، فلما أخبر الرسول عمر ، قال : « الحمد لله الذي جعل في الإسلام من يصنع هذا ! »^(١) .

ولما قدم عمر الشام ، تلقاه أمراء الأجناد وعظماء أهل الأرض ، فقال عمر : « أين أخي ؟ » فقالوا : « أين ؟ » قال « أبو عبيدة » ، قالوا : « يا أبا عبيدة ، نجاء على ناقة مخطومة بجمل ، فسلم عليه ، فقال عمر للناس : « انصرفوا عنا ! » ، وسار مع أبي عبيدة حتى أتى منزله فنزل عليه ، فلم ير في بيته إلا سيفه وترسه ، فقال عمر : « لو اتخذت متاعاً — أو قال — شيئاً » ، فقال أبو عبيدة : « يا أمير المؤمنين ! إن هذا سيلبغنا المقبل »^(٢) .

(١) طبقات ابن سعد (١١٣/٣) .

(٢) الإصابة (١٢/٤) وأسداً ثابة (٨٦/٣) وللليل : النوم عند الظهيرة ، وفي رواية أن عمر قال : « انصب بنا إلى منزلك يا أبا عبيدة » ، فقال له : « وما تصنع عندي يا أمير المؤمنين ؟ ما تريد إلا أن تصرعنيك علي ! » . ودخل عمر فلم ير في البيت شيئاً ، فقال : « فأين متاعك ؟ لا أرى إلا ليداً وصفحة وشنأ — الشن القرية الخلق — وأنت أمير ! أعندك طعام ؟ فقام أبو عبيدة إلى جوة — الجوة هي سعة مستديرة — فأخذ منها كيرات ، فبكى عمر ، فقال له أبو عبيدة : « قلت لك انك ستصرع عنيك علي يا أمير المؤمنين !! يكفيك من الزاد ما يملكك الحل » فقال عمر : « غيرتنا الدنيا كلنا غيرك يا أبا عبيدة !! » .

٣ - وكان على جانب عظيم من الورع والتقوى والإخلاص لعبيده ، فقد قتل أباه يوم (بدر) لأن العقائد فرت بينهما ففصلت بينهما السيوف ، وهو الذي قال لعمرو حين أراد الرجوع من حيث أتى لما علم بانتشار وباء الطاعون في أرض الشام : « أتعز من قدر الله ؟ » فقال عمر : « لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ! نعم نقر من قدر الله تعالى إلى قدر الله تعالى » وذلك دل على جلالته قدر أبي عبيدة عند عمرو ^(١) . ولما حضرته الوفاة قال : « خفر الله لعمرو بن الخطاب رجوعه من (سرغ) » ^(٢) ، ثم قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : المطعون شهيد ، والبطون شهيد ، والغريق شهيد ، والحرقي شهيد ، والمهدم شهيد ، والمرأة غوت يجمع شهيدة ، وذات الجنب شهيدة » ^(٣) ؛ لذلك حرص أبو عبيدة على أن يصاب بالطاعون لينال شرف الشهادة ؛ فقد كان معافى وأهله من الطاعون ، فقال : « اللهم نصيبك في آل عبيدة » فخرجت بأبي عبيدة في خنصره بثرة فجعل ينظر إليها ، فقليل له : إنها ليست بشيء ، فقال : « إني لأرجو أن يبارك الله فيها ، فإنه إذا بارك في القليل كان كثيراً » ^(٤) .

وأراد عمرو بن الخطاب أن يستخرج أبا عبيدة من منطقة الوباء بعد اشتداده ، فكتب إليه : « سلام عليك . أما بعد . فقد عرضت لي إليك حاجة أريد أن

(١) الإصابة (١١/٤) .

(٢) سرغ : هو أدل الحجاز وآخر الشام بين الميثة وتبوك من منازل حاج الشام ، وفيها لقي عمرو بن الخطاب أمراء الأجناد ، بينها وبين المدينة ثلاث عشرة مرحلة ، وهناك أيضاً لقي عمرو من أخبره بطاعون الشام ، فرجع إلى المدينة . راجع التفاصيل في مسجم البلدان (٧٠/٥) .

(٣) طبقات ابن سعد (٤١٤/٣) .

(٤) أسد الغابة (٨٦/٣) .

أشانهك فيها ، فمزمت عليك إذا أنت نظرت في كتابي هذا ، ألا ترضه من يدك حتى تقبل ، فعرف أبو عبيدة ما أراد عمر ، فكتب إليه : « يا أمير المؤمنين . قد عرفت حاجتك إلي ، وإني في جند من المسلمين لا أجد بنفسي رغبة عنك ، فليست أريد فراقك حتى يقضي الله في وحيه أمره وقضاءه ، فغني من عزيمتك » ، فلما قرأ عمر هذا الكتاب بكى ، فقال الناس : يا أمير المؤمنين ! ألمات أبو عبيدة ؟ فقال : « لا ، وكأن قد »^(١) ، وفعلًا مات أبو عبيدة بالطاعون سنة ثمان وخمسة للهجرة (٦٣٩ م) في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو ابن ثمان وخمسين سنة^(٢) ، أي أنه ولد سنة أربعين قبل الهجرة (٥٨٤ م) وقبره (بعمواس)^(٣) وهو من الرملة على أربعة أميال مما يلي بيت المقدس^(٤) ، وفي رواية أن قبره في (فحل) من أرض الأردن ، إذا انطلق يريد الصلاة بيت المقدس ، فأدركه أجله (بفحل) فتوفي فيها ، ويقال إن قبره . (بيسان)^(٥) ، وأرجح أن يكون قبره

(١) ابن الأثير (٢١٦/٢) .

(٢) طبقات ابن سعد (٤١٤/٣ - ٤١٥) و (٣٨٥/٧) وابن الأثير (٢١٦/٢) ومعجم البلدان (٢٢٦/٦) والإصابة (١٣/٤) وأسد النجابة (٨٦/٣) والاستيعاب (٧٩٤/٢) .

(٣) عمواس : هي كورة من فلسطين بالقرب من بيت المقدس ، وهي على ستة أميال من الرملة على طريق بيت المقدس . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢٢٥/٦) .

(٤) طبقات ابن سعد (٤١٥/٣) و (٣٨٥/٧) .

(٥) الإصابة (١٣/٤) وأسد النجابة (٨٦/٢) ، وقد جاء في الصفحة (٢٧٦) من

المجلد الأول من دائرة المعارف الإسلامية : « أن أبا عبيدة توفي بالطاعون عام ١٨ هـ في (أمواس) وأن قبره بجوار الجراح بدمشق » .

والحقيقة أن أبا عبيدة توفي بالطاعون الذي ينسب إلى عمواس (لا أمواس كما ترجمت خطأ) وقد تنفى هذا الرواية في أرض الشام فأتى به خلق كثير منهم أبو عبيدة . وهناك قبر ينسب إلى أبي عبيدة في غور الأردن ، روى شريحه في عهد السلطان بيبرس كما جاء في الكتابة المنقوشة عليه ، وعند صورة عنها :

في (عمواس) لأن أكثر المصادر وأوثقها تؤيد ذلك . . . فلم تنو فجيعة بين المسلمين بعد فجيعة رسول الله ﷺ وأبي بكر الصديق أحد وقفا عليهم ولا أكثر حزناً لهم من فجيعة بيضاء الرجل الصادق الأمين . قال معاذ بن جبل^(١) ييكبه : « إنكم فجعتم رجلاً ما أزعج الله أني رأيت من عباد الله قط أقل حمداً ولا أير صدراً ولا أبعد غائلة ولا أشد حياء للعاقبة ولا أنصح لعامة منه ؛ فترحموا عليه^(٢) .

بسم الله الرحمن الرحيم

« وأمر بانشاء هذه القبة المباركة على ضريح أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه مولاة السلطان الأعظم سيد ملوك العرب والفرج ، ركن الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين أبو الفتح يبرس بن عبد الله قهر أمير المؤمنين خذ الله ملكه ابتداء مرضاة الله ورسوله مما وقفه عليه وحبسه من نصف مناصفات دير عمل توفين من حسن من عمل حسن الأكراد المحروس تحيياً مؤيداً دائماً ، أثاب الله واقفه بنبوده وكرمه يوم يحزي الله للتصدقين ولا يضم أجرا الحسين . وذلك بنظر الأمير الأعز الأجل الكبير ناله قاصر الدين الجاشنكلي الظاهري السدي قائب مملكة عجلون المحروسة في ذي الحجة سنة ستائة وسبعة وخمسون ، انظر العدد (١٣٩) الصادر في ٨ ذي الحجة سنة ١٣٥٤ - ٢ آذار ١٩٣٦ م (٣٥٩) من مجلة الرسالة المصرية .

(١) معاذ بن جبل الأنصاري الخزرجي : يكنى أبا عبد الرحمن ، وكان طوالاً حسن الشعر عظيم العينين أبيض براق الثياب . وهو أحد السبعين الذين شهدوا الحجة من الأنصار .

وآخر رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين عبد الله بن مسعود . شهد القبة وبدراً والشاهد كلها وبثه الرسول قاضياً إلى الجند من اليمن يعلم الناس القرآن وفرائع الإسلام ويغضي بينهم ، وجعل إليه قبض الصدقات من الثمال الذين باليمن .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معاذ : « أعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل » وقال عنه : « يأتي معاذ بن جبل يوم القيامة أسلم الطلاء » .

شهد النيموك وأكثر معارك فتح الشام وتوفي بناحية الأردن في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة وهو ابن ثمان وثلاثين سنة وليس له عقب . راجع طبقات ابن سعد (٥٨٣/٣) و (٣٨٧/٧) والاصابة ١٠٦/٦) وأسد الثابة (٣٧٦/٤)

والاستيعاب (١٤٠٢٣) .

(٢) الاصابة (١٢/٤ - ١٣) .

لقد كان أبو عبيدة معروفاً بسلامة الدين وقوة اليقين واخلق المتين ، فكان رجلاً ليناً سهلاً هيناً عليه أمر الدنيا ^(١) حسن الخلق متبعاً لأمر رسول الله ﷺ ^(٢) ولا أمر خلفائه من بعده ، وعلى شدة ورعه كان يقول : « والله ما منكم أحد يفضلني بتي ، إلا وددت أني بسلامة » ^(٣) . ولم يكف بإتقائه كل ماله في سبيل الله بل كان يتمنى أن يكون كبشاً يذبحه أهله ، فكان يقول : « وددت أني كبش فذبحني أهلي فذكروا لي وحسوا سرتي » ^(٤) ، وهذا متعنى نكران الذات والتخلي عن أهواء النفس الأمارة بالسوء .

ولم يكن يضي من أجل أهله فقط ، بل كان يضي من أجل المسلمين كافة ، فالمسلمون كلهم إخوته ، لأن المؤمنين اخوة ، ففي عام الرمادة حين أصاب الناس مجاعة وجذب وفحط ، كتب عمر إلى أمراء الأمصار يستغيثهم لأهل المدينة ومن حولها ويستمدهم ، فكان أول من قدم عليه أبو عبيدة بأربعة آلاف راحلة من طعام ، فولاه عمر قسمتها فيمن حول المدينة ، فقسمها ^(٥) ورجع إليه ، فأمر له عمر بأربعة آلاف درهم ، فقال : « لا حاجة لي فيها يا أمير المؤمنين ، إنما أردت الله وما قبله ، فلا تدخل علي الدنيا » ، فقال عمر : « خذها ، فلا بأس بذلك إذا لم تطلبه ! » فأبى ، فقال عمر : « خذها ، فاني قد وليت لرسول الله ﷺ مثل

(١) سيرة ابن هشام (٢٩٩/٤) .

(٢) الاصابة (١٢/٤) .

(٣) الاصابة (١٢/٤) وفي طبقات ابن سعد (٤١٢/٣) : « يا أيها الناس ! إني امرؤ من قريش ، وما منكم من أحد أحر ولا أسود يفضلني بقوى الله إلا وددت أني في سبيله » .

(٤) أسد الغابة (٨٦/٣) وطبقات ابن سعد (٤١٣/٣) .

(٥) الطبري (١٩٣/٣) وابن الأثير (٢١٥/٢) .

— ذلك اليوم الذي لم يثبت فيه إلا أنشجع الشجمان ؛ كما كان ذا عقيدة من الطراز الأول يستهين بالأخطار في سبيل عقيدته ، وكان ذا عقلية متزنة وذكا ، وقاد لما أثر مهم في اعداده خططه العسكرية الصحيحة ، وكان موضع ثقة الناس وحبهم إلى درجة الافتتان بجزاياه الخلقية والعقدية وكان يساوي نفسه برجال بل يستأثر دونهم بالأخطار : « إني في جند من المسلمين لا أجد بنفسي رغبة عنهم فليست أريد فراقهم حتى يقضي الله فيّ وفيهم أمره وقضاه »^(١) ، وهو ما كتبه إلى عمر بن الخطاب حين أراد عمر أن يستخرجه من منطقة الرباء .

لقد كان أبو عبيدة قائداً مكثاً ، والحرب لا يملحها إلا الرجل المكث كما كان يقول عمر بن الخطاب^(٢) ، وكان قائداً (متعباً) يتأق الأوامر وينفذها بكل أمانة وإخلاص ؛ وقد بقي بعد معركة اليرموك في موضعه لا يبرحه حتى يأتيه رأي عمر وأمره^(٣) ؛ وهذا دليل على شدة ضبط أبي عبيدة وإيمانه بضرورة إطاعة مرجعه الأعلى .

ولعلّ هناك من يأخذ على أبي عبيدة قريضة الشدبد قبل الإقدام على خوض معركة من معاركه ، والحق أن هذا التريث كان موضع نقد كثير من المتدفعين التحسين في جيشه ؛ فقد بلغ معاذ بن جبل أن بعض أهل الشام استهجز أبا عبيدة أيام حصار دمشق ورجع خالد بن الوليد ، فنصب معاذ وقال : « أبائي عبيدة 'يظن ؟ ! والله إنه إن خير من يمشي على الأرض' »^(٤) . وسمع معاذ رجلاً يقول :

(١) ابن الأثير (٢١٦/٢) .

(٢) الطبري (٦٣١/٢) .

(٣) الطبري (٥٩٩/٢) .

(٤) الإصابة (١٢/٤) .

« لو كان خالد بن الوليد ، ما كان البأس ذو كَوْن » ، وذلك في أيام حصر أبي عبيدة بجمص ، فقال معاذ : « فإني أرى عبيدة تضطر الهجرة ؟ ! لا أبالك ؟ ! والله إنه لمن خير من على الأرض »^(١) . وهذا يدل على مبلغ ثقة كبار الصحابة بقيادة أبي عبيدة وسدة اعتمادهم عليه .

لقد كان من القادة الذين يستشيرون رجالهم في كل خطوة بخطوتها ، وعندما تحشد الروم لاستعادة أرض الشام ، استشار أصحابه ، فأشار عليه الأكثرية بقبول الحصار في (جمص) ، أما خالد بن الوليد فأشار عليه بالهجوم على جموع الروم ؛ ولكن أبا عبيدة أخذ رأي الأكثرية فاستمد عمر بن الخطاب وأخبره بالموقف الراهن . وكان بعيد النظر ، يدخل في حساب أسوأ الاحتمالات ، لذلك شجى التواحي المحزنة^(٢) بالرجال للدفاع عنها عند الحاجة ريثما تردم الإمدادات وبهذه التدابير الاحتياطية لم يستطع العدو في أيامه استعادة أي موقع فتحه المسلمون .

وإذا كان الإيمان بالقضاء والقدر عاملاً من عوامل انتصار المسلمين ، فقد كان أبو عبيدة مثلاً شخصياً رائداً لرجاله في إيمانه العميق بالقضاء والقدر ، وكم كان مهيئاً مؤثراً في نفوس رجاله حين كان يتجول في معسكراتهم وهو يقول : « أَلَا رَبُّ مَبِيعُ لِيَابِهِ وَهُوَ مَدْتَسُ لِدَيْتِهِ ! أَلَا رَبُّ مَكْرَمُ لِنَفْسِهِ وَهُوَ لِمَا مَهِنُ غَدَاً ! إِدْفَعُوا السَّيِّئَاتِ الْقَدِيمَاتِ بِأَخْسَابِ الْحَادِثَاتِ ... » .

وهو بالإضافة إلى ذلك ، كان صحيح القرار غير متسرع في إمداره ، ذا إرادة قوية نافذة ونفسية لا تتبدل في حالي النصر والاندحار وشخصية نافذة قوية وقابلية بدنية ممتازة ، يثق برجاله ويشقون به ويحجمهم ويحبرونه ، وله ماضٍ ناصع مجيد .

(١) طبقات ابن سعد (٤١٤/٣) .

(٢) ابن الأثير (١٩٢/٢) .

هذه الأسباب أمره أن يرسوئ القائد في حياته على بعض سرايا المسلمين في ثلاث غزوات كان أبو بكر الصديق وعمر الفاروق من بين جنوده في بعض تلك الغزوات ، فنجح أبو عبيدة في قبادته نجاحاً باهرًا ، لذلك حرص كل من الشينين غاية الحرص على توليته مقاليد القيادة في أيامها ، بل رشحاه بكل جدارة لتسلم مقاليد الخلافة ، واختلiffe حينذاك هو القائد الأعلى لقوات المسلمين .

لقد كانت لأبي عبيدة فكرة مرقية (استراتيجية) متنازة ، فقد بعث بعض القوات لشاغلة قوات الروم في (الحقل) بينما حاصر هو دمشق حتى فتحها ثم قصد (فحن) بقواته كلها ، وبولا ذلك نكان من المحتمل أن تتعاون القواتان المعاديتان في فحن ودمشق على مقاومة المسلمين في وقت واحد وفي مكان واحد .

كما أرسل خالدًا على رأس جيش لضرب الجيش الرومي الذي كان متوجهًا إلى دمشق مما أدى إلى فشل هذا الجيش في مهمته ، لأنه أصبح يقاتل في جبهتين في آن واحد : من الأمام يقاتل جيش يزيد بن أبي سفيان ، ومن الخلف يقاتل جيش خالد ابن الوليد .

وكان في أعماله الحربية يطبق مبدأ (المباغتة) كما فعل في معركة اللاذقية ، ويعمل على (اختيار مقصده وإدراكه) ويذل أقصى جهده لإكمال (تحشيد قواته) قبل المعركة ، ولكنه كان (يقتصد بالجهود) ولا يسرف في استخدام قطعات كبيرة بدون مبرر ، ولا يعطاء خسائر كثيرة دون جدوى ، وذلك لأنه كان يحرص على استكمال متطلبات (الأمن) لقطعاته حتى تستطيع العمل (بمرونة) : (تعاون) ، كما كان (يديم منبريات) رجاله ويؤمن لها جميع (الأمور الإدارية) .

تلك هي مزاياه قائدًا ، وهذه هي مبادئ الحرب التي كان يطبقها في معاركه ، كل ذلك أدى إلى نجاحه في معاركه التي خاضها ، وهي معارك (استثمار الفوز) ،

أو معارك (التطهير) التي تكون عادة بعد المعارك الحاسمة ؛ فقد فضل التحني عن القيادة العامة في معركة اليرموك الحاسمة ، فاستمدَّ أبا بكر ، فأمدّه بخالد بن الوليد قائلاً : « خالدها » ؛ فقاد خالد المسلمين إلى النصر المبين في معركة اليرموك بفضل اندفاعه ومجازفته وسرعة قراراته وسرعة حركته واستخدامه أساليب جديدة في القتال ؛ ولكن أبا عبيدة عاد إلى تولي القيادة العامة بعد اليرموك ، تخاض معارك استثنى الفوز بنجاح باهر بكاد يعتبر فوزاً عسكرياً إذا أدخلنا في حسابنا تفوق الروم الساحق على المسلمين ، وسرعة انجاز الفتح ، وقلة الخسائر بالأرواح التي ضحى بها المسلمون من أجل فتح بلاد الشام كلها .

لقد جاهد أبو عبيدة في سبيل الله أعظم الجهاد ، وبني مجاهد إلى آخر لحظة من حياته ، نكط صريعاً بالطاعون ، ولم يسقط من يده السيف .

أبو عبيدة في التاريخ :

بذكر التاريخ لأبي عبيدة جهاده الطويل لإعلاء كلمة الله بسيفه ولسانه في عهد الرسول ﷺ ، فكان موضع ثقة النبي ورضاء وإعجابه الشديد بخلقه الكريم وجهاده العظيم وإخلاصه لله ولرسوله .

وبذكر له موقفه الرائع في سقيفة بني ساعدة ، ذلك الموقف الذي كان من عوامل جمع شمل المسلمين ووحدة صفوفهم وعدم تفرقهم بعد النبي ﷺ .

وبذكر له فتحه أرض الشام : سورية ولبنان وفلسطين والأردن ، تلك المنطقة التي أمدت المسلمين بسبل جارف من المجاهدين بسيوفهم وبسبل جارف من المجاهدين بأفلامهم .

وكأنني بأبي عبيدة ينادي من وراء القيب : هل فتحنا فلسطين ليسلمها أبناءنا لليهود ؟ واحسرتاه ! وأصفاه !! .

وربما كان لأبي عبيدة من ينافه في مزايا قيادته ، ولكن لا أحد في
الصعابة ينافه في مزايا خلقه ، فقد كان فريداً في خلقه القويم بشهادة
رسول الله ﷺ .

ويذكر التاريخ له أنه كان أحد العشرة السابقين للإسلام وأحد العشرة
المبشرين بالجنة ؛ وأنه لم يمش لنفسه بقدر ما عاش للناس ، فرض الجهاد على نفسه ،
فلم يكن يستطيع منه خلاصاً ، فعاش مجاهداً ومات مجاهداً ، ولم يختاره الله
لجواره إلا بعد أن أبى اسمه على كل لسان وفي كل قلب : رمزاً للجهاد الصادق
والإيمان العميق والخلق العظيم .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، الحدث الفقيه ، المؤمن الصادق ، القوي
الأمين ، المجاهد الشهيد ، القائد الفاتح ، أبي عبيدة بن الجراح .

محمود شيت خطاب

الاصطلاحات الفلسفية

- ١٩ -

الحذف

في الفرنسية Élimination

في الانكليزية Elimination

حذف الشيء اسقاطه من الحساب ، وهو أن تستبدل بجملة من المعادلات جملة ثانية مساوية لها ، ولازمة عنها ، بحيث يؤدي ذلك إلى اسقاط مجهول واحد أو عدد من المجاهيل الموجودة في الجملة الأولى .
ويطلق الحذف في المنطق (اللوغاريتمي) على اسقاط الحدود الوسطى من القياس ، أما في أصول العلوم فيطلق على اسقاط جميع الفرضيات التي لا يسمع العقل أو التجربة بقبولها ، وأما في الاصطفاة الطبيعي فهو اضمحلال الاحياء التي لا تؤالف شروط البيئة .

الحركة

Motus, Motio

في اللاتينية

Mouvement

في الفرنسية

في الانكليزية Move, motion, movement.

أ - الحركة ضد السكون ولها عند القدماء عدة تعريفات ، وهي :

١ - الحركة هي اخراج من القوة إلى الفعل على سبيل التدريب ، ومعنى

التدريب هو وقوع الشيء في زمان بعد زمان .

- ٣ - الحركة هي شغل الشيء حيثراً بعد أن كان في حيز آخر ، أو هي كونان في آئين ومكانين ، بخلاف السكون الذي هو كونان في آئين ، مكان واحد .
- ٣ - الحركة كمال أول لما بالقوة من جهة ما هو بالقوة (ابن سينا ، رسالة الحدود) .
- ٤ - وتقال الحركة « على تبدل حالة قارة في الجسم يسيراً يسيراً على سبيل اتجاه نحو شيء ، وانوصول بها اليه هو بالقوة لا بالفعل » (ابن سينا ، انتباه ٤ ص : ١٦٩) .

والحركة عند القدماء أقسام مختلفة ، وهي :

- ١ - الحركة في الكم ، وهي انتقال الجسم من كمية إلى أخرى كالنحر والذهبول .
- ٢ - الحركة في الكيف ، وهي انتقال الجسم من كيفية إلى أخرى كتسخن الماء وتبرده ، وتسمى استخالة . والحركة الكيفية النفسانية هي حركة النفس في المعقولات ، وتسمى فكراً ، أو حركتها في المحسوسات وتسمى تخيلاً .
- ٣ - الحركة في الآئين ، وهي حركة الجسم من مكان إلى آخر ، وتسمى قلة ، والمنكمون إذا أطلقوا الحركة أرادوا بها الحركة الأينية فقط .
- ٤ - الحركة في الوضع ، وهي الحركة المستديرة التي ينتقل بها الجسم من وضع إلى آخر ، كما في حركة حجر الرما ، أو حركة الكرة في مكانها .
- ٥ - الحركة العرضية ، وهي التي يكون عرضها للجسم بواسطة عروضها الشيء آخر بالحقيقة ، كالجالس في السفينة ، فإنه لا يوصف بالحركة إلا تبعاً لحركة شيء آخر .
- ٦ - الحركة الذاتية ، وهي التي يكون عرضها لذات الجسم نفسه ، ولها ثلاثة أنواع : (الأول) هو الحركة انفسية ، وهي التي يكون مبدؤها مستفاداً من غيرها ، كالبحر المرمي إلى فوق . (الثاني) هو الحركة الارادية ، وهي التي يكون مبدؤها في الشيء المتحرك نفسه مع شعوره بأنه مبدأ تلك الحركة ،

حركة الحى بإرادته . قال ابن سينا : « أما الحركة الإرادية فإن ههنا أمور إرادية ، وإرادة ثابتة واحدة » (النجاة ، ص : ٢٩٣) . (والثالث) هو الحركة الطبيعية ، وهي التي لا تكون بسبب أمر خارج ، ولا تكون مع شعور وإرادة . حركة الحجر إلى أسفل . قال ابن سينا : « الحركة الطبيعية ، هي إلى حالة ملائمة عن حالة غير ملائمة » (النجاة ، ص : ٢٩٣) .

والحركة في اصطلاح الصوفية هي الشوك في سبيل الله تعالى .
(تنبيه) الحركة عند القدماء أعم من النقلة ، لوجود الحركة بدونها فيمن بدور في مكانه ، والنقلة أعم من المشي ، لتحقيقها بدونه فيمن زحف ودب ، وإذا سمي الزحف مشياً كما في قوله تعالى : (فمنهم من يمشي على بطنه) ، فمرد ذلك إلى الاستعارة والمشاكلة .

ب — وتطلق الحركة في الفلسفة الحديثة على المعاني الآتية :

١ — الحركة هي تغير الجسم في المكان تبعاً للزمان تغيراً متصلاً ، فلكل حركة اذن زمان ، لأن الجسم لا يشغل مكانين في زمان واحد ، ولها سرعة لأن السرعة هي النسبة بين المسافة التي يقطعها المتحرك والزمان اللازم لقطعها ، ومبدأ كمية الحركة هو جداء الكتلة (ك) في السرعة (س) . وقد زعم (ديكارت) ان هذه الكمية ثابتة لا تزيد ولا تنقص ، إلا ان (لينيز) صحح ذلك فقال : الثابت الذي لا يزيد ولا ينقص في الكون هو كمية القدرة (ك س^٢) لا كمية الحركة (ك س) ، والأفضل أن يرصد في الحساب إلى مبدأ كمية القدرة بالتصغير الجبري ($\frac{1}{2} ك س^2$) ، ويسمى ذلك بالقوة الحية .

٢ — والفلاسفة المحدثون يفرقون بين الحركة الإضافية أو النسبية ، وهي الحركة التي بتغير بها بعد التحرك عن جملة قد تكون هي نفسها متحركة أيضاً

حركة المائي على ظهر السفينة ، والحركة المطلقة ، وهي تغير بعد التحرك عن نقطة أو عن عدة نقاط ثابتة ، كحركة الجسم في الاثير .

٣ - وتطلق الحركة مجازاً على حركة النفس في الاتصالات واليول . قال (بوسويه) : تسمى هذه الشهوات أو هذا الكره والنفور حركة للنفس ، لا من جهة تأثيرها في انتقال النفس من مكان إلى آخر كما ينتقل الجسم ، بل من جهة تأثيرها في اتحاد النفس بالأشياء أو انفصالها عنها .

٤ - وقد أطلق (اوغوست كونت) لفظ الحركة على التغير الجمعي في الأفكار والآراء والنزعات ، وعلى تغير التنظيم الاجتماعي ، مثال ذلك بحثه في قوانين الحراك أو التحريك الاجتماعي (Dynamique sociale) .

٥ - ويطلق لفظ الحركة أيضاً على حركة النفس في التصورات . من قيل ذلك الحركة الجدلية (Mouvement dialectique) ، وهي انتقال الذهن من تصور إلى آخر بحسب المشاركة أو التضامن أو التقابل .

ج - والحركي (أو الحراكي) (Dynamique) هو المنسوب إلى الحركة وهو ضد السكوني (Statique) ، وضد الآلي (Mécanique) (راجع هذين اللفظين) .

د - والتحريكي (La dynamique) باب من علم الميكانيكا يبحث في الحركات المادية وخصائصها (ولا سيما في القوة الحية Force vive) ، وفي علاقة القوى بالحركة بالأجسام المتحركة . ويقسم علم الميكانيكا أو علم الحيل ثلاثة أقسام : السكوني (La statique) ، وهو علم توازن الأجسام الساكنة ، والحركي (Cinématique) وهو علم الحركات المجردة عن أسباب حدوثها ، والتحريكي . وقد أطلق (هيربارت) لفظ السكوني على علاقة الحالات الشعورية بعضها ببعض .

في حال سكونها ، والتحريري على علاقتها بعضها ببعض في حال تبدلها وتغيرها .
وعلم الاجتماع السكوني عند (اوغوست كونت) و (سبنسر) يبحث في توازن
الجماعات ، أما علم الاجتماع الحركي فيبحث في تطور الجماعات وتقدمها .

هـ - والحركية (Dynamisme) ضد الآلية ، وهي مذهب من يقرر
أن مبادئ الأتية قوى لا تفعل إلى كئنا ، ومن هذا القبيل حركية
(ليبنيز) المقابلة لآلية (ديكارت) ، وحركية أيضا مذهب من يرى أن
الحركة أولية ، كمذهب النورد كلفن (Kelvin) الذي يعرف المادة ببعض
خصائصها الحركية .

و - والاحساس الحركي (kinesthésique) هو الاحساس بحركات الأعضاء
وتبدلاتها الداخلية ، (راجع لفظ الاحساس) .

ز - ويطلق اصطلاح مولد الحركة (Dynamogene) على الاحساسات ،
أو العواطف ، أو الأفكار التي تزيد في القوة الحية أو في قوة التحريك .

الحرية

Libertas في اللاتينية

Liberté في الفرنسية

Liberty, freedom في الانكليزية

الحر ضد العبد ، والحر : الكرى والخالص من الشوائب ، والحر من الأتية .
أنفلا ومن القول أو الفعل أحسنه . تقول حر العبد حراراً خالص من الرق ،
وحر فلان حرية كان حر الأصل . فالحرية هي الخلو من الشوائب ، أو الرق ،
أو اللوم ، فإذا أطلقت على الخلو من شوائب دللت على صفة مادية ، يقال :

ذهب حر لا نحاس فيه ، وإذا أطلقت على الخوص من الرق دلت على صفة اجتماعية ، يقال : رجل حر أي ضليق من كثر قيد سيامي أو اجتماعي ، وإذا أطلقت على الخوص من الثوم دلت على صفة نفسية ، تقول : رجل حر أي كريم لا تقبض فيه . وعلى ذلك فالحرية تجبيء على ثلاثة معان :

١ - المعنى العام - الحرية خاصة الوجود ، الخالص من القيود ، العامل بإرادته أو طبيعته . من قبيل ذلك قولهم : تظهر حرية الجسم الساقط في هبوطه إلى مركز الأرض وفقاً لطبيعته بسرعة متناسبة مع الزمان ، إلا إذا صادف في طريقه عائقاً غير تلقائيته وطوعيته ، وكذلك وظائف الحياة النباتية أو الحيوانية ، إذا لم يمتها عن التيام بمحليها الطبيعي مانع خارجي ، قبل انها حررة . وإذا اطلق هذا المعنى على أفعال الانسان دل على الحرية المادية ، يقال ليس للمريض والسجين حرية ، لأنها لا يستطيعان أن يفعلوا ما يريدان .

٢ - المعنى السيامي والاجتماعي - الحرية بهذا المعنى قسمان : الحرية النسبية

والحرية المطلقة .

أ - أما الحرية النسبية فهي الخوص من القسر والإكراه الاجتماعي ، والحر هو الذي يأتمر بما أمر به القانون ويمتنع عما نهى عنه . من قبيل ذلك ما جاء في المادة ١١ من اعلان حقوق الانسان لسنة ١٧٨٩ : إن حرية الإضراب عن الفكر والرأي أثمن حقوق الانسان ، ولكل مواطن الحق في حرية الكلام والكتابة والنشر على أن يكون مسؤولاً عن عمله في الحدود التي يعينها القانون . ومن قيل ذلك أيضاً ما جاء في المادة ٢٩ من الاعلان العالمي لحقوق الانسان : يخضع الفرد في ممارسة حقوقه وحرياته للقيود التي يعينها القانون . والتعرض من التقيد بالقانون ضمان الاعتراف بحقوق الغير ، واحترام حرياته ، وتحقيق ما يقتضيه

النظام العام من شروط عادلة . والحريات السياسية هي الحقوق المعترف بها في الدولة : حرية الفكر ، والرأي ، والضمير ، والدين ، والتعبير ، وحرية الاشتراك في الجمعيات ، وحرية الاسهام في إدارة شؤون الدولة مباشرة أو بواسطة ممثلين يختارهم المواطن اختياراً حراً .

ب — وأما الحرية المطلقة فهي حق الفرد في الاستقلال عن الجماعة التي انخرط في سلوكها . وليس المقصود بهذه الحرية حصول الاستقلال بالفعل ، بل المقصود منها الاقرار بهذا الاستقلال ، واستحسانه ، وتقديره ، واعتباره قيمة خلقية مطلقة . وفرقوا بين الحرية المدنية (*Liberté civile*) والحرية السياسية (*Liberté politique*) ، فقالوا : الحرية المدنية هي استمتاع الأفراد بحقوقهم المدنية في ظل القانون ، أما الحرية السياسية فهي استمتاع الأفراد بحقوقهم السياسية ، واشتراكهم في إدارة شؤون بلادهم مباشرة أو بواسطة ممثلهم ، وإذا أطلقت الحرية السياسية على الدولة نفسها دلّت على سيادتها واستقلالها .

٣ — المعنى النفسي والخلقي : أ — إذا كانت الحرية مضادة للاندفاع

اللاشعوري أو الجنون واللامسؤولية القانونية والخلقية دلّت على حالة شخص لا يعزم على الفعل إلا بعد التفكير فيه سواء كان ذلك الفعل خيراً أو شراً . فهو يعرف ما يريد ولم يريد ، ولا يفعل أمراً إلا وهو عالم بأسبابه . لذلك قيل : ان الحرية هي الحد الأقصى لاستقلال الإرادة ، العالمة بذاتها ، المدركة لغايتها . وقيل أيضاً : الحرية هي علية النفس العاقلة . ومعنى ذلك ان الفاعل الحر هو الذي يقيد نفسه بعقله وإرادته ، ويعرف كيف يستعمل مالهديه من طاقة ، وكيف يتنبأ بالنتائج ، وكيف يقرنها بعضها ببعض أو يحكم عليها ، فحرية ليست مجردة من كل قيد ، ولا هي غير متناهية ، بل هي تابعة لشروط متغيرة توجب تحديدها وتخصيصها . ونسبى هذه الحرية بالحرية الأدبية أو الخلقية .

منك ولا تراه ، والرنة ، والنشر ، ويرد يحرق الزرع والكلاء ، ووجع يصيب المرأة عند الولادة ، ومسى الخى أدل ما تبدأ .

٢ - والحس عند جمهور الفلاسفة هو الإدراك بأحدى الحواس ، أو الفعل الذي تؤديه إحدى الحواس ، أو الوظيفة النفسية الفيزيولوجية التي تدرك أنواعاً مختلفة من الاحساس ، تقول : الحس المسمى ، والحس البصري . الخ . . . والفرق بين الحس والاحساس ان الأول قوة أو ملكة ، على حين ان الثاني ظاهرة لا غير (راجع لفظ احساس) . أما الحاسة فهي قوة طبيعية لها اتصال بأجهزة عضوية ، بها يدرك الانسان أو الحيوان ما يطرأ على جسمه من التغيرات .

٣ - والحواس عند (أرسطو) هي المشاعر الخمس ، وهي البصر والسمع واللمس والذوق والشم ، وتسمى الحواس الظاهرة . والافتصار على هذه الخمس مبني على أن أهل اللغة لا يعرفون إلا الحواس الظاهرة ، أما العلماء فانهم يثبتون وجود حواس أخرى تؤدي أفعالا متباينة لكل منها جهاز عصبي خاص كحاسة الحركة ، وحاسة الألم ، وحاسة الحرارة والبرودة ، وحاسة التوازن ، وحاسة الحياة (أعني الحس الداخلي الذي تطلع به على التبدلات العضوية الباطنة) . (راجع الألفاظ الآتية : الاحساس ، الألم ، الحركي ، التوازن ، العضلي ، المنفلي) .

والحواس الخمس الباطنة عند فلاسفة العرب هي الحس المشترك ، والخيال ، والروم ، والحافظة ، والمتصرف ، وهي قوى باطنة تقبل الصور المتأدية اليها من الحواس الظاهرة ، فتجمعها ، وتحفظها ، وتنصرف فيها .

قال ابن سينا : « وأما القوى المدركة من باطن فبعضها قوى تدرك صور المحسوسات ، وبعضها قوى تدرك معاني المحسوسات » (الشفاء ١ ، ٢٩٠ ، والنجاة ٢٦٤) ، ومدرك الصور هو الحس المشترك ، وحافظها الخيال ، ومدرك المعاني

هو الوهم ، وحافظها الذاكرة . - أما انتصرفة فهي التي تتركب هذه المعاني ، وتنضجها ، وتنظمها .

٤ - ويطلق الحس عند المحدثين على الإدراك الحسي المباشر ، كالإدراك بأحواس الظاهرة أو بالشعور النفسي . ويسمى هذا الشعور حساً باخناً ، أو حساً داخلياً ، وهو القوة التي بها تدرك النفس أحوالها .
ويطلق الحس أيضاً على إدراك بعض المعاني إدراكاً تلقائياً سهلاً كالسنانفي ، وهو مرادف للذوق .

٥ - ويحيى الحس أيضاً بمعنى الحكم أو الرأي كقولنا الحس السليم (Bon sens) ، والمقصود بالحس السليم القوة التي بها نميز الحق من الباطل ، أو نقدر قيمة الشيء تقديراً عادلاً . وهو مرادف عند (ديكارت) للعقل . ويطلق الحس السليم أيضاً على الحكم الصحيح المصحوب بالرزاقة والحكمة والاعتدال في المسائل المشخصة التي لا تقبل الحل بالقياس العقلي الدقيق . ويقابله التسرع في الحكم ، والافراط في التخيل ، والتعصب في الرأي أو المذهب . من قيل ذلك قول (اوغست كونت) : قوام الروح الفلسفية الحق الأخذ بالحس السليم في جميع المسائل النظرية السهلة التداول ، وهو يسمى الحس السليم بالعقل المشترك (Raison commune) والحكمة الكلية (Sagesse universelle) ، وهو بالجملة ما ينصف به المرء من أحوال عقلية سوية ، بخلاف الجنون أو التعصب أو الأهواء الشديدة التي تفقد العقل اتزانه .

٦ - والحس المشترك (Sens commun) هو القوة التي ترسم فيها صور الجزئيات المحسوسة (تعريفات الجرجاني) ، أو « القوة النفسية التي تقبل بذاتها جميع الصور المنطبعة في العواس الحس متأدية اليه منها » (ابن سينا ، النجاة ، ص : ٢٦٥) .

وهذا المعنى المأخوذ عن أرسطو يجعل الحس المشترك حكا مركزيا يجمع ما تؤدّيه اليه الحواس الظاهرة . مثال ذلك اننا نحكم عند رؤية العسل بأنه حلو ، فلولا ان قوة واحدة اجتمع فيها حسان من حلالة ولون في شيء واحد لما حكمنا بأن العسل حلو ، وإن لم نحس في الوقت بحلاوته (ابن سينا ، عيون الحكمة ص : ٢٩) . قال بوسويه : « تعلمنا التجربة أن ما تؤدّيه الينا الحواس المختلفة لا يؤلف إلا شيئاً واحداً . . . وقوة النفس التي تجمع ما تؤدّيه الحواس تسمى بالحس المشترك » (Bossuet, Connaissance de Dieu et de soi - même, ch.1 - art. 4) وهو الذي به نحس اننا نرى ونسمع ، وهو الذي ينسق الاحساسات وينضدها ويركزها في الشيء . ويرى فلاسفة المدرسة الاسكوتلاندية والمدرسة التوفيقية ان الحس المشترك قاعدة الذهن ، وعماده الثابت ، وطبيعته الذاتية ، حتى لقد أطلق بعضهم اسم الحس المشترك على ما تشترك فيه عقول الناس من معان كلية ثابتة لا تتغير ، ومبادئ بديهية وأحكام أولية عفوية . وهذا الحس المشترك جزء من العقل لا العقل كله ، لأن العقل يحيط بالمبادئ البديهية والمعاني الكلية احاطة تامة دقيقة ، على حين ان الحس المشترك يكاد لا يرقى إلا إلى مجرد الشعور بها . أضف إلى ذلك ان العقل ينمو ويتقدم باستعمال الفكر والروية على حين ان الحس المشترك لا يتقدم ولا يتقهقر ، بل يبقى على حاله في كل زمان ومكان . فهو العقل النخام ، أو العقل الفريزي المتقدم على العقل المكتسب .

ويطلق الحس المشترك عند بعض المحدثين على الآراء التي بلغ انتشارها في زمان معين أو بيئة اجتماعية معينة درجة من الشمول تجعل الناس يعدون كل رأي يخالف انحرافا فرديا لا يحتاج إلى دحضه بالحجة .

٧ — والحس الخلقي (Sens moral) هو القوة التي تدرك الخير والشر ادراكا حدسيا مباشرا ، ويسمى ضميرا أو وجدانا خلقيا من جهة ما هو قادر

على التمييز والتقويم ، وأكثر استعمال هذا الاصطلاح في كتب الأخلاق (راجع كتاب : Hutcheson, Illustration on the moral sense) ، وهو مأخوذ عند فلاسفة الأخلاق البريطانيين والاسكتو تلانديين ، وعند اتو فيقيين من الفلاسفة الفرنسيين . وسبب تسمية الضمير بالحس الخلقى ان الإدراك به إدراك مباشر ومفاجيء ، كالإدراك الحسى ، فمن حرم هذا الحس الخلقى كانت أشبه بالأعمى الذي لا يدرك الألوان ، أو بالأصم الذي لا يدرك الأصوات ، لأنه يفعل الشر ولا يشعر بتأنيب الضمير ، ولا بالندم . لذلك فرقوا بين الحكم الخلقى (Jugement moral) والشعر الخلقى (أو العاطفة الخلقية) (Sentiment moral) ، والضمير الكامل عندهم مؤلف من ثلاثة عناصر : التصور ، والافتعال ، والفعل .

٨ - والحس هو المنسوب إلى الحس ، فهو عند المتكلمين ما يدرك بالحس الظاهر ، وعند الفلاسفة ما يدرك بالحس الظاهر أو الباطن ، والحس يسمى أيضاً محسوساً (Sensible) ، ويقابله العقلى ، والحساس هو أن يكون ذا حس (راجع احساس) .

والحسيات جمع الحسى ، وتسمى المحسوسات أيضاً ، وتطلق في القضايا على معنيين : (الأول) هو القضايا التي يجزم بها العقل بمجرد تصور طرفيها بواسطة الحس الظاهر أو الباطن ، وهي كلها أحكام جزئية حاصلة بمشاهدة نسبة المحمول إلى الموضوع ، فإذا كانت بواسطة الحس الظاهر سميت محسوسات ، وإذا كانت بواسطة الحس الباطن سميت وجدانيات . (والثاني) ما للحس مدخل فيه فيتناول التجريبيات والمتواترات ، وأحكام الروم في المحسوسات ، وبعض الحدسيات والمشاهدات ، وبعض الوجدانيات .

الحساب

في اللاتينية Arithmetica

في الفرنسية Arithmétique

في الانكليزية Arithmetic

الحساب في اللغة العدد ، والكثير الكافي ، قال تعالى : جزاء من ربك عطاء حساباً ، أي كافياً ، وقال : والله يرزق من يشاء بغير حساب ، أي بلا تقدير ولا تضييق ، ويوم الحساب يوم القيامة .

وعلم الحساب علم العدد ، وهو من أصول العلم الرياضي ، وله قسمان : (نظري) ، ويبحث في خواص الأعداد ونسبتها بعضها إلى بعض ، (عملي) ، ويبحث في طرق استخراج المجهولات من المعلومات العددية . ويسمى النظري بالارتماطيقي ، والعملي باللوغستيكي ، وعلم الحساب الكلي (Arithmétique universelle) عند (تيبوتون) هو علم العدد العام ، وموضوعه الأعداد الكسرية ، والأعداد الصم والمركبة . أما (الاريمتولوجيا) (Arithmologie) فهو الاسم الذي أطلقه (آمبر) سنة ١٨٣٤ على علم العدد العام والكم الغض ، وهو يشمل على الحساب وعلم الجبر ، وحساب التوابع ، وحساب الاحتمالات .

وحساب التكامل (Calcul intégral) قسم من حساب اللامتناهيات في الصفر ، تفرع به الكميات اللامتناهية في الصفر ، الواردة في حساب التفاضل (Calcul différentiel) للرجوع إلى الكميات المحدودة . وقد عرفوه بقولهم : هو علم تكامل التوابع ، أي تعيين توابع جديدة تقبل أن تكون التوابع الأولى مشتقات منها .

وحساب الجمل حساب الحروف الأيجدية .

الحسد والغيرة

Invidia, Zelus في اللاتينية

Envie, Jalousie في الفرنسية

Envy, Jealousy في الانكليزية

الحسد ان يرى الرجل لأخيه نعمة ، فيبتنى أن تزول عنه ، وتكون له دونه ،
وحقيقته شدة الأذى على الخيرات تكون للناس الأفاضل ، وهو غير النبط ، لأن
النبط أن يبتنى الرجل أن يكون له نعمة مثل أخيه ، ولا يبتنى زوالها عنه ، وغير
المنافسة ، لأن المنافسة طلب التشبه بالأفاضل من غير ادخال ضرر عليهم . والحسد
مصرف إلى الضرر . والفرق بين الحسد والغيرة (Jalousie) ان الغيرة حالة
انفعالية تدفع المرء إلى منع غيره من مشاركة في محبوبه ، تقول غار الرجل
على امرأته ، أي ثارت نفسه لابدائها زيفتها ومحاسنها لغيره ، ولا تصرافها عنه إلى
آخر ، وللعهد درجتان : احدهما أن يتولى زوال النعمة عن أخيه من غير أن
تصير تلك النعمة له ، والثانية أن يبتنى زوال نعمة المحسود ونحوها اليه .

ومن دواعي الحسد الحزن والأذى على الخيرات تكون لغيرنا من الناس ،
فنبغضهم ، ونخاف ان يؤدي استمتاعهم بتلك الخيرات إلى سلبها عنا ، أو نياس من
أن يتأتى لنا منها حظ كحظهم . واعلم انه بحسب فضل الانسان ، وجماله ، وكمال
وظهور النعمة عليه ، يكون حسد الناس له . فان أكثر فضله أكثر حساده ،
وان قل قلته ، لأن ظهور الفضل يثير الحسد ، وحدوث النعمة يضاعف
الكمد (راجع : أدب الدنيا والدين للماردي ، ص : ٢٣٣) .

الحصار

في اللاتينية Obsessio

في الفرنسية Obsession

في الانكليزية Obsession

حَصِير فلان يحَصِر حَصْرًا ، ضاق صدره . ويقال حَصِر القاريء عي في منطقته ولم يقدر على الكلام ، وحَصِر بالسر كتمه ، وحَصِر عن الشيء امتنع عنه عجزاً ، فهو حصور ، وأحصر فلاناً حبسه ، وحاصره محاصرة وحصاراً أحاط به ومنعه من الخروج من مكانه . والحصار الموضع الذي يحصر فيه الإنسان ، والحَصِر اثبات الحكم للذكور وتقيده عما سواه . وعند المناطقة كون القضية محصورة . والحَصِر العقلي الدائر بين الاثبات والنفي لا يجوز العقل فيما وراءه شيئاً آخر ، والحَصِر الضيق الصدر والسجين ، والحابس المانع من الحركة ، وفي كليات أبي البقاء : كل من امتنع من شيء لم يقدر عليه فقد حَصِر عنه . وقد اشتق المحدثون من هذا الفعل اسماً على وزن فُعَال ، وهو الحُصار ، فأطلقوه على التصور المحبوب بأحوال نفسية مؤلمة ، يستحوذ على عقل المرء فلا يستطيع التخلص منه ، وقريب منه الفكرة الثابتة (*Idée fixe*) والهوس ، وهو طرف من الجنون والوسواس ، وهو حديث النفس ، والمس ، وهو الجنون ، يقال به مس من الجنون كأن الجن مسته ، والفرق بين الحصار والفكرة الثابتة أن الحصار لا يفقد المرء شعوره بشدوده ولا يوجب انتقاله من التصور إلى الفعل دائماً .

الحفظ

في اللاتينية Conservatio

في الفرنسية Conservation

في الانكليزية Conservation

١ - حفظ الشيء صانه وحرمه ، وحفظ العلم والكلام ضبطه ووعاه ، وحفظ المال والسر وعاه ، وحفظ الشيء استظهره . والحفظ قبض النسيان ، وهو التعاهد وقلة الغفلة .

٢ - والحفظ عند علماء النفس وخليفة من وظائف الذاكرة ، وهو ضبط الصور المدركة (تعريفات الجرجاني) .

٣ - ومبدأ أحفظ الطاقة (Principe de la Conservation de l'énergie) عند علماء الفيزياء هو القول ان لكل منظومة من الأجسام طاقة ثابتة تبقى على حالها ان لم تؤثر فيها قوة ثانية .

٤ - والحفاظة عند فلاسفة العرب قوة تحفظ ما تدركه القوة الوهمية من المعاني الجزئية ، فهي خزانة الهم ، كما خيال للحس المشترك ، وتسمى أيضاً ذاكرة .

٥ - وحفظ العهد عند الصوفية هو الوقوف عند ما حده الله تعالى لعباده فلا يفقد حيث ما أمر ، ولا يوجب حيث ما نهى . وحفظ عهد الربوبية والعبودية هو ان لا تنسب كلاً إلا إلى الرب ، ولا قصصاً إلا إلى العبد .

٦ - والمحافظون (Conservateurs) هم الذين يقاومون التغير ، ويرون الابقاء على القديم ، لا اعتقادهم انه الطريق المستقيم الذي يجب اناس المخاطر ، ويحفظ أمنهم ، ويرعى استقرارهم ، ويحقق سعادتهم .

الحق

Verus, Jus في اللاتينية

Vrai, Droit في الفرنسية

True, Right في الانكليزية

الحق في اللغة الثابت الذي لا يسوغ إنكاره ، واليقين بعد الشك ، والواجب ،
والعدل ، والأمر المقتضي ، والمال والملك ، وصدق الحديث . وهو من أسماء
الله تعالى أو من صفاته .

١ - ويطلق الحق في الفلسفة العربية على الوجود في الأعيان أو على الوجود
الدائم ، أو على مطابقة الحكم للواقع ، ومطابقة الواقع له . أو على الواجب الوجود
بذاته ، أو على كل موجود خارجي ، فواجب الوجود بذاته هو الحق المطلق ، كما
ان يمتنع الوجود هو الباطل المطلق . والفرق بين الحق والصدق ان الحق هو
مطابقة الواقع للاعتقاد ، أو مطابقة الحكم للاعتقاد ، على حين ان الصدق هو
مطابقة الاعتقاد للواقع ، وتقيض الحق الباطل كما ان تقيض الصدق الكذب .
قال الجرجاني : الحق في اصطلاح أهل المعاني « هو الحكم المطابق للواقع »
يطلق على الأقوال والعقائد والأديان والمذاهب باعتبار اشتغالها على ذلك ، ويقابله
الباطل ، وأما الصدق فقد شاع في الأقوال خاصة ، ويقابله الكذب ، وقد يفرق
بينهما بأن المطابقة تمتد في الحق من جانب الواقع ، وفي الصدق من جانب الحكم .
فمعنى صدق الحكم مطابقته للواقع ، ومعنى حقيقته مطابقة الواقع إياه «
(التعريفات) ، والحق والباطل يستملان في المعتقدات ، أما الصدق والكذب

فيستعملان في المجتهديات . قال ابن سينا : « والغاية في الفلسفة النظرية معرفة الحق » ، وقال أيضاً : « أما الحق فيمنه منه الوجود في الأعيان مطلقاً ، ويفهم منه الوجود الدائم ، ويفهم منه حال القول والعقل الذي يدل على وجود الشيء في الخارج إذا كان مطابقاً له ، فنقول : هذا قول حق ، وهذا اعتقاد حق ، فيكون الواجب الوجود هو الحق بذاته دائماً ، والمحتمل الوجود حق بغيره باطل في نفسه » (الشفاء ٢ ، ص : ٣٠٦) . وحق اليقين « عبارة عن فناء العبد في الحق والبقاء به على وشهوداً وحالاً لا على فقط » .



٢ — ويطلق الحق (Vrai) في الفلسفة الحديثة على المعاني الآتية :

الأول هو مطابقة القول للواقع ، أو مطابقة الحكم للاعتقاد ، فنقول : هذا قول حق ، وهذا حكم حق ، وضده الباطل والكاذب والمتافض . وقريب من هذا المعنى قول (ديكارت) : « ان لا أتلقى شيئاً من الأشياء على أنه حق ما لم أتبين بالبداهة انه كذلك » (مقالة الطريقة ، ص : ٧٤ من ترجمتنا) .

والثاني هو الوجود حقيقة لا الموجود نوعاً ، مثال ذلك قول ديكارت : « وكنت إلى ذلك شديد الرغبة في ان أعلم كيف أميز الحق من الباطل ، لا أكون على بصيرة من أعمالي وأسير على أمن في حياتي » (مقالة الطريقة ، القسم الأول ص : ٦٦ من ترجمتنا) فالحق بهذا المعنى هو الموجود الثابت . من قبيل ذلك قولهم : من رأي فقد رأى الحق ، أي رأي حقيقة ، وقولهم : هذا ذهب حق ، أي ذهب خالص لا زيف فيه ، وإذا وصفت الانسان بالحق عنت بذلك اتصافه بالكلمات الخاصة به ، فنقول : هذا عبد الله الحق ، وهذا الشاعر الحق ، وهذا العالم حق العالم ، تريد بذلك التناهي وأنه قد بلغ الغاية فيما يوصف به من الخصال ،

ومتى استحق الموجود نعمًا مناسبًا لحاله كان إطلاقه عليه حقًا ، والطريق الحق هو الطريق الموصول إلى الغاية ، أما في علم الجمال فيطلق الحق على مطابقة الأثر الفني للمعنى الذي يمثله ، أو يعبر عنه ، تقول : هذا تصوير حق ، وهذا تعبير حق .

والثالث هو التصور السالم من التناقض أي الممكن في انعقذ ، مثال ذلك قول (ديكارت) : « فعلمت بأنني أستطيع أن أتخذ لنفسني قاعدة عامة توجب أن تكون الأشياء التي أتصورها تصورًا بالغ الوضوح والتميز حقًا كلها » (مقالة الطريقة ، القسم الرابع) .

☆ ☆ ☆

٣ — والحق (Droit) واحد الحق وله معنيان :

الأول هو ما كان فعله مطابقًا لقاعدة محكمة ، تقول : حق الأمر حقًا أي ثبت ووجب ، وحق على المرء أن يفعل كذا . وجب عليه ، وحق لك أن تفعل كذا أي كان فعله حقيقًا بك ، وكنت حقيقًا بفعله . وفي الحديث انه أعطى كل ذي حق حقه ولا وصية لوارث ، أي حظه ونصيبه الذي فرض له ، وفيه أيضًا ليلة الضيف حق ، فمن أصبح بفنائهم ضيف فهو عليه دين ، جعلها حقًا من طريق المعروف والمروءة . والحق يستدعي التنفيذ لأن القوانين والعقود تفرضه ، كقولنا : حق الدائن ، وحق العامل ، أو لأن الرأي العام والأخلاق والعادات توجبه ، كقولنا : « لجميع المواطنين حق الاشتراك بأنفسهم أو بوساطة ممثلهم في صنع القوانين » (اعلان حقوق الإنسان عام ١٧٨٩ ، المادة ٤) .

والثاني هو ما تسمح القوانين الوضعية بفعله ، سواء كان ذلك السماح صريحًا ، أو كان نتيجة مبدأ عام يبرح كل فعل غير محظور ، أو هو ما تسمح العادات

والأخلاق بفعله ، سواء كان ذلك الفعل عملاً صالحاً أو عملاً لا علاقة له بالأخلاق الفاضلة ، وقد قيل الحق ضد الواقع (Réel) من جهة ان الواقع قد يكون غير مشروع .

٤ — والحق والواجب اخايتان ، فإذا كان الفعل واجباً على أحد الرجلين كان حقاً للآخر ، مثال ذلك علاقة الدائن بالمدين ، فإذا وجب على المدين أن يوفي الدائن حقه حتى للدائن أن يستوفي ذلك الدين . على ان الحق أخيق من الواجب ، لأنه إذا وجب على الغني أن يتصدق على الفقير بشيء من المال فليس يحق للفقير أن يطالب به . لذلك فرقوا بين الواجبات الملزمة والواجبات الواسعة ، فقالوا : الواجبات الملزمة هي الواجبات المقابلة للحقوق التي تستوجب التنفيذ ، والواجبات الواسعة هي الواجبات المقابلة للحقوق التي لا يستطيع صاحبها أن يطالب بتنفيذها . وسواء أكانت الواجبات المقابلة للحقوق ملزمة أم واسعة فإنها في نظر الفلاسفة ثابتة ومطلقة ، وليس لك ان تقول هذا حق لم يمن أجل الوفاء به ، أو هذا واجب لم يمن وقت تأديته . وإنما يشترط في ذلك كله ان يكون التكليف على قدر الاستطاعة ، فمن لم يكن قادراً على الفعل لم يجب مطالبته به .

٥ — وفرقوا أيضاً بين الحق الطبيعي (Droit naturel) والحق الوضعي (Droit positif) ، فقالوا : الحق الطبيعي هو مجموع الحقوق اللازمة عن طبيعة الانسان من حيث هو انسان ، والحق الوضعي هو مجموع الحقوق المنصوصة في القوانين المكتوبة والعادات الثابتة . وعلم الحقوق هو علم القانون ، وحقوق الناس أو حقوق الأمم (jus gentium) هي الحقوق التي كان الرومانيون يعترفون بها للأجانب غير المشمولين بالقانون الروماني ، وتسمى هذه الحقوق في أيامنا بالحقوق الدولية (Droit international) ، وتقسم قسمين : الحقوق الدولية العامة (Droit international public) ، والحقوق الدولية الخاصة

(Droit international privé) . فالحق الدولي العام ينظم علاقات الدول بعضها ببعض ، أما الحق الدولي الخاص فينظم علاقات الأفراد ذوي الجنسيات المختلفة .

الحقيقة

في اللاتينية Veritas

في الفرنسية Vérité

في الانكليزية Truth

الحقيقة في اللغة ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه ، والمجاز ما كان يضد ذلك ، وحقيقة الشيء خالصة وكنهه ومحفده ، وحقيقة الأمر يقين شأنه ، وحقيقة الرجل ما يلزمه حفظه والدفاع عنه .

ولها عند الفلاسفة عدة معان :

الأول هو مطابقة التصور أو الحكم لواقع ، فالحقيقة بهذا المعنى اسم لما أريد به حق الشيء إذا ثبت ، والناء فيه للنقل من الوصفية إلى الاسمية . قال ديكارت : « ان الأسلام التي تخيلها في النوم لا شحمتنا ابدأ على الشك في حقيقة الإنكار التي تحصل لنا في اليقظة » (مقالة الطريقة ، ص ٩٨ : من ترجمتنا) . وقد تطلق الحقيقة على الشيء الثابت قطعاً وبقيناً ، تقول : هذه الشهادة مطابقة للحقيقة ، وهذا الرجل يستر الحقيقة ، ومن قيل ذلك أيضاً قولهم : الحقيقة التاريخية .

والثاني هو مطابقة الشيء لصورة نوعه ، أو لمثاله الذي أريد له . فالحقيقة بهذا المعنى هي ما يصير إليه حق الشيء ووجوبه ، تقول : لا يبلغ المؤمن حقيقة الايمان حتى لا يعيب انساناً بعب هو فيه ، يعني خالص الايمان وكأله ، وتقول ايضاً : هذه الصورة مطابقة للحقيقة ، تريد بذلك انها قد بلغت الغاية في تعبيرها عن الشيء .

والثالث هو الماهية أو الذات ، فحقيقة الشيء ما به الشيء هو هو ، كالحيوان الناطق للإنسان بخلاف الضاحك والكاتب مما يمكن تصور الإنسان بدونه .
 « وقد يقال إن ما به الشيء هو هو باعتبار تحققه حقيقة ، وباعتبار تشخصه هويته ، ومع قطع النظر عن ذلك ماهية » (تعريفات الجرجاني) ، قال ابن سينا : « إن لكل شيء ماهية هو بها ما هو ، وهي حقيقته ، بل هي ذاته » ، وقال أيضاً : « فإن لكل أمر حقيقة هو بها ما هو » (الشفاء ٣ ، ص : ٢٩٢) ، وقال الفارابي : « الوقوف على حقائق الأشياء ليس في قدرة البشر ، ونحن لا نعرف من الأشياء إلا الخواص والتوازم والأعراض ، ولا نعرف الفصول المقومة لكل منها » (التعليقات ص : ٤) .

والرابع هو مطابقة الحكم للمبديء العقلية . قال (لينينز) : متى كانت الحقيقة ضرورية أمكنك أن تعرف أسبابها بارجاعها إلى معان وحقائق أبسط منها حتى تصل إلى الحقائق الأولى « ، والحقائق الأولى هي الأوليات والمبديء العقلية .
الحقيقة الصورية (Vérité formelle) والحقيقة المادية (Vérité matérielle) -
 الحقيقة الصورية هي اتفاق العقل مع نفسه بلا تناقض ، وهي موضوع المنطق الصوري ، أما الحقيقة المادية فهي اتفاق العقل مع الشيء الواقعي مادياً كانت أو نفسياً ، كالحقيقة الفيزيائية والحقيقة النفسية ، وهي ما تتناوله العلوم التجريبية .
فائدة إذا قلت إن الحقيقة هي اتفاق العقل مع الوجود الخارجي وقعت في الالتباس ، لأنك لا تستطيع أن تتصور الحقيقة مستقلة عن العقل من جهة ، وعن الوجود الخارجي من جهة أخرى ، حتى تقرر بعد ذلك بينهما وتقول انهما متفقان .
الحقائق الأبدية (Vérités éternelles) - الحقائق الأبدية هي المبديء
 أو القوانين المطلقة المحيطة بجميع الموجودات . وهي تفيض عن العقل الالهي ، وتتمكس على العقل الإنساني ، فتقربه من الله . قال (ديكارت) : « إياك أن يخطر ببالك

ان الحقائق الأبدية تابعة للعقل الانساني أو لوجود الأشياء . ان هذه الحقائق تابعة لارادة الله ، فهو وحده الذي من الحقائق ورتبها وثبتها منذ الازل .
والحقيقة عند الدرائستين (Pragmatistes) هي الفكرة الناجحة أو النافعة أو الفرضية النلية التي تحققها التجربة .
والحقيقة عند (الماركسين) هي مطابقة الفكرة لشيء ، أو هي المعرفة المعبرة عن الوجود الموضوعي . وتقاس قيمة الحقيقة عندهم بدرجة مطابقتها للحاجات العملية ، وعلى قدر ما تكون الحقيقة ناجحة بالفعل تكون أثبت وأصدق .
والحقيقة عند (الوجوديين) هي تجلّي الواقع للمدرك بحيث يتصور الشيء كما يشاء في حرية تامة ، وبحيث تكون حقيقته ذاتية ونسبية وتاريخية ، فالحقيقة اذن هي نتيجة فعل حر ، لا معنى لها بالنسبة إلى الفرد إلا إذا كوتها بنفسه .
والحقائق عند (المتصوفين) ثلاث : الأولى حقيقة مطلقة ، فعالة ، واحدة ، عالية واجبة الوجود بذاتها ، وهي حقيقة الله سبحانه . والثانية حقيقة مقيدة ، منفعة ، ساقلة قابلة للوجود من الحقيقة الواجبة بالفيض وتجلّي ، وهي حقيقة العالم ، والثالثة حقيقة أحدية جامعة بين الاطلاق والتقييد ، والفعل والانفعال ، والتأثير والتأثر ، فهي مطابقة من وجه ، مقيدة من آخر ، فعالة من جهة ، منفعة من أخرى .
والحقيقة عندنا قيمة انسانية قوامها المطابقة بين الأسئلة العقلية المجردة والحوادث الشخصية ، ذهنية كانت أو خارجية .

الحقيقي

Realis في اللاتينية

Réel, véritable في الفرنسية

Real, actuel, true في الانكليزية

يطلق الحقيقي عند الفلاسفة على عدة معان وهي :

١ - الحقيقي هو الشيء الموجود بالفعل ، ويقابله الاعتباري الذي لا تحقق له ،
تقول : هذا صديق حقيقي ، وتقول : فتحت عيني فإذا الضياء الذي أبصرته
كانه فجر حقيقي .

٢ - الحقيقي هو الصفة الثابتة لشيء مع قطع النظر عن غيره ، ويقابله
الاضافي أو الظاهر بمعنى الأمر النسبي لشيء بالقياس إلى غيره ، سواء كان ذلك
الاضافي علاقة بين الشيء والشيء ، أو بين الشيء والذهن ، أو ظاهرة عقلية تمثل
الشيء الخارجي . مثال ذلك قول (لينينز) : « الحركة أمر نسبي ، أما القوة
فهي شيء حقيقي مطلق » (رسالة (لينينز) إلى آرنولد ، طبعة جاند ، ص : ٦١٤) .

٣ - الحقيقي ضد الممكن والخيالي ، ويطلق على الشيء الموجود كما هو مع
قطع النظر عن وجوب وجوده . والمنطقيون يطلقون الحقيقي على مادة المعرفة
لا على صورتها ، سواء كانت تلك المادة أمراً عقلياً ، كما في قولنا : المؤمن يتصور
الذات الإلهية تصوراً حقيقياً لا تصوراً سليماً ، أو كانت أمراً تجريبياً ، كما في قول
(كنت) : « كل ادراك حسي فهو مثبت اذن ان شيئاً حقيقياً موجود وله مكان » .

٤ - ويطلق الحقيقي على الأمر المنطوق بالأشياء لا بالأسماء ، كقولنا : التعريف
الحقيقي بخلاف التعريف اللفظي ، أو التعريف بحسب الاسم (راجع لفظي
تعريف وحد) .

٥ - والحقيقي عند المناطقة أيضاً قسم من القضية الشرطية المنفصلة التي
اعتبر فيها التناق في الصدق والكذب ، أي في التحقق والانتفاء مما . كقولنا :
أما أن يكون العدد زوجاً وأما أن يكون فرداً ، والحقيقي أيضاً قضية يكون
الحكم فيها على الأفراد الخارجية المحققة والمقدرة موجبة كانت أو سالبة ،
كلية كانت أو جزئية . غير ان بعض المنطقيين يجعلون القضايا ثلاثاً إحداها
ما يكون الحكم فيها على جميع أفراد الموضوع ذهنياً كان أو خارجياً ، محققاً

أو مقدراً ، كالتضاي الهندسية والحسابية ويسمون هذه حقيقية ، وثانيتها ما يكون الحكم فيها مخصوصاً بالأفراد الخارجية مطلقاً محققاً أو مقدراً كالتضاي المعلوم الطبيعية ، ويسمون هذه القضية قضية خارجية . وثالثتها أن يكون الحكم فيها مخصوصاً بالأفراد الذهنية ، ويسمون هذه قضية ذهنية كالتضاي الواردة في المنطق .

٦ — والحقيقي مرادف للحق باعتباره صفة ، تقول : هذا قول حقيقي أي مطابق للحق ، وهذا ذهب حقيقي أي خالص ، وهذا ظلم حقيقي ، تريد به التناهي وإن صاحبه قد بلغ في ذلك الغاية ، وهذا حادث حقيقي أي واقع حقيقة . ومن قيل ذلك قول (دبكات) : « لو كان وجود الله غير حقيقي لما كانت طبيعتي هي ما هي » (التأملات ٣ ، ص : ٢٤) ، وقولهم التفكير الحقيقي ، وهو التفكير الخالص من التباس والتموض .

جبل صليبا

مجموع

نظرة في
معجم المصطلحات الطبية

الكثير اللغات

للدكتور ا. ل. كيرفيل

تحت إشراف الأمانة مرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط

ومحمد صلاح الدين انكواكبي

(لجنة المصطلحات الطبية في كلية الطب من جامعة دمشق)

استدراك وتصويب

- ٦ -

رقم المصطلح	رقم المصطلح
3703 Cutisation	٣٧٠٣ إستجلاد
وأرجع التحول إلى جلد ، وهو التبدل الطارىء على حاشية أحد الأغشية المخاطية بحيث يصبح بنائها شبيهاً ببناء الجلد .	
3710 Cycle asexué	٣٧١٠ دَوْرٌ لاشِيقِيٌّ ، لا جنسيّ
وأقر بمجمع اللغة ترجمه (asexué) بلا تزاوجي . فتصبح اللفظة دور لا تزاوجي .	
3714 Cycle de reproduction	٣٧١٤ دَوْرَةُ الإِنتاج
وأقر بمجمع اللغة دَوْرَةُ التناسل .	
3715 Cycle sexuel	٣٧١٥ دَوْرَةُ شِيقِيَّةٍ ، تناسلية
دورة تزاوجية كما أقرها مجمع اللغة .	
3718 Cyclopropane, triméthylène	٣٧١٨ بَرُوبَانٌ دوري
(سكُلو بَرُوبَان) مثلث الميثيلان	
وأرجع إبقاء اللفظة : سيكلوبروبان تري ميثيلان .	

- ٣٧٢٠ (٢) اسطوانة شَبَغْرِيَّة ، وشَمْعِيَّة (2) Cylindre
colloïde, cireux 3720
- اسطوانة غراوانية كما أقرها مجمع اللغة واسطوانة شمعية .
- (٦) اسطوانة شمعية (6) Cylindre graisseux
- ودهنية كما أقرها مجمع اللغة .
- ٣٧٢٥ داء الكيسات المذنبة الخنزيرية ، Cysticercose du
porc, ladrerie du porc 3725
- جذام الخنزير
- وحصبة الخنزير (Porc measles) كما جاء في الترجمة الانكليزية
للمعجم الأصلي .
- ٣٧٣٤ ذيفان خلوي Cytotoxine 3734
- تكسين خلوي كما أقره مجمع اللغة .
- D
- ٣٧٥٣ صيب القلب Débit du cœur 3753
- ٣٧٥٤ صيب القلب بالدقيقة Débit-minute du cœur 3754
- وأرجع ترجمة اللفظتين بنجاج القلب في اللفظة الأولى ونجاج القلب بالدقيقة
في اللفظة الثانية ، ويقصد بها كمية الدم التي يدفعها القلب في كل انقباض وفي الدقيقة .
- ٣٧٥٩ فضلات ، فضلات Débris 3759
- وأرجع انقباض وطحام .
- ٣٧٦٠ فضلات (مخاطية) معبرية Débris (muqueux) 3760
- انقباض مخاطية معوية
intestinaux, déchets
muqueux intestinaux

وأرجح أنقاض أو حطام (مخاطبة أو مخاطي) معربة أو معوي ، وثقابات
مخاطبة معربة (١) .

٣٧٦١ خَسَفَ الكِلْسَ Décalciër 3761

وأقر جمع اللغة تَزَع الكسر .

٣٧٦٤ إِبَاتَة صَفَق Décantation 3764

٣٧٦٤ أَبَان ، صَفَق Décanter 3764

وأقر جمع اللغة تصفيق في اللفظة الأولى وصَفَق في الثانية .

٣٧٦٨ قَصَع ، تَجْرِيد Décapsulation 3768

والصحيح تَزَع اللفظة شأن ما يكون في تَزَع اللفظة المحبطة بالكوة ،
فاللفظة للمحفظه وليست دلالتها مجرد تجريد .

٣٧٦٩ خَسَفَ القَحْمَ Décarbonisation 3769

وأقر جمع اللغة تَزَع الكربون .

٣٧٧٠ خَسَفَ Décarboxylation 3770

وأرجح تَزَع حمض الكربون أو أكسيد الكربون الثاني .

٣٧٧٤ إفراخ ، انفراخ Décharge 3774

وتفريغ وانصبب ترجمة للفظ (Epenchement) التي جاءت في المعجم
الأصلي وقد أهمتها اللجنة .

٣٧٧٥ إِبْدَاء العاطفة Décharge affectif 3775

والأفضل التفريغ العاطفي ، ويعنى بهذه اللفظة إِبْدَاء تحليل نفسيًا للتفراغ
العاطفية فجاء إثر إثارة أو دون إثارة بعد ما كانت هذه مكبوتة لديه .

٣٧٨٠ خَسَفَ الكلورور Déchlorurant, le 3780

- ٣٧٨٦ Déchloruration, خسف الكورور ، حرمان الملح
privation de sel
- ٣٧٨٧ Déchloruré, ée, sans sel مخدوف الكورور، بلا ملح
وأقر مجمع اللغة تزع الكور (لا الكورور) في اللفظة الثانية معرّفًا إياها
بأنها العملية التي يتم بها تزع الكور من التركيب الكيميائي . وتصبح اللفظة
الأولى نازع الكور والثالثة متزوع الكور .
- ٣٧٨٨ Décholesterinisation خسف الكولسترول
تزع الكولسترول كما أقره مجمع اللغة .
- ٣٧٩٠ Décinormal, le 'عشر' النظامي
وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة بعشري . وقد صرّف المحلول العشري بأن
الترمنه يحتوي عشر الوزن المكاني، بالجرامات للمادة المذابة كالحوامض والقلويات
ويستخدم في معايرة سوائل أخرى .
- ٣٧٩٩ Décollation, 'ضرب العنق' ، قطع الرأس
dérotomie, décapitation تقنين
وأرجع فصل العنق أو قطعه وتزع الرأس في اللفظتين الأولى والثانية ،
أما الثالثة فأقر مجمع اللغة ترجمتها بإقتصال وجاء في شرح النقطة : قطع عنق
الحمل في بعض الولادة المسرة مثل الجبنة (الحبي) بالشكب المنهل .
- ٣٨٠١ Décollement إنتسكك المشاة ، انفصال المشاة
épiphysaire, disjonction كسر المشقتين
épiphysaire, épiphysiolyse, fracture diacondylienne
وأقر مجمع اللغة ترجمة (Epiphyse) بكردوس . فتصبح ترجمة هذه
الألفاظ : إنتسكك الكردوس ، الاتصال الكردوسي ، انفصال الكردوس أو
ذوبانه (وقد أممته اللجنة) ، الكسر القمي العميق .

- ٣٨٠٨ Décolorer قَصَرَ، أزال اللون
وأقر جمع اللفظة : تَعَلَّى - تَعَلَّى - أُنْصَلَ - وعَرَفَ لفظاً : زالك أو ازال
اللون من سائل أو جسم .
- ٣٨١٢ Décomposer (se) تَفَكَّكَ ، تَفَسَّخَ ، تَحَلَّلَ
وأقر جمع اللفظة ترجمة لفظة (Décomposition) بـ تَحَلَّلَ ، تَحَلُّلُ التحلل .
وعرفها : هو تحليل مركب إلى العناصر التي يتكون منها أو إلى مركبات أبسط
منها ويكون هذا التحليل بوسائل مختلفة منها الحرارة والكهرباء أو فعل البكترياواخ .
- ٣٨١٧ Décontamination عَدِمَ العدوى ، بَطَّلان العدوى
وأرجح بَطَّلان العدوى أو إبطلها .
- ٣٨٢٧ Décussation des pyramides تصالب الأهرام
والصحيح تصالب الهرمين (لأنهما اثنان لا ثلاثة) أو تقاطعها .
- ٣٨٣٤ Défaillance, وَهْنٌ ، غَشْيٌ خَفِيفٌ ، إغماء
syncope légère évanouissement
وأرجح إعياء أو كَفَرٌ^(١) ، غَشْيٌ خَفِيفٌ ، إغماء وتخصيص لفظة وَهْنٌ ترجمة
لـ (Asthénie)^(٢) .
- ٣٨٣٥ Défaillance وَهْنُ القلب الاحتقاني المزمن
congestive chronique قصور عضلة القلب
du cœur
وأرجح إعياء القلب الاحتقاني المزمن .

(١) في اللسان : والكَفَرُ الضعف ، وفَتَرَ جسمه بغير فتوراً لانت مفاصله وضعف
ويقال أجد في نفسي فترة وهو كالضخمة .
(٢) الصفحة ٧٦ من المجلد الثامن والثلاثين من هذه المجلة .

- 3836 Defaillir, collaber وَهَنٌ ، وَهَطٌ
وأرجع خَارَ ، وَهَطَ .
- 3838 Défaut de l'articulé الأسنان عَيْبٌ ، يَمْتَقِصِلُ الأسنان
des dents
وأرجع عيب ارتكاز الأسنان أو نبتها .
- 3839 Défavorable مُنَاقِضٌ ، مُخَالِفٌ ، غَيْرُ مُوَاتٍ
وأرجع غير موافق .
- 3843 Défectif, ve ناقص ٣٨٤٣
- 3844 Défectuosité نُقْصَانٌ ، قُصُور ٣٨٤٤
وأرجع ذو شائبة ذو خلل في اللفظة الأولى وشائبة أو خلل أو عيب في الثانية .
- 3849 Déférent, ente ناقلٌ ، مُوَصِّلٌ ، أَسْهَرُ (قناة ناقله)
وأقر مجمع اللغة ترجمة الأسهر بالمال الناقل ، وأرى لفظه أسهر أفضل (١) .
- 3851 Déferrisation خَشَفَ الحديد ٣٨٥١
وأقر مجمع اللغة تزع الحديد .
- 3855 Défibriné, ée مخسوف الليفين ٣٨٥٥
وأرجع متزوع الفبرين أو الليفين .
- 3870 Dégénérescence, dégénération حُوْزِلَ ٣٨٧٠
ودرجت على ترجمة اللفظة بتنكس ، وأقر مجمع اللغة ترجمتها بفساد وتنكس ،
ولعل اللفظة الأخيرة أفضل لدلالاتها الخاصة بينما لفظه فساد هي عامة تشمل
أحداثاً كثيرة .

(١) في اللسان : والأسهران : عرقان يصدان من الأثنين حتى يجتمعا عند باطن
اللسنة وهما عرقا الكلى .

- 3873 Dégénérescence amyloïde 'مُحوّل تشويدي' ٣٨٧٣
وأرجع تنكس نقيير النشا أو تشواني .
- 3874 Dégénérescence colloïde 'مُحوّل متبفيري' (شبيه عترووي) ٣٨٧٤
تنكس تشواني كما أقر مجمع اللغة اللفظة الأخيرة .
- 3876 Dégénérescence graisseuse 'مُحوّل دتسي' ٣٨٧٦
تنكس دهني كما أقرها مجمع اللغة .
- 3885 Deglobulisation 'خسف الكرياتاوات' ٣٨٨٥
والمصحيح نقص الكريات الحمر كما دل على ذلك نفس الترجمين الانكليزية
والألمانية للمعجم الأصلي (١) .
- 3886 Deglutition 'بلع ، إزدرداد' ٣٨٨٦
وأقر مجمع اللغة الابتلاع .
- 3898 Degré de dureté 'درجه الصلابة أو القسادة' ٣٨٩٨
وأقر مجمع اللغة درجة العسر .
- 3913 Délivrescent, ente 'مبوع' ٣٩١٣
وأقر مجمع اللغة 'متبع - متسيل' . وقد عرف اللفظة : صفة المادة الصلبة
التي تمتص الماء من الهواء فتتبع فتسيل مثال ذلك كلوريد الكالسيوم .
- 3917 Délire alcoolique aigu 'هذيان غولي حاد' ٣٩١٧
delirium tremens, 'ارتعاشي ، جنون نبيدي'
œnomanie

وأقر مجمع اللغة ترجمة (Delirium Tremens) بالهذيان الرُّعاشي .
وقد عرّفه : جنون حاد ناتج عن التسمم الكحولي يتميز بالهَرَق والارتعاش
والبلبال والتخمة الرمنية والاختلال والاهتلاص وضيق الصدر .

٣٩١٩ هذيانٌ حمّيّ Delire fébrile 3919

والصحيح هذيان حمّوي أو هذيان الحمى^(١) وأقر مجمع اللغة البَطَاح^(٢) معرّفًا
اللفظة : الهذيان ينشأ عن الحمى . وهذيان الحمى أفضل .

٣٩٢٠ هذيانٌ مُحرّش ، جنونٌ فاش Delire induit 3920

جنونٌ ثنائي ، مُتقاس بالعدوى
aliénation induite, جنون ثنائي ، مُتقاس بالعدوى
folie communiquée folie à deux, psychose
par contagion.

وأرجع هذيان متأثر (وأقر مجمع اللغة هذه اللفظة) ، جنون منتقل ، جنون
الشَّع^(٣) أو الجنون الشفوي وتُقاس بالعدوى .

٣٩٢٨ هذيانٌ مُطرّد Delire systématisé 3928

وأرجع هذيان مُصرّب

٣٩٣١ مُجرّمٌ مُتعرّف في حالة نفيه اتّفعاليّ Délit commis 3931
en état de surexcitation émotive

وأرجع مُجرّمٌ بالإثارة الشديدة الاتّفعالية .

٣٩٣٦ فاقاة Délitacisme 3936

(١) سببت ملاحظتي على هذه اللفظة (الصفحة ٢٨٩ من المجلد الخامس والثلاثين من
هذه المجلة) .

(٢) في اللاموس : والبَطَاح كمراب مريض يأخذ من الحمى .

(٣) في قاج العروس : وقد شقّه شقاً كنهه أي كان وترّاً لصيره زوجاً .

والصحيح تنتمه . فقد جاء في الترجمة الانكليزية للمعجم الأصيل ان اللفظة تدل على سوء لفظ الدال والالاء^(١) . والقافأة ترديد الفاء بينما التتمه ترديد التاء^(٢) .

٣٩٥١ Démémorer فعل ع عفى

والصحيح يتر الطرف أو أحد أجزائه^(٣)

3954 Démence عتة بامصر ع فتوي جنون متنافر

précoce, juvénile فساد عقلي ، عند البلوغ

folie discordante, hébéphrénie hébéphrénocatatonie, schizophrénie

وأقر مجمع اللغة ترجمة لفظة (démence précoce) بالعُتاه الباكر وعُتاهها كما يلي : هو الفُصام وهو ضعف عقلي يصيب المراهقين . وسبقت ملاحظتي على الألفاظ الأخرى^(٤) .

3961 Demi - canal, semi - canal نصف قناة

نصف قناة وشبه قناة (وقد أعملته اللجنة) .

3962 Demi-circulaire, semi-circulaire نصف دائرة

والصحيح نصف دائري ونظير الدائري .

3965 Déminéralisation خسف المعدنيات

والأرجح تزع المعدن .

3966 Déminéralisation des os خسف معدنيات العظام

وأرجح زوال الأملاح المعدنية من العظام .

(١) incorrect pronunciation of d and t

(٢) في الإنسان وفي فقه اللغة : القافأة التردد في الفاء . والافأأة شبيهة في الإنسان ومثابة الفاء على الكلام . التتمه ان يتردد في التاء . التتمه التردد في التاء .

(٣) معجم بلاكتون Blakuston's

(٤) الصفحة ٢٩٠ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

- ٣٩٧٣ Dénaturé (alcool) (تمسوخ زخول)
وأرجع مبدل (خول)
- ٣٩٧٤ Dendrite استطالات حيوية تشجرات
وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة بالزوائد الشجرية . وعرفها كـ بلي : وتطلق
في علم الحيوان على فروع الخلية العصبية التي تحمل الدفعات العصبية ، وسبقت
ملاحظتي على هذه اللفظة ^(١) .
- ٣٩٧٦ Dengue, fièvre rouge ضنك ، حمى حمراء
وأقر مجمع اللغة تعريب اللفظة بالدنجية وعرفها : هي وبائية طفحية تتميز
بوجع شديد في الرأس والمفاصل وتنقلها البعوضة المصرية (إيدي
ايحي) ويصاب المريض بتوبتين من القشعريرة .
وتعرف هذه الحمى في سورية بأبي التركب وأرى تعريب اللفظة أفضل .
- ٣٩٩٧ Dents de sagesse نواجذ
وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة بأضراس العقل معرفاً إياها بأنها أقصى
الأضراس وآخرها نباتاً . ولا شك أن نواجذ أفضل ^(٢) .
- ٤٠٠٤ Dépancraté, ée 'مزالة مَعَشَكِيلَتِه'
وأقر مجمع اللغة تعريب لفظة (Pancreas) بـ يَنْقِرَاس فتصبح ترجمة
هذه اللفظة متزوع البتقراس ، ومنزوعة البقراس .

(١) الصفحة ٢٩٠ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) في القاموس : النواجذ أقصى الأضراس وهي أربعة في أقصى الأسنان بعد الأرجاء
وتسمى ضرس الحلم لأنه ينبت بعد البلوغ وكال الحقل .

- ٤٠٠٥ Déperissement سقم ، سقم
وأرجح ترجمة اللفظة ^(١) .
- ٤٠١١ Déplacement, dislocation تبذل ، انفكك ، انتقال
- ٤٠١٢ déplacement en arrière تبذل خلفي ، تنقبض
- ٤٠١٣ déplacement en avant تبذل أمامي ، تقدم
- ويعني باللفظة الأولى التخلي عن الموضع لذا أرجح ترجمة اللفظة بتزحزح ^(٢)
وانفكك فتصبح الثانية التزحزح الخلفي والثالثة التزحزح الأمامي .
- ٤٠١٤ déplacement de la tête du fémur (radial.) تبذل الكرامة (أشعة)

وأقر بجمع اللغة ترجمة اللفظة بالـ 'الحق' المتقل ^(٣) وعرفها : وفيه تخرج الرمانة
من الحق الأصلي لضمور حرفه ويتكون حرف جديد فوق حرفه الأصلي .
وأرى ان ترجمة اللفظة بتزحزح الكرامة صحيح ، وان كان حدوث هذا
التزحزح لا يكون عادة إلا إثر ضمور حافة 'الحق' أو القات ^(٤) كما جاء في

(١) فقد جاء في الترجمة الانكليزية هذه اللفظة في المصباح الأصلي :

Atrophy, Wasting, Withering ومعناه الضمور والتربان والتجفاف .

(٢) في اللسان : التزحزح للتباعد والتخثر وزح زحاً وزحزحه فتزحزح
دفعه ونحادر عن موضعه فتتخثر وفعله منه .

(٣) الصفحة ٤٣٧ من الجزء الرابع عشر من مجلة مجمع اللغة العربية في ترجمة
(Travelling acetabulum) وهذه ذاتها جاءت في الترجمة الانكليزية لللفظة في
المصباح الأصلي .

(٤) في اللسان : الكرامة رأس الفخذ المستدير كانه جوزة وموضعها الذي تدور به
من الورك القلائد .

لسان العرب ، ولم أجد في معجمات اللغة التي بين يدي ما يؤيد استعمال الرُّمَّانة^(١) للدلالة على رأس عظم الفخذ المستدير .

٤٠١٥ Déplacer .se) تبدل ، انتقل

وأرجع توحزح ونفى .

٤٠١٧ Déplition إنراغ ، فسد

وأقر بجمع اللغة ترح .

٤٠١٩ Déposer (se) رَسَب

واستقر .

٤٠٢٠ dépôt calcaire رُسوب كسي ، ثقل كسي

قرارة كسبة كما أقرها بجمع اللغة .

٤٠٢٢ dépôt de graisse رسوب الدسم

قرارة الدهن كما أقرها بجمع اللغة .

٤٠٢٥ Dépression v. enfoncement انظر تفريز انخفاض

وأقر بجمع اللغة ترجمة اللفظة بانخفاض وهبوط .

٤٠٥١ dermatite herpeti- التهاب الجلد الحرصبي الشكل

-forme, maladie de Dühring داء دورينغ

والصحيح التهاب الجلد نظير العقبُولي^(٢) أو نظير الحَلَاي^(٣) كما أقرها بجمع

(١) جاء في أساس البلاغة وثله عن أقرب الموارد : وملاّت الدابة رمايتها وهي موضع اللطف من جوفها ، وأكل حتى تآت رمايته وهي السرة وما حولها .

(٢) في اللسان : المقاييل بقايا البلية والمدارة والبشقي وقيل هو الذي يخرج على الشكين غيب الحمى الواحدة منها جميعاً عقبولة وعقبُول والجمع المقاييل .

(٣) في اللسان : والحلأ المقبول وحلئت حلتني حلاً حلاً إذا بثررت أي خرج بها غيب الحمى بتورها .

اللغة ولا أرى لفظة الهرس^(١) تفيد المعنى المطلوب . فالتقبولة والحلا^{كلامهما}
يبدل على ما يدعى بـ (Herpes) وقد أقرت اللجنة ترجمة اللفظة بتقبولة
(اللفظة ٦٢٥٦) .

٤٠٥٤ Dermato-fibrosarcome ورم جلدي ليفي عفاي 4054

وأقر مجمع اللغة تعريب لفظة (Sarcome) فتصبح ترجمة هذه اللفظة
ورم جلدي ليفي سرطاني .

٤٠٥٧ Dermatomolysie, ورم الجلد الجسئي 4057

غضف الجلد - pachydermatocèle, pachyder-
-mocèle, Chalezodermie

وأقر مجمع اللغة ترجمة لفظة (Pachydermatocèle) بالشتن المتدلي
وجاء في تعريفها : تضخم الجلد والأنسجة تحته ، فيه يتدلى الجلد في أطواء .

٤٠٦٠ Dermatozose, Dermopathie مَرَضٌ جلدي 4060

وأرجع اندفاع جلدي واعتلال جلدي .

٤٠٦٠ dermatose (d'origine) (المنشأ) مَرَضٌ جلدي تحاوي (المنشأ) 4060
allergique

وأرجع اندفاع جلدي أليرجيائي .

٤٠٦٨ Dermoïde, dermatoid نظير الجلد، نظير الأدمة 4068

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة بجلداني .

(١) في اللسان : مَرَضٌ الرجل إذا اشتعل بدنه حمماً ، وهو الحمف والهرس
والذود والدواد ، وقال عن الحمف : بَشْرٌ صِفار يقيح ولا يظلم وربما
خرج في مرقاة البطن أيام الحر .

٤٠٧١ ضعف الساقين Dérôlement des jambes 4071

ان لفظة ضعف الساقين تدل على ترجمة اللفظة الفرنسية (Faiblesse des jambes) ولا أظن ان لفظة (Dérôlement des jambes) بقصد منها ذلك .
والصحيح انها تدل على الحمود أو الارتخاء البادي في الرجلين في حالة الفزع والرعب وعلى ذلك جاء في الترجمتين الانكليزية^(١) والألمانية^(٢) من المعجم الأصلي ما يؤيد هذه الدلالة .

لذا أرى أن تكون ترجمة اللفظة المقر^(٣) كما أن لفظة (Jambes) تدل على الساقين وعلى الرجلين تشميلاً .

(للبحث صلة)

الدكتور حسني سبيع

(١) (Giving way of the legs) أعني انهار الرجلين .

(٢) (Zusammenbrechen der kniee) أعني خور الركبتين .

(٣) في اللسان : المقر بفتحين أن تسليم الرجل قوائمه الى الحرف فلا يقدر أن يتحرر من الدرق والدمش ، وفي الصحاح فلا يستطيع أن يقاوم وأعقره غيره أدمته . وفي حديث الباس : أنه عقير في محله حين أخبر أن محمداً قتل .

نظرة على نظرة

جزى الله بفضة السلف السالح العلامة الطاهر ابن عاشور خيراً على نظره
الثاقبة التي ألقاها على المقدمة التحوية بالنسبة إلى الإمام خلف الأحمر .
بدأ الأستاذ الفخري نظره بالشك في تاسر هذه المقدمة ثناء يدل على
ما جيل عليه من فضل ونبيل ، وأشهد أن بحث الأستاذ لجيل ، وآني ما رأيت من
من أمثاله في المشرق والمغرب إلا القليل ، وقد مضى على نشري لهذه المقدمة
التحوية فحوسفتين لم أسمع فيها عنها إلا الشاء ، ولم أر من اهتم بها أو شاركني
في تقويم نصوصها إلا الناقد الجليل ابن عاشور ، ولولا اهتمامه هذا لما وجدت يراد
السرور وثلج الصدور ، ولكان حزني طويلاً ظلت أبناء عصرنا من العرب ممن
يهتم من تراث السلف بأمثال هذه المقدمة الخطيرة .

ولقد كان سروري عظيماً بتأييده لنسبة هذه المقدمة إلى خلف الأحمر بقوله :
« وأن في رقه ناسخ هذه المقدمة كفاية تغلب الظن بصحة نسبة الكتاب إليه لا تنفاه
دواعي التدليس والالحاق وتوفر قرائن الصدق ... » .

أما رأي الناظر العلامة بأنه « ليس في الكلمة التي وقعت في أول النسخة كلمة
(رب يسر وأعن بلطفك) ما يكسب الظن قوة إذا الافتتاح بأمثال هذه الكلمة
في نسخ الكتب مستمر في سائر العصور غير مقصور على العصور الأولى ، فلا يغلب
الظن بنسبة التأليف إلى أحد الأقدمين ، وذلك من صنيع الناسخين » قلت :
ونحن لا نرى أحداً من المتأخرين يفتح كتابه بمثل هذه العبارة ، وما أكثرها
في فواتح كتب القرون الإسلامية الأولى ، وييدي الآن كتاب المطر والسحاب

للإمام أبي بكر بن دريد (— ٣٢١ هـ) الذي نشره مجمعنا العلمي العربي وهو منقول من نسخة مقروءة على أبي سعيد السيرافي ، وفي فاتحته (بسم الله وبه نستعين) ، وفي فاتحة فهرست ابن التديم (— ٣٨٥ هـ) كلمة (رب يسر برحمتك) ، وفي فاتحة المقاييس لابن فارس (الحمد لله وبه نستعين) ، وفي فاتحة كتاب الأخذاد للصاغاني (عونك يا الله) ؛ كذلك في فاتحة كفاية التحفظ للإمام الأجدابي (عونك يا الله) ، ولا يتسع مجال البحث إلى سرد أكثر مما أوردناه .

ويقول الأستاذ في تقابُس الآراء النحوية بين علماء البصرة والكوفة قبل مناظرة سيويه والكسائي مانصه : « وكان النحاة فيها متقابين ولم يقع تمايز بين طريقة البصريين وطريقة الكوفيين إلا بعد انجياز سيويه وشيعته بالبصرة وانجياز الكسائي وشيعته بالكوفة ، وكان ظهور خلف الأحمر قبيل ذلك فكان في عصر التقابُس ، ولكنه غلب عليه أتباع النحاة الكوفيين ووافقهم في مسائل كثيرة من مسائل الخلاف فنسب إليهم ، وطريقة نحاة الكوفة أسعدُ بمنهج خلف إذ كانت تغلب عليه رواية أشعار العرب وفيها من نوادر الاستعمال تروّعات تلجئهم إليها الضرورة » قلت : ولا شك أن النحاة الأديب من أئمة خلف الأحمر وسيويه والكسائي والفرّاء كانوا يعرفون من بحر نحوي واحد ، فكانت مصطلحاتهم النحوية في عهد التقابُس واحدة وباب الاجتهاد في النحو كانت مفتوحة ، مما أدى إلى كثير من اختلاف الرأي بين نحاة المصريين ، وكان نحاة البصرة أشدّ تثبتاً كما ذكره الأستاذ الفاضل وأضيق اشتراطاً ، وكان نحاة الكوفة يوسعون القواعد النحوية باستعمال ما يرد في شعر العرب ، وحدث من مخالقات البصرة للكوفة والكوفة للبصرة مذهبان نحويان ، ونستنتج من ذلك أن من الصعب في بدء تكوين النحوي أن يجعل له لغتين كوفية وبصرية ، واشتجار خلف الأحمر البصري برواية أشعار العرب لا يدلّ على أن منهجه في النحو

كوفي ، فقد كان أبو عمرو بن العلاء وأخيل الفراهيدي والأصمعي البصري واضرابهم من العلماء بالشعر وروايته ولم يكونوا كوفيين ، وما كان نخاء البصرة ينتون قواعدهم إلا على ما صح منه من الشعر ، فهم وأصحابهم يجتابون البوادي لجمع الشعر الذي يستشهد به .

وما اشتهر انعاء وانتباهد بين المدرستين إلا بعد مناظرة الكسائي لسبيويه ، وكان البصريون يحقدون بعدها على الكوفيين لأمرهم على سبيويه ، وقد ثبت أن خلفاً الأحمر البصري مولداً ودراسة كان مرافقاً لسبيويه في طلب العلم بالبصرة فقد أخذوا النحو عن يونس بن حبيب منين كثيرة ، ويذكر أبو الطيب الهروي في مراتبه أن الكوفيين كانوا يأخذون عن البصريين وكان البصريون لا يرضون بالأخذ عن الكوفيين ، فكيف يكون خلف الأحمر في مذهبه نحوياً كوفياً ، وتقديم خلف في المقدمة ذكر الكوفيين على البصريين لا ينهض دليلاً فقد قدم في (باب التحقيق) البصريين على الكوفيين ، ثم من أين نعلم أن الذين وصفوا خلفاً الأحمر بالبصري إنما أرادوا نسبته إلى البلد الذي نشأ فيه ، وخلف لم تقتصر حياته الأولى على البصرة ، بل طلب العلم وقضى عمره في البصرة .

وقول الأستاذ : أن أبا البركات الأنباري في كتابه الانصاف قال صراحة إن خلفاً الأحمر من الكوفيين ، يجوز أن يكون مخطئاً في قوله هذا كما أخطأ كثير غيره ، وهذا القنطري يذكر بالصراحة كلها أن الأحمر الكوفي الهروي صاحب علي بن حمزة الكسائي هو الذي ناظر سبيويه لما قدم بغداد ، وقد ذكر المناظرة مفصلة في ترجمة سبيويه ، وقد ذكرنا في فاتحة المقدمة الهوية أن من أسباب التباس أن يذكر (الأحمر) في الكتب غير مسمى ولا منسوب فيقال القاري أن هذا الأحمر هو خلف بن حيّان الأحمر البصري لأنه أشهر ، وهو في الواقع علي بن المبارك الأحمر الكوفي تليد الكسائي ، ولذلك

يقول أبو الطيب اللغوي في مراتبه « ويحكون المسألة عن الأحمر فلا يدرون :
أهو الأحمر البصري أم الأحمر الكوفي ؟ » .

وللأحمر التجوي علي بن المبارك صاحب علي بن حمزة الكسائي ترجمة
واضحة في تاريخ بغداد (١٠٤/١٢) وتوضيح صريح لأي الأحمرين
هو صاحب المناظرة مع سيبويه فقد قال ما نصّه ولفظه « علي بن المبارك الأحمر
التجوي صاحب علي بن حمزة الكسائي كان مؤدّب الأمين وهو أحد من اشتهر
بالتقدم في النحو واتساع الحفظ وجرت بينه وبين سيبويه مناظرة لما قدم بغداد »
ثم ساق البغدادي السند وخبر المناظرة المذكورة ، وكأنك كنت فيها حاضراً
بقوله : (أخبرنا هلال بن الحسن أخبرنا أحمد بن محمد بن الجراح الخزّاز حدثنا
أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري قال حدثنا أبو العباس (ثعلب)
حدثنا سلمة بن عاصم حدثنا الفرّاء ما لا أحصي قال : « قدم سيبويه إلى بغداد
فأتى يحيى بن خالد فقال له : اجمع بيني وبين الكسائي لأناظره وأنت تسمع ،
فقال له يحيى : الكسائي عندنا رجل عالم لا يمتنع من مناظرة أحد ، وأنا أتقدم
إليه في الحضور ، فإذا كان يوم كذا وكذا فاحضر » .

وعرف يحيى الكسائي ، وعرف الكسائي أصحابه فسبق الفرّاء والأحمر
(لا خلف الأحمر) في ذلك اليوم إلى دار يحيى (بن خالد) فجلسا في الموضع
الذي أعد للكسائي وسيبويه ، ثم جاء سيبويه فرعفاً ، وألقى عليه الأحمر
(ولم يقل خلف الأحمر) مسألة فأجاب فيها ، فقال له الأحمر : أخطأت ،
وألقى عليه أخرى فأجاب فقال له : أخطأت ، وكان الأحمر حاداً حافظاً ،
فغضب سيبويه ، فقال له الفرّاء : إنّ معه عجيبة ، فن قال : هؤلاء أئبون
ورأيت أئبين ومهرت بأئبين في جمع الأئب على قول الشاعر :

وكان بنو فزارة شرّ عمّ وكنت لهم كشرّ بني الأخينا

فأجابه سيبويه بجواب فعارضه الفراء بإدخال فيه (أي بليته بحركة استهزاء) فانتقل منه إلى جواب آخر ، فعارضه بحجة أخرى وقال : لا أتكلم حتى يجيئ صاحبك ، فجاء الكسائي فجلس بالقرب منه ، وأنصت يجيئ والناس ، فقال له الكسائي : أتأني أو أسألك ؟ فقال : لا بل سئني ، قال كيف تقول (خرجت فإذا عبد الله قائم) فقال سيبويه (قائم) بالرفع ، فقال له الكسائي : أتجعل (قائمًا) بالنصب قال لا ، قال له الكسائي : فكيف تقول : كنت أظن أن المقرب أشد لومة من الزنبر فإذا بالزنبر هو إياها عينها ؟ قال : لا أجز هذا بالنصب ، ولكني أنزل : فإذا بالزنبر هو هي ، فقال الكسائي : الرفع والنصب جائزان ، فقال سيبويه الرفع والنصب لحن فعلت أصواتها بهذا فقال يجيئ : أنتم عالمان ليس فوقكما أحد يستغنى ، ولم يبلغ من هذا العلم مبلغكما أحد نشرف به على الصواب من قولكما ، فما الذي يقطع ما بينكما ؟ فقال الكسائي : العرب الفصحاء المقيمون على باب أمير المؤمنين . الذين ترثي فصاحتهم فيمضرم فنألم عما اختلفنا فيه ، فإن عرفتوا النصب علمت أن الحق معي ، وإن لم يعرفوه علمت أن الحق معه (. . .) إلى آخر قصة المسألة الزنبورية الشهيرة ، فهل بعد قول الخطيب البغدادي في ترجمه (علي بن المبارك- الأحمر التحوي صاحب علي بن حمزة الكسائي) والذي كان مؤدب الأمين ذاته وهو الذي جرت بينه وبين سيبويه مناظرة لما قدم بغداد ، لا خلف الأحمر البصري ، هل بعد هذا القول من ريب لمتاب ؟ ، والخطيب يجري في أحاديثه التاريخية يجري المحدثين في تجري الصواب والسند الذي ذكره رجاله من الثقات ، أمثال أبي بكر ابن بشار الأنباري وأبي العباس نطب وسلمة بن عاصم والفراء ، وهل يحل الفراء رفيقه الذي اشترك معه في مناظرة سيبويه قبل مجيئ الكسائي ؟

وقد اعتمد الناقد الفاضل علي أبي البركات الأنباري بأن خلفاً الأحمر من الكوفيين ، ولم يعتمد علي أبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري في سنده الذي أوردته الخطيب البغدادي إلى الفراء ، فقد نقل خير المناظرة عن أبي العباس ثعلب عن سلمة بن عاصم الذي قال حدثنا الفراء ، فإن كانت أبو البركات عالماً بلغة العرب فإن أبا بكر الأنباري أعلم منه بها ، وأقرب منه زمناً إلى زمن المناظرة ، وحسبه أنه يروي عن ثعلب بقوله حدثنا أبو العباس ثعلب حدثنا سلمة بن عاصم حدثنا الفراء ، وقد اطلع الخطيب البغدادي على هذا السند وعلى قصة المناظرة ففهم منها أن علياً بن المبارك صاحب الكسائي هو الذي (جرت بينه وبين سيويه مناظرة لما قدم بغداد) ، وهو أقرب بقرن من أبي البركات الأنباري إلى عصر المناظرة^(١) .

والعلامة ابن عاشور نظرات مقيمة أثبتت صدر الحقيقة منها قوله^(٢) :

١ - قال المؤلف (صفحة ٣٥) : « وحرف جاء لمعنى ، وهذا الحرف هو الأداة التي بها ترفع وتنصب وتخفض الاسم وتجزم الفعل » فالباء في قوله (بها ترفع) باء الملائسة أي المصاحبة مثل التي في قوله تعالى (تنبت بالدهن) وليست باء السببية ، لأن كثيراً مما عده المؤلف من الأدوات ليس عاملاً للأعراب فليس بسبب في حصول علامات الإعراب .

أقول : ونحن لم نعلق على قول المؤلف بأن الباء للسببية أو لغيرها ، ولا علقنا عليه ، ولو علقنا عليه لقلنا قول الأستاذ العلامة ، ولكن المفيد في تحقيق الرسالة أنا ذهبنا عن ذكر (بها) في قول المؤلف (التي بها ترفع وتنصب وتخفض) ، فإنها مذكورة في السطر الرابع عشر من صفحة المقدمة المصورة في هذه الرسالة .

(١) ويؤيد ذلك أيضاً الروايات الثلاث لثعلب والمازني والفراء التي ذكرناها في الصفحة ١١ من المقدمة .

(٢) رفقنا نظرات العلامة ابن عاشور ، ليجب عليها بحسب أرقامها .

٢ - وقال (أي المؤلف) في (ص ٣٦) : (ويل) وهو تسامح لان (يل) قد لا يكون ما بعدها مرفوعاً فإنها إذا عطفت المفرد كمن تابعاً لأعراب ما قبله بالعطف فيكون تارة مجزوراً وتارة مضموماً وتارة مرفوعاً ؛ قول الأستاذ الناقد صحيح ، والمؤلف لم يذكر إلا حالة الرفع كقولنا (ما جاء زيد بل عمرو) تسامحاً منه مع الطالب المبتدئ لكيلا تزدحم القواعد في ذهنه الضعيف ، وجرباً على أصول التعليم الحكيم في تعليم المبتدئين ، فقد أصاب الناقد الجيد بقوله (وهو تسامح) أي من المصنف خلف الأحمر رحمه الله .

٣ - وقال في ص ٣٩ (وكم) وجماده إذا وقع بعدها اسم المسؤول عن كمينه نحو كم مالك ؟ وليس يريد بذلك تمييز كم ، وكذلك قول عقبه (وبكم) يريد به إذا قلت (بكم هذا) وقد راعى المؤلف غالب ما ينطق به الناس ، قلت : ومثيل الأستاذ الناقد بهذا أقرب لما ينطق به الناس في لغة التخاطب .

٤ - ووقع في ص ٤١ كلمة (وليث) وهو خطأ لا محالة لأن فعل لث لا يقتضي مفعولاً به ، والمظنون أنه تحريف (كبت) ، قلت : وليس ما يمنع أن يكون هذا من مسخ النسخ لأن النعاين في الخط متشابهان ، على أن المصنف لم يقل إن (لث) يقتضي مفعولاً به ، ولو أنه قال هذا لجزمنا بأنه خطأ ولا محالة ، ولكن المصنف ذكر (الحروف التي تنصب كل شيء أتى بعدها) وفعل (لث) ينصب ما بعده حين يكون ظرف زمان كقوله : (لثت يوماً أو بعض يوم) .

٦ - وقال ص ٤١ : (وأخبارها مرفوعة) وأراد بأخبارها ما به تمام الخبر إذا ضم إلى هذه الحروف وهو المبتدأ الذي يخبر عنه بحروف الجر أو بالظروف أو بالأوصاف اللازمة للإضافة غالباً . قلت وهو لا يختلف عما قلناه في الحاشية (٢)

بلفظ : أي وأخبارها المقدرة مرفوعة كقولك : في الدار زيد ، على ان في كلام
الاستاذ العلامة مزبد ايضاح مفيد .

٧ — وقوله من ٤٥ (وحاشي) فاعدها من الحروف التي يخفص الاسم بعدها ،
وهذا واضح في أن يجعلوا حرف جر ، وهذا موافق لنحو البصرة وقد وافقهم
الفرآء من الكوفيين ، وأما جمهور الكوفيين فيعملون حاشا فعلاً ماضياً فينصب
الاسم بعده أخ ، ونحن نوافق الأستاذ على هذا ، فقد ذكرنا في الحاشية (٣) انها
حرف جر لقولنا « ويكون ما بعدها مجروراً » وهو مذهب سيبويه وأكثر البصريين
نحو : هلك الناس حاشي العالم العامل ، وذهب المازني والأخفش وأبو زيد وغيرهم
إلى انها تستعمل حرف جر كثيراً ، وقليلاً فعلاً متعدياً ، والظاهر ان خلفاً من
هؤلاء البصريين الذين يجرّون بحاشي ، فليس هو من أولئك الكوفيين الذين
يعملونها فعلاً متعدياً ينصب الاسم بعده .

٨ — وقال في ص ٤٦ (والكاف واللام والباء إذا كنّ زوائد) أراد
بالزوائد انها ليست من الحروف الأصلية في الكلمة ، والقصد من هذا زيادة التوضيح
للمبتدئ : لأن هذه الحروف الثلاثة لما كان كل منها موضوعاً على حرف واحد
كانت معرضة لأن تشبه بالحروف الأصلية في الكلمات مثل كاف كلام ولام
اصاب (اسم مكان) وباء ييات .

قلت : بما ذكره الناقد قد يتبادر للذهن على ان المؤلف أراد الزوائد النحوية
التي يخفص بوجودها الاسم بعدها مثال الكاف الزائدة : ليس كمثل شيء ،
ومثال اللام الزائدة : قول الشاعر :

(يا يؤس للحرب التي وضعت أراهم فاستراحوا)

ومثال الباء الزائدة : أنعم بزيد وأكرم به ، وهذا على ما نرى هو ما أراده خلف ،
وما يفيد المبتدئ معرفته .

٩ - وقال في ص ٤٩ (وقال في باب الأمر : « ولا تنس نصيبك من الدنيا »
المثال من قيل النعي وعبر عنه المؤلف بالأمر تسامحاً لأن النعي عن الشيء
أمر بضده .)

قلت : وإنما لم يعبر المؤلف عن مثال الآية بالنعي لأن المبتدئ يفهم الأمر
من النعي بيسر وسهولة ولهذا جعل المؤلف أمثال هذا النعي داخلًا في (باب
الأمر) الذي يشمل النعي والأمر معًا .

١١ - وقال في ص ٥٢ (والنصب يأتي من اثني عشر وجهًا) ثم قال والمدح
والذم ، الظاهر أنه جعل (المدح والذم) وجهًا واحدًا وهو المسعى (القطع) في
الاصطلاح المعروف ، وبذلك صير الوجه المذكورة في التفصيل أحد عشر ،
فيكون قد سقط من النسخة الوجه الثاني عشر وهو الحال ، وذلك ما يقتضيه قوله
في باب تفسير النصب ص ٥٦ : والحال قول الله عز وجل إلى قوله : وهو التمكن .
قلت وفي قوله هذا الصواب كله ، فإن (أبواب التفسير) من هذه المقدمة
كثيراً ما تدلّ بأمثلتها على الأصل .

١٢ - وأصاب الأستاذ الناقد بكشفه عن مراد المؤلف بما سماه (خبر المعرفة)
وهو لقب جديد وغريب من ألقاب النحوي الأولى قبل أن يصطلح النحاة
المتأخرون على الألقاب التي نعرفها ، وأرى أنه كان موفقاً في بحثه عن مراد
المؤلف من (خبر المعرفة) ، وأنه أراد بهذا الاسم ضرباً من ضرب الحال صالحاً
لأن يخص به ، وعسى الله أن يرسل من يلقي نظره الثاقب على هذه المقدمة كما
فعل الأستاذ العلامة ابن عثور ، فإن كثرة التأمل والنظر مما يحل المشكل وينير
الغامض ويبعث الطمأنينة في القلوب .

١٣ - وقال في ص ٥٣ (والواحد الخارج من الجماعة أراد تمييز المقادير كما

سيوضحه بالمثال (ص ٥٨) بقوله (اضربه عشرين سوطاً) وهذه تسمية غريبة لا نعرفها لأحد من النحاة .

قلت : في حاشية هذه النصفحة (٣) ما قصد : لم يرد به الاستثناء كما يتبادر أول وهلة وإنما أراد تمييز العدد الذي مثل له (أي في ص ٥٨) بقوله : (اضربه عشرين سوطاً) والسوط واحد خرج من جماعة ، وهو تمييز واجب النصب ، فقد قلت في التعليق قول الناقد البارع .

١٤ - ووقع في ص ٥٣ قوله : (والإغراء وهو الذي يسميه الكوفيون الاستثناء (كذا) ويسميه البصريون القطع ويسميه بعض أهل العربية التام) قال الناقد : والظاهر أنها محرفة وان صوابها الاستيفاء ، وحينئذ تكون الأسماء الثلاثة متقاربة المعاني ولكن لا يظهر تلقب الإغراء بواحد منها ، فالذي يظهر ان هذه الأسطر منعزلة عن مكانها وانها كانت متصلة بقوله (والمدح والذم) فان المراد بالمدح والذم النعت المقطوع فتسميته بالقطع جائئة من قولهم نعت مقطوع وتسميته الاستيفاء لأنه لا يقطع إلا بعد استيفاء المقطوع ، وما يعرف به من وصف قبل المقطوع ، أو معلوم اشتهاه ، وكذلك تسميته (التام) لأنه يؤتى به غير تابع لأن النعوت تمت أوصافه .

قلت : وهذا التحقيق مما يحيل القلب اليه ، ويكون انزال هذه الأسطر من سهو الناسخ ساعده الله ، ولا يبعد أيضاً أن تكون (الاستثناء) محرفة عن الاستيفاء ، ويجوز انها غير محرفة فيكون في معنى الاستثناء طلب الاثبات من المخاطب بمعنى الإغراء كما بيناه في الحاشية (٧) ، وتفسير (التام) صحيح أيضاً ولا غبار عليه .

١٥ - والجواب على ما بين الحاضرتين ص ٥٥ : انه يجوز أن تكون الأسطر الأربعة كما ذكر الأستاذ الناقد فائدة العقدها الناسخ في آخر المقدمة ، على انا ذكرنا المناسبة في وضعها مع مسائل البتدأ والخبر بقولنا : (كأنه أراد التمثيل

بهذه الأمثلة الاستثنائية لبيان جواز تقديم الخبر على مبتدئه (« ويرى الأستاذ الناقد ان حقها أن توضع في باب الحكاية لأفادة التفرقة بين استفهام الحكاية واستفهام الاستعلام » والله أعلم بالواقع من الكلام .

١٨ — وقال الأستاذ الناقد : (ووقع في ص ٥٩ « وقولك والإغراء » وانظروا انه سقط كلام بعد (وقولك) وانظروا انه مثال للتحذير فيمكن أن يكون الساقط هكذا « وقولك الأسد تريد احذر » الخ .) فأقول إن المؤلف لم يقل وقولك والإغراء وأن وقولك جاءت قبل (والإغراء) بمثال على نصب النفي هو (لا إله إلا الله) بعد أنت استشهد بقوله عز وجل : « ذلك الكتاب لا ريب فيه » شاهد على النصب بلا النافية للجنس ، ثم قال ما نصه : والإغراء وهو مضارع لتحذير قول الله تعالى « عليكم أنفسكم » ولو ذكر التحذير لقال : والتحذير وهو مضارع للإغراء قولك : الأسد تريد احذر ، وليس ما يتبع أن الناسخ بها عن كتابها . ويتبع ص ٦٠ قول الناقد : (وقوله : قُلْ عنها أهل العريضة) يحتمل أن يكون (قُلْ) خطابا لمزاوول هذه المقدمة فيكون نتيجة على أهل العريضة إذ لم ينتبهوا لها ، وحقا لم أر من تعرض لما فيها من معنى التعجب قبل صاحب الكشاف ، ويحتمل أن يضبط قوله (قُلْ) على البناء للتائب من قولهم : قُلتُ الصبي إذا فطمته وهو هنا مجاز : أي فطمهم فاطم عن تذوق معناه . أقول : أنت المؤلف معلم بارع بنبه تلامذته إلى سؤال أهل العلم عن هذه المسألة لترسخ في أذهانهم ، وقدما كان علماء السنة والسلف يطرحون المسألة للبحث انعمي وله في صحيح البخاري باب خاص ، على أن ضبط قُلْ بـ (قُلْ) فيه تكلف ولم ينتشر هذا المجاز على ألسنة العلماء وفي كتبهم على ما أعلم وأرى .

٢٤ — قال في ص ٧٧ « قال الله تعالى يا جبال أدبني معه والطير » جعل المؤلف نصب الطير في القراءات المتواترة حجة على ان الألفصح نصب المعطوف

وضعه ، وإنما اختلفوا في ترجيح أحد الوجهين ، فاخليل وسيبويه والمازني من البصريين رجحوا ضمه ^(١) ، وأبو عمرو ويونس وعيسى بن عمر والجري منهم رجحوا نصبه ، وأحسب أن الكوفيين يرجحون نصبه ولم ينقل لنا عنهم فيه شيء .

قلت : وخلف الأحمر البصري قد وافق في النصب أستاذه البصري يونس ابن حبيب الذي أخذ منه العربية كسيبويه منين طويلة .

٢٦ - وقال في صفحة ٨٠ (باب التحقيق) قال الناقد الناظر : أراد به الاستثناء المفرغ لما دل عليه المثالان ، ولا يعرف هذا الاسم في شيء من كتب النحو وإنما يعبرون عنه بالتفريغ أو الاستثناء المفرغ ، ولعل تسمية (التحقيق) كانت معروفة ثم تنوسبت ، ولعلها كانت منتشرة بين الكوفيين والبصريين . وان الكوفيين سموه (الإيجاب) أيضاً الخ .

وفيما أرى : أن (باب التحقيق ص ٨٠) بدل على أن خلفاً من البصريين لأنه عنوان به الباب ، ولو كان كوفياً لقال (باب الإيجاب) ثم قال المؤلف : والتحقيق يسميه الكوفيون الإيجاب وكان الأستاذ الناقد شعر بهذا فقال : ولعلها كانت مشهورة بين الكوفيين والبصريين وان الكوفيين سموه الإيجاب أيضاً .

قلت : لو كانت تسمية (التحقيق) منتشرة لأشار المؤلف لذلك ولما قال : والتحقيق يسميه الكوفيون الإيجاب ، وتفسير قوله هذا : والتحقيق كما نسميه نحن البصريين يسميه الكوفيون الإيجاب ، ثم إن هذا الباب يورث الارتباك مما ذكره الناقد الفاضل في مقدمة نظراته تحت عنوان (هل يعد خلف الأحمر من نحا المذهب البصري أو من نحا المذهب الكوفي ؟) إذ يقول ما لفظه : (وآثار كونه من أصحاب الطريقة الكوفية تظهر في مواضع من هذه المقدمة إذ يقدم ذكر الكوفيين

(١) يبحث عنهم أجريون م أم كوفيون ؟

على البصريين (فمل قدم خلف في . (باب التحقيق) تسمية (الايجاب) الكوفية
على تسمية (التحقيق) البصرية ؟ .

٢٩ - وقال في صفحة ٩٣ (وكذلك أسماء المواضع فانها لا تتغير ولا تنخفض)
لعله يعني ان أسماء الأماكن نوعان : نوع ممنوع من الاعراب أصلاً وهو
البنيات منها مثل سفار (يوزن حذام : بئر لبني مازن) ونطاق (قرية بالجماعة
وماء لبني تميم) ، ونوع لا ينخفض أي ممنوع من الصرف وهو غالب أسماء
البقاع مثل جلق .

قلت : وهذا شرح من الأستاذ الناقد لكلام المؤلف وهو شرح صحيح مفيد ، ينبغي
ضمه إلى تعليلتنا برقم (١) صفحة ٩٣ ومثل نطاق وسفار ، بلدة ظفار .

٣٢ - وقال في صفحة ٩٩ اخ ونحن نوافقه على ما أشار إليه من الاعتراض
الواقع بين قول الشاعر وقوله (بمعنى كم ورب) ، ثم قال الأستاذ الفهامة :
« فأمّا » ربّ فهي موضوعة للتكثير والتقليل فهي من حروف الاضداد » .

قلت : ولصاحب الاقتضاب البطليمي بحث في (ربّ) يؤيد ويفصل
كلام الأستاذ ابن عاشور ، ونشره في مجلّتنا الأستاذ العراقي الدكتور ابراهيم
السامرائي وقد ذيل الأستاذ الكبير نظراته هذه بتفسيره للشواهد بعنوان
(تفسير الشواهد الشعرية) ويظهر انه وقع مثلنا في حيرة لأنها مشوّعة تشويها
شعرباً وعرضياً ولأنها غير معروفة في شواهد النحو ، وحاول مثلي إصلاح التشويه
بتقليب وجوه الكلام والتفسير ، ولم يصل فيما نرى لنتيجة مقنعة ، وانه بقوله (لعل)
لا يزيل العلة ، مثال ذلك قوله في آخر الشاهد الأول : (ولعل قوله باسمه
تحريف باسمه) ولم يذكر مع (باسمه) كيف كان الشاهد ولا كيف يكون
مع (باسمه) موزوناً ؟ .

والشاهد الثاني ص ٩٢ :

وأبتك أمس أحسن من 'يشي' وأنت اليوم خير بقي معد
لأن العرب لا تقول 'يشي' في موضع 'يشي' ، فإن 'يشي' فعل منعد يقال :
مشاء أي جعله يشي على القياس في تعدية الأفعال اللازمة ، ولذلك قال الحارث
ابن حلزة (يشي) لا يشي في قوله :

ملك مقسط وأفضل من يمشي ومن دون ما لديه القضاء

ومن علل (لعل) قوله في خاتمة (الشاهد الثاني) ما لفظه : (ولعل قائل هذا
الشاهد أخذه من بيت زياد الأعجم الذي ذكره الأستاذ الناشر ، (أو) العكس ،
(أو) هو من توارد الخواطر (أو) هو لزياد الأعجم من قصيدة غير التي منها
البيت الذي على قافية السين) قلت : : وكثرة الآوات (أو) مما يزيد الحيرات
التي دققنا فيها ، ويزيد الحشرات على عدم الظفر بالحقيقة التي تظمن بها القلوب ، وأترك
للقارئ الأديب الكلام على الشاهد الثالث وما كتب عليه من التفسير ، والله
أسأل أن يهدينا إلى صحة هذه الشواهد بالبحر طيبا في كتب النحو والأدب
فيزول بذلك الإشكال ويرتاح منها القلب والبال ، ومع كل ذلك فإني
لا أملك إلا أن أدعو الله بأن يميزي الأستاذ العلامة محمد الطاهر ابن عاشور
عالم المغرب أحسن ما يميز به الفير على العلم والأدب ولفه قومهم العرب
بجته وكرمه .

عز الدين التنوخي

نظرات في المعجم الوسيط - ٦ -

سادساً : تعريف رجال الكهنوت المسيحي
والطوائف والكلمات النصرانية ومختلف أماكن العبادة^(١)

الكلمة	تعريفها في المعجم الوسيط	الملاحظات
البابا	حبر الكاثوليك من النصارى .	الحبر ، كما ورد في المعجم الوسيط نفسه : العالم ؛ ولهذا لم يكن تعريف « البابا » المذكور كافياً ، إلا إذا قيل إنه : الحبر الأعظم ، أو عظيم الأسرار الكاثوليك ، لأن البابا هو رئيس الكنيسة الكاثوليكية في العالم ^(٢) . وإذا كان اسم [بابا] ، وهي كلمة دخيلة على العربية ، وأصل معناها الاوغريتي :

(١) مما يمتاز به للمعجم الوسيط ، تعريفه مختلف درجات رجال الدين المسيحي ، إلى جانب تعريفه
بعض الطوائف المسيحية الهامة ، تعريفات لم يسبق للسجلات القديمة أن أوردت الكثير منها ،
أو أنها أوردتها غير صحيحة ، غير أن بعض ما جاء في المعجم الوسيط ، ورد ببدأ عن الدقة
العلمية ، أو مصطفاً ، أو مقتضياً غير كافٍ ، مما يدعو إلى تعداد ما عثرنا عليه من هذه
التعريفات وغيرها من الكلمات للنص بالعبادة ، مع ما نراه من ملاحظات عليها .

(٢) يعتبر البابا أيضاً ، بالنسبة لأحكام القانون الدولي ، رئيس دولة الفاتيكان ، وذلك منذ معاهدة
(لاتران Latran) الموقعة بينه وبين الدولة الإيطالية سنة ١٩٢٩ لفيلاذ . انظر مؤلف
الدكتور فؤاد شباط عن « الحقوق الدولية العامة » دمشق ١٩٥٩ ص ١١٠ .

الآب ، يطلق ، في العصر الحديث ،
على سبر الكاثوليك الأعظم ، فقد كان
يطلق منذ القرنين الثالث والرابع للميلاد ،
على عدة أساقفة ^(١) ، وما زال يطلق ،
حتى اليوم ، على بطريرك الإسكندرية
للأقباط الأرثوذكس .

« البيطريق » وقد تفتح بأوها ،
كلمة دخلت العربية قديماً ، وهي تعني :
القائد من قواد الروم ، وجمعها :
بطاريق وبطارق وبطارقة .

ودخلت العربية أيضاً كلمة أخرى
هي : البيطرك ومنها : رئيس رؤساء
الأساقفة عند النصارى ، أو العالم أو
الرئيس عند اليهود ، وهذه الكلمة
صفتاً تعريب أخابان هما :
البيطريك والبيطريرك ، وجمعها :
بطارك وبطاريك وبطاركة .

ومن تشابه الكلمتين المذكورتين
في اللفظ ، توهم بعض علماء اللغة ،
أنهما كلمة واحدة ذات صيغ مختلفة ،

البيطريق القائد من قواد الروم . و — الحاذق
بالحرب . و — رئيس رؤساء
الأساقفة . و — العالم عند اليهود .

البيطرك 'مقدم النصارى . و — : رئيس
رؤساء الأساقفة . و — العالم عند
اليهود . (ج) بطارك ، وبطاركة .

(١) انظر كتاب « الدرر النيرة في مختصر تاريخ الكنيسة » ، للبطريرك أفرام برسوم ج ١ ص ٣١٨ ،
ص ١٩٤٠ — وانظر أيضاً مقال البطريرك مقرب الثالث عن « القديس مارسوريوس الكبير »
في مجلة بطريركية انطاكية لسيان الأرثوذكس ، عدد تشرين الأول دمشق سنة ١٩٦٣ .

ودخلت الكمثبات المعجمات القديمة
 كالقاموس ، باعتبارهما تعريب كلمة
 واحدة لها جميع معاني الكلمتين وصيغتهما
 وعلى هذا جرى تفسير بعض الصيغ
 الواردة في كتب الأدب أو التاريخ ،
 أو على ألسنة بعض الشعراء الفايدين^(١) .
 على أن صاحب لسان العرب خص
 كلمة البيطريق بالقائد العظيم من الروم ،
 وكلمة البطرك بمقدم النصارى ، وإن
 أثبت أن البيطرك هو البيطريق أيضاً ،
 كما فعل صاحب القاموس .

وفي أيامنا هذه ، يكاد لا يطلق
 أحد ، كلمة البيطريق على رئيس
 أساقفة النصارى ، فكان من المستحسن
 أن يغفل المعجم الوسيط ، هذا المعنى ،
 رغم وروده في المعجمات القديمة ، وهذا
 ما فعله بعض أصحاب المعجمات الحديثة ،
 كالشرتوني صاحب أقرب الموارد .

(١) يقول البطريك أنرام برصوم : [.. وكثيراً ما يغلط طبعة من الكتاب للماضين لنا ، بخلطهم بين
 لفظة (البطرك والبطريرك) الذي هو رئيس رؤساء أساقفة المسيحيين ، وهو حرف يوقتي
 مناه القبطي رئيس الآباء ، وبين (البطريق) ومعناه باللاتينية : قائد الجيوش ، والخطأ سرى إليهم من
 استعمال الترك أو ممن قسمهم كأبي الفداء في قوله : ومن الكتاب ابن سعيد اللغوي قال
 « البطارقة للنصارى بمنزلة الأئمة » تاريخه ١ : ٩٠] انظر رسالة « الألفاظ السريانية
 في المعاجم العربية » طبع المعجم العلمي العربي سنة ١٩٥١ ص ٧٦ .

ويتنا يغلب اليوم في الاستعمال
اطلاق صيغة (البَطْرِيْرُك) على
رئيس الأساقفة ، فيحد أن المعجم الوسيط ،
قد أغفل الإشارة إلى الصيغة المذكورة .
وعما يلاحظ أن المعجم الوسيط أغفل
ذكر جمع الكلمة الأولى ، كما أغفل
الإشارة إلى أن التكتين من
المعرب أو الدخيل .

الكرديتال أحد الأسماء السبعين ، وهم
صحابة البابا ومستشاروه ، ولهم
الحق في انتخابه من بينهم .
(ج) كرادلة . (د) .

كان المعجم الوسيط ، في فني عن
ذكر ما يتصل بالقوانين الكنسية ،
من تحديد عدد الكرادلة ، الذين أصبح
عددهم اليوم ينتف على الثمانين ، وسبب
هذا الخطأ على ما أظن ، نقل التعريف عن
معجم Larousse الفرنسي ، الذي يردد
في طبعات جديدة معلومات قديمة .
وكان من الواجب عند نقل
التعريف ، إثبات أن الكرادلة هم
وزراء البابا ، لأن بعضهم ، يشغل
بالفعل منصب الوزير في دولة الفاتيكان
(الزمنية) .

الجائليق رئيس لتصارى في بلاد الإسلام ، نقل المعجم الوسيط هذا التعريف
ويكون تحت يد بطريق انطاكية . عن القاموس ، دون تحقيق ، وانكسمة
يونانية الأصل ومعناها : انعام أو الجامع ،
وأخذها تعريب كمة : كاثوليك^(١) ،
ولما صيغة تعريب أخرى في : جثليق ،
وجمعا جثايقة .

والجائليق عند بعض الطوائف المسيحية
الشرقية : 'مقدم الأماقفة أو صاحب
درجة كهنوتية دون البطريك'^(٢) .

المِطْرَانُ الرئيس الديني في عاصمة من
العواصم . (مع) .
هذا التعريف غير دقيق ، وأفضل
تعريف للمِطْرَان هو أنه : رئيس
الكنيسة ، عند التصارى ، وهو دون
البطريك وفوق الأسقف ، كما ورد في
أقرب الموارد .

وعما بلغت النظر ، أن المعجم الوسيط
ضبط الكلمة بكسر الميم ، والشائع

(١) هذا ما أشار إليه أقرب الموارد ، وسنذكره عند اكلام على لفظة 'كاثوليك' ، وتوهم صاحب
الناس أن الجائليق : هو للمروفي الآن بالقتل كفتقد ، وهو يريد (الفضل) وقد ذكر هذه الكلمة
في مادة [ق ن س] وقال عنه : ويبر به عن التوكيل لتصارى في بلاد الإسلام ، وكأنها
— أي كلمة فضل — بهذا المعنى سريانة استعمالها .

(٢) في كتاب 'الدرر النقية في تاريخ الكنيسة' للبطريك انرام برصوم س ٨٦ هـ : [وكرسي المشرق
أول الدائن (سليق وقسطون في بلاد القرس) ورتبة أساقفته الجثيفة (ومنى الجائليق : العام)
فيجلس فيه ستة جنافة ..] .

فحما ، وفي القاموس المحيط : ومطران
النصارى ، ويكسر : لكبيرهم ، لبس
ببريجه يحضرون .

ورد التعريف الأول في مادة (أسق) باعتبار أن الكلمة معربة ، وقد أشير إلى صفتها ، وورد التعريف الثاني في مادة (س ق ف) وفيها : أسقف النصارى فلانا : جعلوه أسقفاً عليهم . ولم يربط المعجم الوسيط بين التعريفين بأي إشارة كأنهما من مادتين مختلفتين ! إن التعريف الأول غير دقيق ، لأن الأسقفية ، في حقيقتها ، كما وردت في التعريف الثالث درجة وليست لقباً لأخبار النصارى .

ومن الغريب أن لفظة مطران ضبطت في التعريف الأول ، بضم الميم ، وهو خطأ ، بينما ضبطت في التعريف الثاني بالفتح والكسر ، وهو صحيح ، وإن لم يثبت المعجم عند تعريف المطران ، كما سبق أن أشرنا إلى ذلك .

وبما يلاحظ أن المعجم الوسيط أثبت تعريف النسبة إلى الأسقف ، بينما أغفل النسبة إلى درجات كهنوتية أم ، كالمطراية ، والبطريركية .

الأسقف : لقب ديني لأخبار النصارى فوق القسيس ودون المطران . (مع) .

الأسقف : (وتخفف الفاء) : رئيس من رؤساء النصارى فوق القسيس ودون المطران . (ج) أساقفة وأساقف .

الأسقفية : درجة الأسقف . و - رعيته . و - موضع ممارسته سلطته . (معدثة) .

القَسُّ	رئيسٌ من رؤساء النصارى في الذين في مرتبة بين الأسقف والشماس . (ج) قسوس ، على زنة فلوس .
القِسِّيُّ	القس . (مع) . (ج) قساوسة ، وقساوسة وقسيسون .
<p>جاء في القاموس المحيط : القَسُّ رئيسُ النصارى في العلم كالقسيس . ج : قسوس وقسيسون وقساوسة . وفي الأساس : قسُّ النصارى وقسيسهم : رؤسهم وكبيرهم . وفي الثسان : القس : رئيس من رؤساء النصارى في الذين والعلم ، واقسيس : كالقس ، وفي أكثر كتب اللغة القديمة ما يقرب من هذه التعريفات أو ما هو منقول عنها ، وقد تقدمها البطريرك أنرام برصوم في رسالته (١) ، وانتهى إلى القول : وكلُّ من هذه التعريفات مغلوطة فيه ، لا يشار اللغويين التقليد على الاجتهاد ، فليس القس رأس المسيحيين ولا رئيسهم ولا كبيرهم ولا عالمهم ، وإنما هو : خادم الكهنوت عندهم ، أي خادم دينهم وإمامهم في أمور عبادتهم . وفي أقرب الموارد : القس من كان بين الأسقف والشماس ، وزاد المنجد : أنه الكاهن . وفي رسالة</p>	

(١) انظر رسالة « الألفاظ السريانية في اللامع العربية » التي سبق أن أشرنا إليها ، ص ١٤٢ .

البطريرك المذكورة آنفاً : القس ومثله
القسيس ، وجمعه قسيسون وقسّان
وأقسّسة ، وهو دون الأسقف وفوق
الشماس ، والقسيسة درجة لا رتبة ،
فإن بعض الرتب تتقدم الخور أسقف^(١) ،
ورأس الدير ، ومقدم الكهنة . واللفظة
ومشتقاتها سريانية ، ومعناها اللغوي :
الشيخ .

الشماس : خادم الكنيسة ، ومرتبته دون
القسيس . (سريانية) . (ج)
شماسية .
جاء في رسالة البطريرك أنطونيوس^(٢) :
الشماس : خادم ديني ، وهو دون
القسيس ومعاونه في أثناء القيام
بإخدم الكهنوتية . وجمعه شمامسة ،
وجمعه البيروني : شماسين ، ومصنف
زيارات الحيرة : شماميس ، وجمعه
البحري : شماس .

(١) جاء في رسالة الألفاظ السريانية ص ٥٩ : " خور أسقف : أسقف الكورة ، لفظة مركبة تركيباً
من (كورا) السريانية و (أسقف) اليونانية ، وخفت قليل فيها خوري ، والجمع
خوارنة ، وذلك بعد أن تطورت سلطة صاحبها . فليت معرفة من اليونانية ، كما قال صاحب
أقرب الموارد ، ويستدرك عليه أيضاً قوله : الخورية زوجة الخوري ، إذ هي لفظة عامية تجوز
باستعمالها أهل بلاد الشام .

والخوري عند النصارى اليوم : الكامن . والكلمة من النخيل ، كما في اللنج ، وهي شائعة
ومعروفة في أكثر البلاد العربية ، ولكن للمصنف الوسيط أغفلها ، فيما أثبت في مادة [س ن ك]
مثلاً لفظة سنكار وهو كتاب سير السالحين والشهداء عند النصارى .

(٢) انظر الرسالة التي سبق أن أشرفنا عليها ، ص ٩٨ .

ورد البطريرك أنرام، في رسالته
المذكورة، على ما ذكره أصحاب
المجملات القديمة، من أن الشمس :
« من رؤوس انصارى يخلق وسط
رأسه ويلزم البيعة .. » قائلاً : ليس
الشمس رأساً للنصارى، وكان قديماً
يلزم البيعة، أما اليوم فلا . والكلمة
سريانية، من الألفاظ المسيحية،
والفعل : شمس : خدم^(١) .

ويستتج عما ذكرناه : أن الشمس
ليس خادم الكنيسة، كما ورد في المعجم
الوسيط بل هو من يقوم بالخدمة الكنسية .

جاء في القاموس : القومس : الأمير،
وكسكر : الرجل الشريف،
والقبامسة : البطارقة .

وفي التاج : القومس كجوه الأمير
بالنبطية .. وقيل هو الأمير بالرومية،
والقمس كسكر : الرجل الشريف،
كذا نقله الصاغاني .. وفسره بالسيد،

القومس : الملك العظيم . و - السيد .
القومس : السيد الشريف . و - في
المسيحية، أحد أصحاب المراتب
الكنسية، كلمة يونانية معناها
المدير، وهو أعلى من القس .
(ج) قامس، وقامسة .
القمس : في المسيحية : القومس .

(١) قال حنين بن اسحق في كتاب القوانين بالسريانية : سميت الشمس « بالسريانية شمشا Shemsho
لخدمتها البصر بنورها » يريد اشتقاقها من فعل شمس وملولته : خدم . انظر للرجع السابق ص ٩٩ .

والجمع قماش وقماسة • والقامسة :
البطارقة ، نقله الصاغاني عن ابن جبار
ولم يذكر واحده •
وفي اللسان : القومس : الملك
الشريف • والقومس : السيد ،
وهو القمس •
وفي معجم من اللغة : القمس :
الرجل الشريف • ج قماش وقماش
وقامسة • والقامسة : البطارقة •
والقمص والقمص : لقب كبير
قسوس القبط • ج قامصة وحشية •
وفي أقرب الموارد : القامسة :
بطارقة أقباط النصارى • القمس :
الرجل الشريف • القومس : الأمير
ج قوامس • واستدرك عليه البطاريك
أفرايم قائلاً : مما يستدرك على
الشرتوني قوله : « القامسة بطارقة
أقباط النصارى » وهو غلط ، ظاهر
صوابه : قامصة جمع قمص : مقدم
قسوس الأقباط أو خواريثهم ، وليس
بطاركتهم ، أخذ من لفظة « إيفومانس »
اليونانية ومعناها زائر أو مدبر ^(١) .

(١) انظر « رسالة الألفاظ السريانية » حاشي ص ١٤٨ .

من هذه التعريفات والأقوال يتبين
أن كلمة القُصَصُ بالنسبة إلى إنا تدل على
درجة كبنوتية عند النصارى الأقباط،
لا في تسمية كلها، كما جاء في المعجم
الوسيط، وهي كلمة معروفة وشائعة على
الألسنة في مصر.

أما كلمة : تَسَّ بالسين المبهمة، فهي
التي تعني الرجل الشريف والسيد أو الأمير
أو الملك العظيم، وهي يونانية الأصل،
وقد يكون من صيغ تعريبها :
القَوَمَسْ، ويبدو لي أن معنى هاتين
الصيغتين التيس على بعض علماء اللغة
مع معنى كلمة القُصَصُ، التي قد
تكون حبشية النجاء، كما في معجم متن
اللغة، وسبب الالتباس ما ورد في
الحجرات القديمة من خلط بين المعنيين.

جاء في القاموس المحيط : قرأه
قراءةً وقرأنا فهو قارئ من قرأه
وقراء وقارئين قراءاً... والقراء
ككتان الحسن القراءة . ج
قراءون لا يكسر، وكرمات :
التاسيك المتعبد كالتاري

التاسيك المتعبد . و - الحسن
القراءة للقرآن .

القراءة

والمُتَقَرِّئُ • جُ قَرَأُونِ وَقَوَّارِي •
 وفي مختار الصحاح : وجمع القاري
 قرأه مثل كافر وكفرة ، والقراء
 بالضم والمد المتنك ، وقد يكون
 جمع قاري •

وفي اللسان : ورجل قرأه :
 حَسَنُ الْقِرَاءَةِ من قوم قَرَّائِينَ ،
 وَلَا يُكْتَرُ. والقَارِيءُ والمُتَقَرِّئُ
 والقُرَّاءُ كُتِبَ : التاميكُ مثل
 حُسَّانٍ وَجَمَالٍ ، وفي الصحاح قال
 القراء : أَنشدني أَبُو حَمدَةَ اللُّيَظِيُّ •
 بَيْضَاءُ قِطَاطُ الْقَرِيّ وَقَسْتَبِي
 بِالْحُسْنِ قَلْبَ الْمُسْلِمِ الْقُرَّاءِ
 القُرَّاءُ : يكون من القراءة جمع
 قاري ، ولا يكون من التنك ،
 وهو أحسن •

وفي صحاح العربية للجوهري :
 وجمع القاري قرأه ، مثال كافر
 وكفرة ، والقراء الرجل المتنك ،
 وقد تقرأ أي تنك والجمع القراون •
 قال القراء : أَنشدني الخ • • وقد
 يكون القراء جمعاً لقاري •

وفي أساس البلاغة : وفلان قارئ
 وقرّاء : ناسك عابد ، وهو من القرّاء .
 من هذا العرض لأقوال علماء اللغة
 في لفظة قرّاء ، بمعنى الناسك المتعب ،
 نجد اختلافاً بينهم في ضبط قافها ،
 إذ ضبطها الفيروز آبادي بالضم ،
 كما لو كانت جمعاً لقارئ ، بينما أظهر
 غيره الشك في هذا الضبط ، أما الزحشرى
 في الأساس ، فقد جزم بأن الناسك
 المتعب هو القرّاء ، أي بفتح القاف .
 وجاء الشرتوني صاحب أقرب
 الموارد ، فأثبت لفظة قرّاء بمعنى
 الناسك المتعب ، وذكر أيضاً أن
 القارئ هو : الناسك المتعب . — من
 دخل في أصغر درجات الرهبان
 (نصرانية) . واستدرك البطريق
 أفرام برصوم عليه قاتلاً : أن
 القارئ : من دخل في إحدى درجات
 الشمسية الصغرى ، ووظيفته تلاوة
 كتاب الله على جماعة المؤمنين . واللفظة
 صريانية ^(١) .

(١) انظر « رسالة الألفاظ الصريانية » ص ١٣٨ .

من كل هذا نجد أن المعجم الوسيط،
أخقل عند تعريف القارئ بأنه: الناسك
المعبد، وأنه من صفات رجال الكهنوت.
كما أن المعجم الوسيط، في إثباته
تعريف القراء، بمعنى الناسك، يغير
القاف، يكون قد قل عن القاموس
ما شك فيه علماء اللغة الآخرون، وفي
رأينا: إنه لا يصح أن تكون كلمة قراء
بمعنى الناسك، إلا إذا ضبطت
بفتح القاف.

ومن الغريب أن المعجم الوسيط،
ذكر أن كلاً من كلتي: القراء،
والقراء، بمعنى: الحسن القراءة،
وكان الأولى به الاكتفاء بالثانية،
لأن الأولى مشكوك بفسطها بمعنى
الناسك، فكيف يكون لها المعنى
الآخر، وما هي إلا جمع قارئ؟

في أقرب الموارد: الكاهن عند
النصارى واليهود وعبد الأوثان:
الذي يقدم الذبائح والقرايين، وربما
كان مأخوذاً في الأصل من معنى القضاء.

الكاهن
عند اليهود والنصارى وغيرهم: من
ارتقى إلى درجة الكهنوت
وساغ له أن يقدم الذبائح
والقرايين ويتولى الشئون الدينية.

الكهنوت	وظيفة الكاهن . (د) . ورجال الكهنوت : رجال الدين عند اليهود والنصارى ونحوهم .
بالغيب	كـ كانت تفعل كهنه
اثنتين واليهود . والكهنوت :	وظيفة الكاهن (سريانية) . ومسر
الكهنوت : من أمرار البيعة	البطرسيه السبعة .
وفي المنجد : الكاهن : عند اليهود	وعبد الاوثان : الذي يقدم الذبائح
والقرايين . و- عند النصارى : من	ارتقى إلى درجة الكهنوت . ج .
كهنه ركهان . والكهنوت :	وظيفة الكاهن . رتبته . و « مسر
الكهنوت » : هو أحد أمرار الكنيسة	المقدسة .
وفي معجم متن اللغة : الكاهن :	من يقوم بأمر الرجل أو يخلفه في أهله
ويسعى في حاجته . ومنه «سبي خادم	الدين» عند غير المسلمين ، كاهننا .
من هذه التعريفات يتبين أن الكاهن :	هو الذي يقدم الذبائح والقرايين
وخادم الدين عند غير المسلمين ، وعند	النصارى : من ارتقى إلى «درجة الكهنوت» .
هذا وإن اغفال المعجم الوسيط الإشارة في	

تعريف الكهنوت ، إلى سر الكهنوت
عند النصارى نقص في التعريف .
وبلاحظ أن ذكره : وغيرهم أو ونحوهم
في التعريفين ، تجهيل يحسن الابتعاد عنه ،
في مثل المعجم الوسيط .
وبما يلاحظ أيضاً في تعريف كلمة
الكهنوت ، اغفال ضبط الهاء فيها ،
وهي بالفتح .

قال صاحب القاموس : الراهبُ
واحد رهبان النصارى ومصدره الرهبنة
والرهبانية أو الرهبان بالضم قد
يكون واحداً ج رهايين ورهائنة
ورهبانئون ، ولارهبانية في الإسلام ،
هي كالاختصاص واعتناق السلاسل
ولبس الملوحة وترك اللحم ونحوها .
وفي اللسان : ترهب الرجل إذا
صار راهباً يمتشي الله . والراهبُ :
المتعبد في الصومعة ، وأحد
رهبان النصارى . . والجمع الرهبان ،
والرهبانة خطأ ، وقد يكون
الرهبان واحداً وجمعاً . . والاسم :
الرهبانية . . والرهبنة : فعلته
منه أو فعلته . . وفي الحديث :

الراهبُ المتعبد في صومعة من النصارى
يغفل عن أشغال الدنيا وملاذمها ،
زاهداً فيها معتزلاً أهلها .
(ج) رهبان . وقد يكون
الرهبان واحداً . (ج)
رهايين ورهائنة .
الرهبانية التغلّي عن أشغال الدنيا وترك
ملاذمها والزهد فيها والعزلة
عن أهلها .
الرهبنة الرهبانية .
ترهب الراهب : انقطع لعبادة في
صومعته . و - فلان تعبد .

لا رَهْبَانِيَّة في الإسلام ، هي
 كالاختصاص واعتناق السلاسل وما أشبه
 ذلك ، مما كانت الرهبانية تتكلفه ..
 قال ابن الأثير : هي من رهبنة
 النصارى . قال : وأصلها من الرهبنة :
 الخوف ؛ كانوا يترهبون بالتخلي
 من أشغال الدنيا ، وترك ملاذها ،
 والزهد فيها ، والعزلة عن أهلها ،
 وتعمد مشاقها ، حتى أن منهم
 من كان يمتحي نفسه ويضع السلسلة
 في عنقه وغير ذلك من أنواع التعذيب ،
 فنفاها النبي ﷺ ، عن الإسلام ،
 ونهى المسلمين عنها .

وفي أقرب الموارد : ترهب الرجل :
 صار راهباً وتعبداً . والراهب : من
 ترهب أي من تبتل لله واعتزل
 عن الناس إلى الدبر طلباً للعبادة . ج
 رُهبان ، وهي (راهبة) ج راهبات
 ورَوَّاهب .

من هذه التعريفات ترى أن المعجم
 الوسيط قد اختار لكلمة الراهب ، التعريف
 الأكثر بديهة ، وأغفل الإشارة

الصريحة إلى أهم مظاهر الترهيب ،
 ألا وهو : التبتل ، أي ترك الزواج
 طلباً للعبادة ، ومن أجله قال الرسول
 ﷺ : لا رهبانية في الإسلام .
 ومما فلاحظ في تعريف الرهبانية ،
 أنه يقتضي فيه القول بأنها : طريقة
 الرهبان ، وفي تعريف الرهبنة : أنها
 طريقة الرهبان ، ومحل اجتماعهم .

تعريف الأرثوذكس ، كما ورد
 في المعجم الوسيط ، محل نقد شديد ،
 فالأرثوذكس ليس اسماً لأحدى
 الطوائف المسيحية الكبرى ، بل هو
 اسم توصف به عدة طوائف مسيحية ،
 وهذه الطوائف لا تجمع على القول
 بأن للمسيح طبيعة واحدة ، كما أن
 اسم اليعاقبة لا يطلق على كل أرثوذكسي .
 والأرثوذكس اسم يطلق اليوم ،
 على مجموعتين من الكنائس المسيحية :
 الأولى : الكنائس المسيحية
 البيزنطية شرق الكنييسة الرومانية
 الكاثوليكية الشرقي ، وهو الذي قام منذ

أرثوذكس كلمة يونانية ، أصل معناها
 الرأي المستقيم ، وهو اسم لأحدى
 الطوائف المسيحية الكبرى
 القائمة ، يقولون إن للمسيح طبيعة
 واحدة ، ومشيئة واحدة ،
 ويسمّون قديماً ، اليعاقبة . ومعتق
 هذا المذهب : أرثوذكسي .

اليعاقبة فرقة من النصارى أتباع يعقوب
 البراذعي ، أسقف انطاكية في
 القرن السادس للميلاد ، يقولون
 باتحاد اللاهوت والناسوت ،
 ويعرفون بأصحاب الطبيعة الواحدة .
 اليعاقبة . و - مذهبهم .

القرن الحادي عشر للميلاد ، في كل
من : روسية وانيونان ودول البلقان
والبلاد العربية .

الثانية : تشمل أربع طوائف من
المسيحيين القائلين بالطبيعة الواحدة
لمسيح ، وهذه الطوائف هي : انشريتان
والأقباط والأحباش والأرمن .

هذا وإن تسمية النسطورية ، أصح
الطبيعة الواحدة ، القائلين باتحاد
اللاهوت والناسوت باليعاقبة ، موضع
استنكار منهم ، لاعتقادهم بأنها تسمية
طارئة دخيلة ، أطلقت عليهم من جانب
خصومهم بقصد الطعن والتحقير ، وهم ،
برغم مكانة يعقوب البرادعي لديهم ،
يرفضون ادعاء أخصائهم بأنه جاء
بأي عقيدة جديدة ^(١) .

لقد كان من الواجب ، مراعاة كل
هذه الحقائق التاريخية ، عند تعريف
الأرثوذكس واليعاقبة في المعجم الوسيط .

(١) انظر بحث نعمة الله دنو السرياني عن « اليعقوية » للنشور في العدد الثاني عشر من السنة الثانية
من المجلة البطريركية لسيان الأرثوذكس بدمشق ١٩٦٣ م .

ومما يلاحظ على تعريف البعابة ،
 ذكر أن يعقوب البرادعي ، كان أسقف
 انطاكية ، وليس في كتب التاريخ
 الكنسي ما يشير إلى أن يعقوب
 المذكور تولى أسقفية انطاكية^(١) ،
 بل المعروف أنه كان أسقف الرها
 وبلاد الشام^(٢) .

ومما يلاحظ على التعريف المذكور
 أيضاً ، اثبات لفظة البرادعي بالدال
 المعجمة ، خلافاً للمشهور ، فاسمه في
 السريانية (بُرْدَعُونو) أي
 « البردعي » نسبة إلى (بُرْدَعُونو)
 وهي البردعة بالعريية ، ولا مبرر
 لاعتجام الدال فيه ، ما دامت البردعة
 في العريية ، كما في القاموس والمعجم
 الوسيط نفسه ، هي البردعة .

البروتستانتية مذهب مسيحي ابتدعه (لوثر) .
 كان من المستحسن أن لا ينقل
 المعجم الوسيط هذا التعريف ، ليعتمد

(١) انظر ترجمة مار يعقوب البرادعي في كتاب « الأوّل للثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية »

تأليف بطريرك أنطاكية برصوم ص ٢٦٠ ح ١٩٤٣ .

(٢) الرها أو الرهاة مدينة في الجزيرة شمالي بلاد الشام ، وهي اليوم في الحدود السورية
 - الجمهورية التركية .

عن لفظة « ابتدعه » لما توحيده من معنى
 قد يؤذي أصحاب المذهب المذكور .
 إن مؤلف المعجم ، وهو من الآباء
 اليسوعيين ، يعرف الكنائس البروتستانتية
 بأنها : [الكنائس المسيحية الغربية التي
 انفصلت عن الكنيسة الكاثوليكية في
 أيام « الإصلاح » تحت تأثير لوتيروس
 وكلفينوس . انتشرت في ألمانيا واسرج
 ونروج ودينمارك وسكوتلندا وسويسرا
 ثم في أمريكا الشمالية ، منشعبة إلى
 كنائس يختلف بعضها عن بعض في
 عقائدها وقوانينها] .

ليس الروم الكاثوليك ، سوى
 طائفة من طوائف المسيحيين الشرقيين
 الكاثوليك ، فاكثفاء المعجم الوسيط في
 تعريف الكاثوليك ، بذكرهم دون
 غيرهم ، لا مبرر له في معجم لغوي .

وبلاحظ في التعريف ، وروده في
 مادة [ك ت ل] أي بآيات لفظة كاثوليك
 بالمشاء ، والشائع في كتابة حرفي th
 الاغريقيين عند التعريب اثباتها ثاء .
 وهذا ما يفعله الكاثوليك العرب أنفسهم في

الكاثوليك أتباع البابا من النصارى ، منهم
 الروم الكاثوليك . الواحد :
 (كاثوليكي) . (د) .

كتابة صفتهم^(١) ، بينما يطلق المعجم
الوسيط عليهم اسم: كاثوليك ، خلافاً
لما أطلقه عليهم عند تعريفه كلمة «بابا» .
وإذا كانت المشهور في كلمة
« كاثوليك » أنها عَلم على أتباع
البابا رأس الكنيسة الرومانية ، فإنها
كثيراً ما تستعمل بمعنى « الجامعة » كما
وردت في قانون الإيمان المسيحي ،
ولكلمة مشتقات عربية ، تعتبر من درجات
الكهنوت عند بعض الطوائف المسيحية
الشرقية^(٢) .

(يتبع)

عدنان الخطيب

-
- (١) إن كلمة كاثوليك وردت في مادة [ك ت ل] في كل من أقرب الموارد والنجد ، على أن للنجد
النوري أئمتها في مادة [ك ت ل] أيضاً ، بينما أئمتها متجد الأعلام في مادة [ك ا ث] .
(٢) ورد في أقرب الموارد : الكاثوليك : عند بعض النصارى بين البطريرك والطران ، ويدال له
الحائلق أيضاً (مخيل) انظر ملاحظتنا على كلمة جائلق .

قرة العيون في أخبار باب جيرون

تمهيد :

هذه رسالة جديدة للمؤرخ الدمشقي شمس الدين محمد بن طولون الصالح المتوفى سنة ٩٥٣ هـ / ١٥٤٦ م . تبحث فيها عن باب جيرون بدمشق وما أثر حوله من مناقشات بين العلماء خلال قرون عديدة ، منذ اشتهر بما أنعم فيه المؤرخ الدمشقي أبو شامة المتوفى سنة ٦٦٥ هـ في كتابه « الباعث على انكار البسع والحوادث » ، حتى يجيء ابن طولون نفسه في القرن العاشر .

وقد شارك في هذه المناقشات كبار العلماء في دمشق خلال تلك القرون .
وقد رأينا نشر هذا النص لأنه من النصوص التي تفيد في تأريخ مدينتنا دمشق ، ويقدم مواد لدراسة الطبوغرافية التاريخية لهذه المدينة .

وأصل هذه الرسالة محفوظ في دار الكتب الظاهرية بدمشق ، برقم ٦٢٤ هـ عام ، وكنا قلناه في شباط من عام ١٩٤٦ .

ولم يقع لي نسخة ثانية من النص على كثرة تقبي آثار هذا المؤرخ .
أما ترجمة ابن طولون ، فقد ذكرنا مصادرها في تواليقنا :

- ١ - المؤرخون الدمشقيون وآثارهم المخطوطة .
- ٢ - مقدمتنا لكتاب الأئمة الاثنى عشر لابن طولون .
- ٣ - المؤرخون الدمشقيون في العهد العثماني .
- ٤ - مادة « ابن طولون » في دائرة المعارف الجديدة لقواد افرام البستاني .
وإن شاء أن يرجع اليها للتوسع .
والحمد لله ، على ما أعان ، من نشر النصوص المتعلقة بدمشق ، ومنه نستمد العون على نشر ما لم ينشر بعد وهو الموفق .

بيروت :

صلاح الدين النجم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين . الحمد لله الذي لا تغيره الأزمان . والصلاة والسلام
على سيدنا محمد وآله وصحبه الأعيان .

وبعد . هذا تعليق سمّيته « قرة العيون في أخبار باب جيرون » . وهو :
قال ابن شاكر^(١) في كتابه « عيون التواريخ » في سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة :
وفي سادس عشر صفر منها وقع حريق عند باب جيرون ، فاحترقت دُكان
القفاعي الكبيرة^(٢) وما حولها ، واتسع انشاعاً فظيماً . وكانت ليلة كثيرة
المهوى ، وارتفع ارتفاعاً عظيماً ، واستمرّ إلى أثناء النهار . فخصر جماعة من
الأمراء والحجّاب ومتولّي البلدة ، وجاء الرجال من كل مكان فأطفأوه^(٣) .
واستمرّ الحريق [واتصل] بالباب الأصفر النحاس . فبادر ديوان الجامع إليه ،
فكشفوا ما عليه من النحاس ، ونقلوه من يومه إلى خزانة الحاصل ، ثم غدّوا
عليه يكسرون خشب الفؤوس وكان من خشب الصنوبر ، وهو في غاية القوة
والثبات ، وتأصّف الناس عليه لكونه كان من محاسن البلد ومعالمه ، وله في
الوجود ما ينيف عن أربعة آلاف سنة . ولم يُرَ بابٌ أوسع منه ولا أعلى فيما
يُعرّف من الأبنية في الزمان منه . وله علققان من النحاس الأصفر بمسامير
كبار من النحاس بارزة ، وهو من عجائب الدنيا ومحاسن دمشق ومعالمها وقديم
بناؤها ، وقد ذكرته الشعراء في أشعارها ، والعرب في أمثالها .

(١) توفي سنة ٧٦٤ هـ .

(٢) حدّد ابن كثير مكان هذه الدكان فقال : « عند باب جيرون شرقي » ووصف
الدكان أنها كانت « مزخرفة » . انظر : البداية ١٤ - ٢٤١ .

(٣) في الأصل « بأضواء » .

وهو منسوبٌ إلى ملك يُقالُ له جيرون بن سعد بن عاد بن عوص بن أرم
ابن سام بن نوح ، وهو الذي بناء . وكان بناء قبل إبراهيم الخليل ، بل قبل
ثمود وهو صليح السلام ، على ما ذكره الحافظ ابن عساكر في « تاريخه »^(١)
وغيره . وكان فوقه حصنٌ عظيمٌ . ويُقالُ بل هو منسوبٌ إلى اسم المارد الذي
بناء سليمان بن داود عليه السلام . وكان اسم ذلك المارد جيرون . والأولُ
أشهر وأظهر .

فعلى القول الأول يكون لهذا الباب من المدد المخطاولة ما يقارب خمسة آلاف
سنة ، ولكل أجل كتاب .

وذكر الحافظ ابن عساكر في الجزء الأول من « تاريخه » قال :^(٢) لما فتح
عبدُ الله بن عليّ دمشق وانتزعها من أيدي بني أمية هدمَ سورَ دمشق . فوجد
صخرةً عليها مكتوبٌ باليونانية . فأتوا يراهب يقرأه ، فإذا مكتوبٌ :

« مَنْ رَأَى مَكْرَ بَشَرٍ قَصَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى . إِذَا وَهَى مِنْكَ جِيْرُونَ وَبَلَكَ مِنْ
خَمْسَةِ أَعْيُنَ تَقْضَى سَوْرَكَ عَلَى يَدَيْهِ بَعْدَ أَرْبَعَةِ آلَافِ سَنَةٍ تَعِيشِينَ رَغْدًا .
فَإِذَا وَهَى مِنْكَ جِيْرُونَ الشَّرْقِيُّ أَدِيلُ لَكَ عَنْ تَعَرَّضَ لَكَ » .

قال فوجدنا الخمة أعين : عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب .
فهذا يقتضي أنه كان لسورها إلى حين إخراجها على يد عبد الله المذكور
أربعة آلاف سنة ، وذلك في سنة ثلاث وثلاثين ومئة . فعلى هذا يكون
لهذا الباب إلى يوم أُخرب من هذه السنة ، أعني سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة
أربعة آلاف وست مئة واحد وعشرون سنة والله تعالى أعلم .

(١) انظر تاريخ مدينة دمشق ، المجلد الأول (تحقيقنا) ص ١٠ - ١١ .

(٢) انظر تاريخ مدينة دمشق ، المجلد الأول ص ١٥ . والنسب هنا يختلف قليلاً عما
هو عليه في التاريخ .

وقد ذكر ابن عساكر أن نوحاً عليه السلام هو الذي أسس دمشق بعد حرّان ، وذلك بعد مضي الطوفان^(١) .

وقيل^(٢) بنى دمشق غلامٌ ذي القرنين بإشارته ، وقيل غازي الملقب بدمشق ، وهو غلامٌ الخليل عليه السلام .
وقيل غير ذلك من الأقوال .

وأظهرها أنها من بناء اليونان ، لأن محاريب معابدها كانت موجهة إلى القطب الشمالي ، ثم كان بعدم النصارى فصّلتوا فيها إلى المشرق ، ثم كان بعدم المسلمون فصّلتوا إلى الكعبة المشرفة .

وذكر ابن عساكر^(٣) وغيره أن أبوابها كانت سبعة ، كل منها يتخذون عنده عبداً طيبكل من المياكل السبعة . فللقصر باب السلام ، وكانوا يسمونه باب الفراديس الصغير . ولعطارد باب الفراديس الكبير ، وللزهرة باب ثوما ، وللشمس الباب الشرقي ، وللمريخ باب الجاية الصغير ، وللمشتري باب الجاية الكبير ، ولزحل باب كيسان ، وهو الآت مسدود ، وباب النصر وباب الفرج منجدان .

وقد استقصى أخبار دمشق التاج نصر الله بن حواري الحنفي التنوخي^(٤) في كتاب سماه « إيقاظ الؤنان في تفضيل دمشق على سائر البلدان »^(٥) . وهو في ثلاث مجلدات كبار من أحسن ما صُنف في معناه ٨١٠ .

(١) انظر المصدر السابق ، ص ١١ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٣ - ١٤ .

(٣) انظر ما قاله ابن عساكر في ص ١٥ من المصدر السابق .

(٤) هو نصر الله بن عبد النعم بن حواري التنوخي الحنفي . من الأدباء . عمر صجداً بدمشق عند طواحين الأشنان تأتى في عمارته . توفي سنة ٦٧٣ هـ . ومما في الثغرات : شرف الدين . (انظر الثغرات ٥ - ٣٤١) .

(٥) في الأصل « إيقاظ الؤنان وأفضل ما يمكن من البلدان » . أجتزأ في الثغرات .

وقد قرأتُ على شيخنا العلامة تقي الدين أبي بكر [بن] قاضي عجّلون^(١) الشافعي : قُتِبَ ، رضي الله عنكم ؛ قد سألتني بعض الأصحاب أن أجمع ما ذكره العلماء ، رضي الله عنهم وأعاد من يركبهم ، في المكان الذي هو طريق في أحد أبواب جيرون الشمالي أحد أبواب دمشق المحروسة وتزعم الطائفة الرافضة ومن تبعهم في الجبل والضلال ، ضاعف الله عليهم النكال ، أن بعض أهل البيت مدفون في هذا المكان ، وذلك من أعظم البهتان ، وإنما هو طريق للمسلمين لا يشك فيه من له أدنى بصيرة وتمسك بالدين . فأجبتُ السائل إلى ما سأل ليؤمنتم الحق في ذلك ولا يلتفتت إلى قول كل ضالٍ وهالك . فأقول وبالله التوفيق ويبدء الهداية إلى سواء الطريق :

قد ذكر حافظ الإسلام أبو محمد وأبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن المقدسي ثم الدمشقي الشافعي الشهير بأبي شامة^(٢) ، تغمده الله برحمته ، وأعاد من يركبه ، في كتابه «الباعث على إنكار البدع والحوادث»^(٣) ، وقد روينا عن جماعة منهم قاضي القضاة شيوخ الإسلام والحفاظ أحمد بن علي بن حجر الشافعي^(٤) ، وحافظ البلاد الشامية شمس الدين محمد بن أبي بكر الشهير بابن ناصر الدين الشافعي^(٥) ، والشيخ الصالح المسند رحلة وقته أبو الحسن علاء الدين علي بن

(١) هو تقي الدين أبو بكر بن عبد الله . . . بن قاضي عجّلون الشافعي ، شيخ الإسلام .

توفي سنة ٩٢٨ هـ . ترجمته في الشذرات ٨ - ١٥٧ .

(٢) مؤرخ دمشقي مشهور . توفي سنة ٦٦٥ هـ . انظر كتابنا : للؤرخون الدمشقيون وآثارهم المخطوطة ص ٣٣ .

(٣) طبع هذا الكتاب مرتين : الأولى بناية محمد فؤاد متقارة بالقاهرة سنة ١٩٢٦ ، وظهرت الطبعة الثانية له سنة ١٩٥٥ . انظر كتابنا : معجم المخطوطات للطباعة ص ٣٨ .

(٤) توفي سنة ٨٥٢ هـ .

(٥) توفي سنة ٨٤٢ هـ .

العلامة عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن محمد يَرْدَس البلي الخبلي^(١) ،
إجازة خاصة من الأول والثالث ، وعامة من الثاني إن لم تكن خاصة : قال
الأول والثاني :

أخبرنا جماعة منهم العلامة أبو اسحاق إبراهيم بن أحمد بن عبد الواحد البملي
المعروف بالشامي^(٢) ، إجازة ، وقال الثالث : أخبرنا الإمام أبو اسحاق إبراهيم
ابن محمد الغني الأسيوطي^(٣) ، قال : أخبرنا العلامة قاضي القضاة بدر الدين
أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة^(٤) ، إجازة ، زاد الحافظ
ابن ناصر الدين فقال : وأخبرنا الحافظ شمس الدين أبو بكر محمد بن الإمام
أبي محمد عبد الله بن أحمد بن الحب السعدي^(٥) ، إجازة ، قال هو والبرهان
الشامي أيضا : أخبرنا الشيخ الفاضل جمال الدين أبو الحسن علي بن يحيى بن
أبي بكر الشاطبي^(٦) ، إجازة ، قال هو وجماعة : أخبرنا الشيخ الإمام العالم
الحافظ بقية المجتهدين أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي
الشافعي الشهير بأبي شامة رحمه الله ، قال ابن جماعة : إجازة ، والشاطبي قراءة
عليه ، وأنا أسمع في شهر ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين وست مئة بالمدرسة
العادية بدمشق قال في كتابه المذكور :

(١) توفي سنة ٨٤٥ هـ .

(٢) توفي سنة ٨٠٠ هـ ، وهو شيخ ابن حجر .

(٣) توفي سنة ٧٩٠ هـ ، انظر بنية البوعاء ١٨٧ .

(٤) توفي سنة ٧٣٣ هـ . انظر الدرر ٣/٣٤٨ رقم ٧٤٦ وكان قاضي دمشق .

(٥) دمشق توفي سنة ٧٨٩ هـ . انظر الدرر ٣/٤١٠ رقم ١٢٤٩ .

(٦) دمشق ، توفي سنة ٧٢١ هـ عن خمس وثلاثين سنة .

« قلتُ : ولقد أعجبتني ما صنفه الشيخ أبو إسحاق الجبائي ^(١) أحد الناصحين
 ببلاد إفريقية في المئة الرابعة ، حكى عنه صاحبُ الشيخ أبو عبد الله محمد بن
 أبي العباس المؤدب أنه كان إلى جنبه عينٌ تسمى عين العافية . [كانت العامة] ^(٢)
 قد افتتنوا بها بأنونها من الآفاق . من تمذّر عليها ^(٣) نكاح أو ابن قالت :
 امضوا بي إلى العافية . قال أبو عبد الله : فأنا في السحر ذات ليلة لاذت سميتُ
 أذان أبي إسحاق فحوها . [فخرجت] ^(٤) فوجدته قد هدمها وأذن الصبح عليها .
 ثم قال : الله قد هدمتها لك ، فلا ترفع لها رأساً . قال : فما رُفع لها
 رأسٌ إلى الآن . »

« قلتُ : وأدهى من ذلك وأمرٌ إقدامهم على قطع الطريق السابلة
 بجيرون في أحد الأبواب الثلاثة القديمة العادية ، التي هي من بناء الجن في زمن
 سليمان بن داود عليها السلام ، أو من بناء ذي القرتين ، وقيل فيها غير ذلك
 مما يؤذن بالتقدم على ما قلناه في كتاب « تاريخ مدينة دمشق » حرسها الله
 تعالى وهو الباب الشمالي . ذكر لي بعضُ من لا يوثق به في شهر سنة
 ست وثلاثين وست مئة أنه رأى مناماً يقتضي أن ذلك المكان دُان فيه بعضُ
 أهل البيت . وقد أخبرني عنه ثقة أنه اعترف له أنه افعل ذلك ، فقطعوا
 طريق المازة فيه ، وجعلوا الباب بكائه مسجداً مقصوداً وقد كان طريقاً يضيق
 بالكه . فتضاعف الضيق والخرج على من دخله وخرج ، ضاعف الله
 نكال من تسبب في بنائه ، وأجزل ثواب من أعان على هدمه وإزالة

(١) في الأصل « الجبائي » ، وفي الباعث للطبوع ص ١٩ « الجبائي » .

(٢) الزيادة من الباعث .

(٣) في الأصل « عليه » ، صححناها من الباعث .

اعتدائه ، اتباعاً لسنة النبي ﷺ في هدم مسجد الفيرار^(١) المراد صد لأعدائه من الكفار . فلم ينظر الشرع إلى كونه مجداً ، وهدمه لما قصد به من السوء والأذى . وقال الله سبحانه لنبيه ﷺ : ﴿ لا تقم فيه أبداً ﴾^(٢) . فسأل الله الكريم مغافاته من كل ما يخالف رضاه ، وأن لا يجعلنا من أضلته فاتخذ إله هواه . انتهى كلام أبي شامة في كتابه الملذكور .

ومن ترجمته ما ذكره غير واحد من الأئمة منهم شيخ الإسلام تقي الدين ابن قاضي شعبة الأسدي^(٣) في «طبقاته» وترويضها عنه إجازة : أنه ذو فتون متعددة ، فقيه ، مقري ، نحوي ، محدث ، وختم القرآن وله ست عشرة سنة ، وأخذ عن الشيخين سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام^(٤) ، وشيخ الإسلام تقي الدين ابن الصلاح^(٥) . قال الحافظ ابن كثير^(٦) : أخبرني الحافظ علم الدين البرزالي عن الشيخ تاج الدين الفزاري أنه كان يقول : بلغه أن الشيخ شهاب الدين أباشامة رتبته الاجتهاد . وقال الإمام الذهبي^(٧) : وكتب

(١) انظر خبر هذا المسجد في فتوح البلدان ج ١ - ص ٢ (تحقيقنا) .

(٢) سورة التوبة ، ٩ ، الآية ١٠٨ .

(٣) توفي سنة ٨٥١ هـ ، وهو من أكبر مؤرخي الإسلام . وله «طبقات الشافعية» . انظر المؤرخون المسلمون ص ٦٤ .

(٤) عبد العزيز بن عبد السلام ، توفي سنة ٦٦٠ هـ . انظر ذيل الروضتين ص ٢١٦ .

(٥) عثمان بن عبد الرحمن ، توفي سنة ٦٤٣ هـ . انظر ذيل الروضتين ص ١٧٦ .

(٦) مؤرخ مشهور ، صاحب «ابتداء وانهاء» . توفي سنة ٧٧٤ هـ . (المؤرخون المسلمون ، ص ٥٥) وانظر قول ابن كثير في البداية ١٣ - ٢٥٠ .

(٧) من أكبر مؤرخي الإسلام ، وصاحب «تاريخ الإسلام» . توفي سنة ٧٤٨ هـ . انظر عنه كتابنا أعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب ، الجزء الثالث ؛ وللمؤرخون المسلمون ص ٤٥ . وقول انتهى في تاريخ الإسلام (مخطوط) سنة ٦٦٥ . ونقله النسيبي ولم يذكر المصدر في الدارس ١ - ٢٤ .

الكثير من العلوم ، وأتقن الفقه ، ودّرّس وأفق ، وبرّع في فنّ العربية ، وذكر أنه حصل له الشّيب وهو ابن خمس وعشرين سنة ، وولي شجّة القراءة بالتربة الأشرفية ، وشجّة الحديث بالدار الأشرفية^(١) . وكان مع كثرة فضائله متواضعاً ، مُصْطَرِحاً للتكليف ، وربما ركب الحمار [بين المداوير] ، وكان مولده بدمشق في أحد الربيعين سنة تسع وتسعين ، بتقديم التاء فيها ، وخمس مئة . ووفاته في شهر رمضان سنة خمس وستين وست مئة . ودُفن بباب القرايس على يسار المارّة إلى تربة الدحداح^(٢) بدمشق المحروسة . ومن تصانيفه :

شرح الشاطبية^(٣) .

واختصر « تاريخ دمشق » مرتين : الأولى وفي خمسة عشر مجلداً^(٤) ، وله كتاب « الروضتين في أخبار الدولتين : النورية والصلاحية »^(٥) وكتاب الذيل عليها^(٦) .

وشرح المتن في مبعث المصطفى .

وكتاب الضوء الساري إلى معرفة الباري .

(١) انظر عن التربة الأشرفية الدارس للنسبي ، وعن دار الحديث للصدر قه ١٩/١ .

(٢) انظر موقع باب القرايس وتربة القرايس المسماة تربة الدحداح في مخطط دمشق القديمة لنا .

(٣) اسمه « ابراز اللغات من حرز الأمان » ، ورأيت منه مخطوطة جيدة جداً قديمة في طشقند .

(٤) والاختصار الثاني في خمس مجلدات . (مقدمتنا للمجلة الأولى من تاريخ ابن عساكر ، ص ٣٨) .

(٥) طبع بمطبعة وادي النيل بمصر سنة ١٢٨٧ ، وظهرت طبعة جديدة لم تتم في القاهرة ، وهي سفينة ملأى بالأخطاء ، بناءة الدكتور محمد حلمي محمد أحمد .

(٦) طبعه للرحوم أحمد عزة الطار سنة ١٩٤٧ بالقاهرة . ولمصطفى جواد تصحيحات عليه نشرها في مجلة المجمع بدمشق (المجلد ٢٣ والمجلد ٢٤) .

- وكتاب المحقق من علم ما يتمتق بأفعال الرسول .
- وكتاب البسطة الأكبر في مجلد ، والأصغر في آخر لعين .
- وكتاب الباعث على إنكار البدع والحوادث .
- وكتاب انشغال^(١) .
- وكشف حال بني عبَّيد .
- ومفردات القراء^(٢) .
- ومقدمة في النحو .
- ونظم « المفصل » لأبي عثري .
- وشيوخ البيهقي .
- وله تصانيف كثيرة ، وأكثرها لم يفرغ منها . رحمه الله تعالى .
- وفي « فتاوى » الشيخ الإمام العالم العلامة المحدث علاء الدين أبي الحسن عليّ الشيرازي بن المطار^(٣) ، تلميذ الإمام الرباني أبي زكريا يحيى الدين النواوي^(٤) .
- وقد رويناها عن جماعة منهم شيخ الإسلام قاضي القضاة الحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر ، عن الإمام أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن عبد الواحد البلي عن مصنفها قال ما لفظه :

- (١) في ذيل الروضتين ، وشفرات الذهب ٥ - ٣١٨ « كتاب السواك » .
- (٢) في ذيل الروضتين « مفردات القراء » .
- (٣) في الأصل « علاء الدين الحسن بن علي » وهو خطأ . واسمه إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن داود . توفي سنة ٧٢٤ هـ ، وكان أبا الذبيح بالرضا . ويطلب بمختصر النووي ترجم له في الشذرات وفي البداية .
- (٤) يحيى بن شرف ، توفي سنة ٦٧٦ هـ . انظر طبقات الشافعية ٥ / ١٦٥ .

مسألة : هذا التصريح الذي في ك (كذا) باب جبرون الشامي ، الذي يُقال إنه تصريح ملكة من ذرية علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، هل هو صحيح أو معتل (١) ؟

الجواب : أما التصريح المذكور فهو باطلٌ مُحدثٌ لا أصل له ، أُحدث لأغراض فاضلة في المئة السابعة . ولم يذكره الحافظُ أمير القاسم ابن عساكر ، رحمه الله ، في تبور دمشق ، ولا غيره . ولا يُعرف في ذرية علي بن أبي طالب من اسمه ملكة ، فيجب نزاله وإعادته إلى ما كان عليه . وهو طريقٌ للمسلمين مشتركٌ بين خاصتهم وعامتهم . وقد بين ذلك العلماء في كتاب البدع والحوادث التي بدمشق على خلاف الشرع . انتهى جواب ابن العطار المشار إليه .

ومن ترجمته كما ذكره جماعة منهم شيخ الاسلام تقي الدين ابن قاضي شبيه الشامي في « طبقاته » المتقدم ذكرها : أنه إمام عادلٌ محدثٌ ، سمع من خلافتي ، وثقة على شيخ الاسلام محيي الدين النووي ، وأخذ عن الشيخ العلامة جمال الدين ابن مالك ، وتولى مشيخة دار الحديث النورية (٢) وغيرها ، ودرس بالقروية بالجامع (٣) ، ومرض زماناً بالفالج ، وكان يحمل في محفة .

قال الذهبي : سمع وكتب الكثير ، وأفتى ، وصنف أشياء مفيدة . خرجت له « معجراً » في مجلد . اتعفت به ، وكان يلقبُ مختصر النووي . وأصابه فالج أكثر من عشرين سنة . وله فضائل .

(١) كذا في الأصل ، ولها « معتل » .

(٢) انظر عنها التميمي في الدارس ١-٩٩ (نشرة الأمير جسر الحني ، ١٩٤٨ ، دمشق) .

(٣) انظر للمصدر السابق ١-١٣٨ .

وقال ابن كثير^(١) : له مصنفات وفرائد وتقاويح ومجاميع . وبأشر مشيخة النورية من سنة أربع وتسعين [إلى هذه السنة ، مدة]^(٢) ثلاثين سنة .
وقال غيره : أشهر أصحاب النووي وأخصهم به . لزمه طويلاً وأخذته وانفتح به ، وله معه حكايات طويلة ، واحتلح على أحواله ، وكتب مصنفاته ، ويتنص كثيراً منها ، وكان مولده يوم عيد الفطر سنة أربع وخمسين وست مئة . ووفاته بدمشق في ذي الحجة سنة أربع وعشرين وصبع مئة . ومن تصانيفه :
شرح العمدة .

ومصنف في الجهاد .

وآخر في حكم البلوى واجتلاء العباد .

وآخر في حكم الاختكار عند غلاء الأسعار .

وغير ذلك رحمه الله تعالى .

وذكر الشيخ الإمام العالم العلامة حافظ البلاد الشامية شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير بابن ناصر الدين^(٣) رحمه الله في « جزء » يتعلق بالمكان المذكور ونزوه به عند إجازة عامة إن لم تكن خاصة ، قال في جزئه المذكور ، بعد أن نقل كلام الإمام أبي شامة المتقدم في كتابه « الباعث » ما لفظه : « وذكر لي بعض شيوخنا ، رحمهم الله تعالى ، أن سبب هذه البدعة الشيعة أن بعض السؤال جلس عند الباب وسأل الناس من ديارهم ، فكانه لم

(١) انظر البداية والنهاية ١٤ - ١١٧ .

(٢) الزيادة من البداية .

(٣) توفي سنة ٨٤٢ هـ . انظر النور اللامع ٨ / ٣ - ١ : والمؤرخون الدمشقيون ص ٦٣ .

«يفتح عليه شيء» . فأدخل رأسه في جيبه وزيق^(١) ثم رفع رأسه صائحا :
يا معشر المسلمين ، ها هنا قبر الت ملكة ، وأنتم تمشون فوقها . فاجتمع حوله
عوام الناس واعتقدوا صدقه اتباع كل فاعق . فتمسوا الناس من المرور في
ذلك المكان ثم بنوه مسجداً ، وأحدثوا فيه قبراً لعل شيء ، وفتشوا على عتبة
الباب اسم ملكة بنسب غير صحيح . وكل ذلك من قول الجهلة الطغام .
ولقد أنكر هذا الفعل التبع في زمانه ، وألقى انعامه الاختيار بطلانه ،
لكن الثرمين (؟) عند للتوجهين من الولا كانوا يصدون عن إبطاله
تجلاً من كل منهم ، واتباعاً طواه .

ولم يزل الباب مسدوداً بذلك المسجد المغصوب بالنجور إلى أن أحرق في فتنة
عدو الإسلام والمسلمين نيمور^(٢) ، وزال المسجد المغصوب ، فكأنه ما كان ،
سوى النقش المتسرى على عتبة الباب ، فأجزل الله الأجر والثواب لمن يحو
هذا النقش عن الباب لأن محو واجب لبطلانه . والله سبحانه المسؤول أن
يعفو عنا بكرمه وامتنانه . اللهم صل على سيدنا محمد نبي الرحمة وعلى آله
وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

انتهى كلام ابن ناصر الدين في جزئه المذكور .

(١) من الألفاظ التي شاعت في العصر المملوكي ، لم أمتد إلى المراد منها على الدقة .
ووجدت في النارس القنطرة نفسها في الكلام على الشيخ محمد الساجي في الزاوية
القلندرية المركزية (٢١٠/٢) . قال النسيبي خلا عن الصلاح الصفدي في الوافي :
« محمد بن يونس الساجي ... ثم إياه ليس دلق شعر وسافر إلى دمياط فأفكروا حاله
وزيه ، فزيق (بالياء) بينهم ساعة ثم إياه رفع رأسه فاذا هو بنية يضاء ... »
وفي القاموس « زيق لميته قضا ، واتزيق في البيت دخل » .

(٢) كان نزول نيمور على دمشق سنة ٨٠٣ هـ .

وقتل الشيخ العلامة شيخ البلاد الشامية قاصع المتدعين ، قاصر السنة والدين ، شمس الدين محمد البلاطسي^(١) في مصنفه له في « إنكار البدع والحوادث »^(٢) ، وترويه عنه إجازة ، ما تقدم عن الشيخ أبي شامة في أمر المكان المذكور تحذيراً من أن يعتقد أن به سجداً أو قبرا . وبلغه في وقت أن بعض الجبهة جعل فيه صورة قبر وعلّق عليه مسابيح فأزال ذلك كله رضي الله عنه . ولم يزال أهل السنة قديماً وحديثاً على إنكار ذلك قولاً وفعلًا .

وأخبرنا الشيخ المصنّف أبو العباس ابن الإخنائي الشافعي من لفظه ، وله من العشر نحو تسعين سنة فسح الله في مدته ، أن الذي نعلم من حال المكان المذكور : أن الفتاة المعروفة بقناة صالح من قتي دمشق المحروسة^(٣) مارة بهذا المكان ، وخارجة من الباب الشمالي المذكور واصله إلى أربابها . وقد كشف عنها من نحو عشرين سنة لإصلاحها ، وشاهدناها ، وأن المكان المذكور لم يزال كوم تراب عدة سنين إلى أن كان كمشبه طولو^(٤) نائباً بقلعة دمشق المحروسة بعد الثلاثين وثمان مئة ، وله شراكة وجراة ، ومن خواصه شخص اسمه فارس ، عمده إلى هذا المكان وهو بقعة صغيرة بها كوم تراب محيط من جهة الباب الشمالي الصغير من باب جيرون ، ومن جهة الشمال جداران مملوكان

(١) محمد بن عبد الله البلاطسي ثم الدمشقي . توفي سنة ٨٦٣ هـ / ١٤٥٩ م . انظر السير في نظم القيان ص ١٥٠ . والشذرات ٣٠٢ / ٧ .

(٢) اسمه « الباعث على ما تجدد من الحوادث » انظر معجم المؤلفين ٢١٢ / ١٠ .

(٣) انظر ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، المجلد الثانية (تحقيقنا) ص ٦٩ .

(٤) ترجم له السخاوي في الضوء ٢٣١ / ٦ : فقال إنه من مالِك طولو بن علي باشا الظاهري . ولي نيابة القننة بدمشق بعد صرغتمش يابو ، وتوفي في حدود الأربعين (وثلاثمائة) .

لأربابها ، نبي فارس المذكور جداراً قبيلاً . انتهى ما أخبر به الأخنائي .
وأخبر ببناء الجدار المذكور ، على الوجه المذكور ، الشيخ الصالح
المعمر شمس الدين التيزيني ، أعاد الله علينا من بركاته .

وفي « تاريخ دمشق » للشيخ الإمام حافظ الإسلام أبي القاسم ابن عساكر ،
ونزبه عن جماعة من الأئمة أجلّهم قاضي القضاة شيخ الإسلام أبو الفضل
أحمد بن حنبل الملقب بـ^(١) ، تفنّده الله برحمته ، إجازة ، حدثنا جماعة من
الأئمة منهم الإمام العلامة أبو اسحاق إبراهيم بن أحمد بن عبد الواحد الترخي
البعلبي المعروف بالشامي^(٢) ، والإمام المسند تقي الدين أبو بكر إبراهيم بن
العزّ بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي^(٣) ، المعروف بالفرائضي ، والإمام
علاء الدين علي بن محمد بن محمد بن أبي الجعد^(٤) الدمشقي ، إمام مسجد الجوزة
بدمشق - خارج باب الفراديس - ، وهو ابن خطيب معين ترّما ، إجازة ،
إن لم يكن سمعاً . قال الأول والثاني : أخبرتنا المسند أسماء^(٥) بنت محمد
ابن حصري إجازة - زاد الأول فقال : وعبد الرحيم بن يحيى بن الفرج بن
مسلة إجازة - قالوا : أخبرنا مكي بن مسلم بن علان ، وقال الثالث : أخبرنا القاسم بن
مظفر بن عساكر^(٦) ، ومحمد بن أبي بكر بن مشرف ، إجازة ، قال إبراهيم

(١) مرّ أن وفاته كانت سنة ٨٥٢ هـ .

(٢) توفي سنة ٨٠٠ هـ . ترجم له في الدرر ١١/١ رقم ١٤ .

(٣) لم أجد ترجمة له .

(٤) لم أجد ترجمة له .

(٥) محدثة مشهورة توفيت سنة ٧٢٣ هـ . انظر الدرر ٣٦٠/١ رقم ٩٠٣ : شذرات
١٠٥/٦ .

(٦) هو النباه القاسم بن مظفر بن محمود بن قاج الأمانا ابن عساكر . توفي سنة ٧٢٣ هـ .
انظر شذرات ٦١/٦ .

ابن يرككت الخشوعي^(١) إجازة - زاد القاسم فقال : وأخبرنا محمد بن نصر بن محمد إجازة . قال هو و الخشوعي وابن علان : أخبرنا الإمام العلامة فخر الشافعية وإمام أهل الحديث في زمانه وحامل لوائه أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله ابن عساكر الشافعي نغمده الله برحمته - كلهم قالوا : إجازة ، إن لم يكن سماعاً قال في كتابه « تاريخ دمشق »^(٢) : إنه عمل جيرون لمدينة دمشق ثلاثة أبواب مع ثلاثة أبواب البريد ، مع الباب الحديد . إلى آخر ما ذكر . ومولد الحافظ أبي القاسم مستهل سنة تسع وتسعين - بتقديم التاء فيها - وأربع مئة . ووفاته في رجب سنة إحدى وسبعين - بتقديم السين - وخمس مئة بدمشق .^(٣)

فتحرّر من هذا كله أن المكان المذكور ليس به مسجد ولا قبر لأحد من ذرية الإمام علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، ولا غيره ، وإنما هو طريق عام ، ويحرم البناء فيه تحريماً شديداً لما يحصل به من الفساد ، وأعظمها إقامة شعائر الرضى به .

ولما بنى فارس من جماعة كشيخاً طولوا في هذا المكان الجدار القبلي المذكور بالظلم والعدوان صار مخزناً توضع فيه الأخشاب وغيرها ، ويقع فيه منكرات يراها المارة عليه ، ووُجد فيه قتل في بعض الأحيان ، واستمر على ذلك

(١) توفي سنة ٦٠٤ هـ . انظر : شذرات ٢٠٧/٥ .

(٢) انظر تاريخ دمشق ، المجلد الأول (تحقيقنا) ص ١٤ ، لكن النص يذكر أن

غلام ذي القرنين هو الذي عمل ثلاثة أبواب : جيرون ، مع ثلاثة أبواب البريد ، مع باب الحديد الذي في سوق الأساكفة

(٣) انظر مقدمتنا لتاريخ دمشق ، المجلد الأول . وكتابتنا : أعلام التاريخ والجغرافيا

٨١/٢ وما بعدها .

مدة ٤ ، ثم تهدم ، وزال سقفه ، فبقي بعض الجبهة في تجديد عمارته بتسليط
الطائفة الخذوة الرافضة في المساكن (١) ، إذ لا يُظهرون أنفسهم في ذلك لمقاصد
الباطلة . نبلغ أهل السنة من العلماء وغيرهم هذا المنكر الشنيع فثاروا ، وصدوا
عن عمارته ٤ ، ويتمين هذا على كل من قدر عليه ، غيرة على دين الله تعالى
وخوفاً من حصول الافتتان بتجديد اعمارة المذكورة ، ورفعوا قصة مولانا
السلطان الملك الأشرف قايتباي (٢) — عصمه الله تعالى ، وأجرى اختيرات على
يديه — في أيامه أنهم فيها حقيقة المكان على ما ذكره الإمام أبو شامة وغيره ،
فرسم بما أمر الله تعالى ورسوله من العمل بما ذكره العلماء ، رضي الله عنهم ،
في أمر المكان المذكور ، وورد مرسومه الشريف بذلك في شهر سنة اثنين
وتسعين وثمانماية ، فحصل به النصرة والسرور لأهل السنة ، واخذلان لأهل
الرفض والهم ، وتضاعف الدعاء لمولانا السلطان ، واجتمع خلق كثير عند
المكان المذكور ، وهدموا الجدار القبلي الذي أحدثه فارس المذكور ولم
يكن فيه بناء غيره — بحضور جمع من العلماء والقضاة وغيرهم ، وفتح الباب
الأصلي أحد ثلاثة أبواب جبرون المذكور ، وأعيد المكان إلى الصفة
الأصلية طريقاً للآخرة ، على أحسن الهيئات ، وأزيل النقش المنقوش على
عتبة الباب كما تقدم من حكاية الحافظ ابن ناصر الدين .

وكان قد نقش معه على العتبة قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يَتَعَبَّرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ ،
الآية (٣) ، كما يُنقش مثله على أبواب المساجد الحقيقية ، إعلالاً بأن

(١) هو قايتباي الحمودي الأشرفي الظاهري سلطان مصر . ملوك جركسي . تولى

السلطنة سنة ٨٧٢ وتوفي بالقاهرة سنة ٩٠١ / ١٤٩٦ م . انظر ابن أبيس

٩٠/٢ : شذرات ٦/٨ وما بعدها .

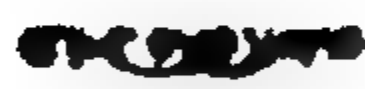
(٢) سورة التوبة ، ٩ ، الآية ١٨ .

ذلك مسجد . وفي النقش المذكور على عتبة [الباب] هذا تدليسٌ وقليسٌ على من يجهل ما له أن يعتقد أن المكان المذكور مسجدٌ ، وليس كذلك . فمعوا هذا النقش خوفاً من الاعتقاد الباطل ، فأزيل النقش المذكور لذلك . مع أن العلماء صرحوا بكراهة نقش القرآن على الحيطان ونحوها ، وكتب موضع ذلك كله على العتبة ما ذكره العلماء في أمر هذا المكان على الحقيقة ، ليعلمه الخاص والعام على توالي الزمان ، ويستمر بذلك إن شاء الله تعالى طريقاً مارة كما كان ، محفوظاً من محدثات أهل البدع ، زادم الله الدل والهوان ، واستجاب الله دعاء الأئمة الأعلام ، حفاظ دين الإسلام ، الإمام أبي شامة وغيره ، لمن أزال ما أحدث في هذا المكان ، وأعاد طريقاً إلى ما كان عليه من قديم الزمان ونحو ما هو مكتوب على عتبة الباب من الزور والبُهتان ، وإزالة هذه البدعة الفظيعة من أعظم القربات ، وأهم المطلوبات . وأراد الله سبحانه وتعالى — وله الحمد والمنة — حصول هذا الخير العظيم ، والمعروف الجسيم ، في أيام مولانا السلطان الملك الأشرف أبي النصر قايتباي ، أدام الله له العز والتمكين ، والنصر والفتح المبين ، ليكون ذلك منقبة حسنة له في الدنيا ، ويُسَطَّرُ بسببه في صحائفه الشريفة الثواب الجزيل في الآخرة . والله المسؤول أن يديم يقائه تأييد الدين ، وفتح المبتدعة والمفسدين بجمته وكرمه ، ويوفقنا لعمل بما أمرنا به من الطاعات ، ويحفظنا عن ما تنهانا عنه من البدع والمخالفات ، بجمته وطوره وقوته وحوله . انتهى من كلام ابن قاضي عجلون .

قلت : وفي أيامنا بني في هذا الباب الصغير المنقوش أعلاه حائطٌ ، وكذا قبة ، وجعل مخزن حطبٍ للفرن قبة .

ثم أحدث نائب الشام جان بردي النزالي^(١) لما أراد الخروج عن طاعة السلطان سليم بن عثمان ، داخل الباب الكبير الذي عليه هذا الباب المنقوش ، برؤية بقنطرة حجر ، وأخذ قبل أن يُرَكَّبَ لها بابا .
والظاهر أن المراد من كلام ابن شاكر الذي قدمناه أولاً في باب جيرون باب الجامع الأموي ، عمره الله تعالى بذكره ، ومقتاد باب جيرون لكونه من جهة جيرون الذي تقدم الكلام فيه ، أو لعل أصله من بناء جيرون . والله أعلم .

صالح الدين المنجد



(١) جان بردي بن عبد الله الشهير بالنزالي . مملوك جركسي . كان نائب دمشق في أول فتح الشامي ثم ادعى السلطنة بدمشق ولقب بالأشرف ، فأرسل إليه السلطان سليمان الثاني عكراً ، وقتل النزالي بين دوما والقيصر ودخل المكر الثاني دمشق . وكان ذلك سنة ٩٢٧ . انظر : ولاية دمشق في العهد الشامي (تحقيقنا) : صفحات ١٥٠/٨ .

ما بذته العربُ على فعّالٍ

تأليف

رضي الدين أبي الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن الصّغاني

(المتوفى سنة ٦٥٠)

- ١ -

بسم الله الرحمن الرحيم

[١٠١ ب

الحمدُ لله الذي أنعم عليّ فأَنْجَزَ ؛ وَعَلَّنِي إِيَّاهُ وَأَنْهَلَ .
وَالصَّلَاةُ عَلَى مُحَمَّدٍ الْمَبْعُوثِ مِنْ أَشْرَفِ الْقَبَائِلِ ، الْمُرْسَلِ بِالْبَرَاهِينِ
وَالدَّلَائِلِ ، وَعَلَى أُسْرَقِهِ الْأَطْهَارِ ، وَصَحَابَتِهِ الْأَبْرَارِ .

قال الملتجئُ إِلَى حَرَمِ اللَّهِ تَعَالَى الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ
الصَّغَانِيِّ ، حَرَّرَهُ اللَّهُ مِنْ أَنْ تَسْتَعْبِدَهُ الْأَطْمَاعُ ، وَأَقْبَرَهُ بِفَضْلِهِ
أَشْرَفَ الْبِقَاعِ : هَذَا مُحْتَصَرُ الْفَتْهِ فِيمَا بَذَتْهُ الْعَرَبُ عَلَى فَعَّالٍ .
وَاللَّهُ وَلِيُّ التَّطَوُّلِ وَالْإِفْضَالِ . وَرَبَّتُّهُ عَلَى حُرُوفِ الْمَعْجَمِ .

بَلَاءٌ ، شَرَاءٌ ، نَقَاءٌ .

أَبَاب ، حَذَاب ، دَبَاب ، رَطَاب ، سَرَاب ، سَكَاب ،
ضَرَاب ، عَبَاب ، غَلَاب ، كَسَاب ، لَبَاب .
شَتَات .

خَبَات ، خَنَات ، نَثَات .

خَرَاَج ، كَهَجَاَج .

بِرَاح : سَجَاح ، سَرَاَح : صَلَاح : فِشَاَح ، فَيَاَح ، كَلَاَح .
بَلَاد ، بَدَاد ، جَمَاد ، حَدَاد ، حَمَاد ، حَيَاد ، رَصَاد ،
عَوَاد ، تَضَاد .

جَبَاد ، حَنَاد ، شَجَاد .

بَوَار ، جَعَار ، حَذَار ، حَضَار ، دَفَار ، سَفَار ، شَفَار ،
شَعَار ، ضَمَار ، طَبَار ، طَمَار ، ظَفَار ، عَرَار ، غَشَار ،
[١١٠٢] غَدَار ، فَجَار ، فَعَار ، / قَمَار ، كَرَار ، مَطَار ، نَظَار ، وَبَار ، يَسَار .
خَنَاز ، كَرَار .

حَسَاس ، خَنَاس ، قَفَاس ، لَمَاس ، مَسَاس ، يَبَاس .
رَقَاش ، فَشَاش .

لَحَاص .

سَبَاط ، صَغَاط ، قَطَاط ، لَطَاط ، يِعَاط .

بَقَاعٍ ، جَدَاعٍ ، دَهَاعٍ ، رَقَاعٍ ، سَمَاعٍ ، لَكَاعٍ ،
 مَلَاعٍ ، مَنَاعٍ ، نَطَاعٍ ، وَقَاعٍ .
 خَصَافٍ ، خَضَافٍ ، خَطَافٍ ، شَرَافٍ ، صَرَافٍ ^(١) ،
 قَطَافٍ ، كَفَافٍ ، لَصَافٍ ، نَزَافٍ .
 حَبَاقٍ ، حَلَاقٍ ، خَزَاقٍ ، عَقَاقٍ ، عِلَاقٍ ، فَسَاقٍ .
 بَرَاكٍ ، تَرَاكٍ ، دَرَاكٍ ، مَسَاكٍ .
 بَلَالٍ ، رَحَالٍ ، رَغَالٍ ، سَفَالٍ ، عَفَالٍ ، قَعَالٍ ، قَوَالٍ ، نَزَالٍ .
 أَزَامٍ ، حَذَامٍ ، حَرَامٍ ، شَمَامٍ ، صَرَامٍ ، صَمَامٍ ،
 طَمَامٍ ، عَظَامٍ ، قَثَامٍ ، قَدَامٍ ، قَسَامٍ ، قَطَامٍ ، لَزَامٍ ، هَمَامٍ .
 بَيَانٍ .

وما بُنِيَ من الرُّبَاعِيَّ :
 بَحْبَاحٍ ، مَحْمَاحٍ .
 عَرَعَارٍ ، قَرَقَارٍ .
 دَهْدَاعٍ .
 حَنْحَمٍ ، هَمَمٍ .

(١) في الأصل المخطوط : ضراف ، وهو تصحيف .

الهمزة

قال الأحمر^(١) ، يُقال : نَزَلَتْ بِلَاءٌ عَلَى الْكُفَّارِ ، حكاية

عن العرب .

* * *

[١٠٢ب] / شَرَّاد : موضع . قال الثَّعْبِيُّ بن تَوَلَّب^(٢) ، رضي الله عنه :
تَأْبِدَ مِنْ أَطْلَالِ جَمْرَةٍ مَأْسَلٍ فَقَدْ أَقْفَرَتْ مِنْهَا شَرَاءٌ قَيْدٌ بِل^(٣)

* * *

- (١) هو أبو الحسن علي بن المبارك الأحمر ، نحوي كوفي من أصحاب الكسائي ، (- ١٩٤) . ترجمته في مراتب النحويين ٨٩ - ٩٠ ، وطبقات الزبيدي ١٤٧ ، وتاريخ بغداد ١٠٤/١٢ - ١٠٥ ، وإنباء الرواة ٣١٣/٢ - ٣١٧ ، وبنية الوعاة ٣٣٤ ، ومعجم الأدباء ١٣/٥ - ١١ .
- (٢) شاعر جاهلي من عككل ، ويسمى الكيثس لحسن شعره . وقد أدرك الإسلام فأسلم ، ترجمته في طبقات الشعراء ١٣٣ - ١٣٧ ، والشعراء ٢٦٨ - ٢٧٠ ، وطبقات ابن سعد ٢٩/٧ ، والمعمرين ٦٣ ، والأغاني ١٥٧/١٩ - ١٦٢ ، واللالي ٢٨٤ - ٢٨٥ ، والخزائن ١٥٢/١ - ١٥٦ .
- (٣) البيت مطلع قصيدة للنمر ، وهي مُجْمَعَةٌ ، والجمهرات سبع قصائد تلي المملقات في الجودة ، ويتلو أصحابها أصحاب المملقات (جمهرة أشعار العرب ٤٥) .
تأبد : أي توحش وخلا . ومأسل وينذل : موضعان أيضاً .
والقصيدة في جمهرة أشعار العرب ١٩٦ - ٢٠٢ ، ومنتهى الطلب [١٢٦ - ١٢٧] . ومطلع القصيدة وأبيات منها في شواهد المغني ٢١٤ - ٢١٥ ، والعيني ٣٩٥/٢ . وأبيات منها في الصنائع ١٦٨ - ١٧٠ .
والبيت وحده في اللسان (شري) .
وروايته في اللسان « شراء » بالرفع مصروقاً . وقال في اللسان :
« شراء وشراء كعَدَّام : موضع » .

الأصمعي^(١) : كانت العربُ إذا مات منها مَيِّتٌ [له قَدْرٌ]^(٢)

ركب راکبٌ فرساً ، وجعل يسيرُ في الناس ، ويقول : نَعَاءُ
فلاناً ، أي ائعهُ ، وأظهرَ خَبَرَ وفاته^(٣) .

وفي حديث شَدَّاد بن أَوْس^(٤) ، رضي الله عنه : « يَا نَعَاءُ
العَرَبَ ، إِنْ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الرِّيَاءَ وَالشُّهْوَةَ الْخَفِيَّةُ » .
قال الكُمَيْتُ^(٥) :

(١) هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي ، اللغوي البصري المشهور
(٢١٦ -) . ترجمته في الفهرست ٥٥ - ٥٦ ، وأخبار النعويين البصريين
٥٨ - ٦٧ ، ومراتب النعويين ٧٤ - ١٠٥ ، وقاريخ بغداد ١٠ / ٤١٠ - ٤٢٠ ،
وطبقات الزبيدي ١٨٢ - ١٩٥ ، وإنباء الرواة ٢ / ١٩٧ - ٢٠٥ ، وطبقات
القراء ١ / ٤٧٠ ، ونبغة الوعاة ٣١٣ - ٣١٤ .

(٢) زيادة من اللسان (نعى) عن الجوهري .

(٣) وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك (انظر اللسان : نعى) .

(٤) هو أبو يعلى شداد بن أوس بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري ،
صحابي من الأمراء ، ولاته عمر إمارة حمص ، ولما قتل عثمان اعتزل .
ترجمته في طبقات ابن سعد ٧ / ٤٠١ ، والأعلام ٣ / ٢٣٢ .

(٥) هو أبو المستهل الكميّ بن زيد الشاعر الإسلامي ، وكان يتشيع
ويمدح أهل البيت . ترجمته في طبقات الشعراء ١٦٣ ، ١٦٨ - ١٦٩ ،
والشعراء ٥٦٢ - ٥٦٦ ، ومعجم الشعراء ٣٤٧ - ٣٤٨ ، والمؤتلف ١٧٠ ،
والأغاني ١٠٨ / ١٢٤ - ١٢٤ .

نَعَاوُ جُذَامًا غَيْرَ مَوْتٍ وَلَا قَتْلٍ وَلَكِنْ فِرَاقًا لِلدَّعَائِمِ وَالْأُصْلِ^(١)
 نَعَاوُ جُذَامًا ، إِنَّنَا قَدْ تَبَدَّلَتْ بَنَاتُ الْخَاضِ وَالْفِصَالِ مِنَ الْبُزْلِ
 وَأُنْشَدَ سَيَبَوِيهِ^(٢) :

نَعَاءُ ابْنِ لَيْلَى لِلْسَّمَاحَةِ وَالنَّدَى وَأَيْدِي شَمَالٍ بَارِدَاتٍ إِلَّا نَامِلِ^(٣)

(١) انبئت الأول من البيتين في اللسان (نمى) .

جذام : قبيحة من اليمن .

والدعائم : جمع دعامة ، وهي ما يُدْعَمُ به الشيء ، ويريد بها هاهنا
 اندعائم من القبائل وهم الأشراف والرؤساء . والبيتان في معرض الذم والهجاء .
 بنات الخاض : الإناث من أولاد النوق إذا استكملت حولاً من يوم ولادتها ،
 وأحدتها ابنة نخاض . والفصال : جمع فصيل ، وهو ولد الناقة إذا فُصِّلَ
 عن أمه . والبزل : جمع بزول ، وهي الناقة إذا استكملت السنة الثامنة
 وطعنت في التاسعة وبزل نأيتها أي طلع وشق ، وذلك حين استكمال قوتها .

(٢) هو أبو بشر (أبو الحسن) عمرو بن عثمان بن قنبر ، رأس علماء
 البصرة في زمنه (١٨٠ -) . ترجمته في أخبار النحويين البصريين ٣٧ - ٣٩
 ومراتب النحويين ٦٥ ، والفهرست ٥١ - ٥٢ ، وطبقات الزبيدي ٦٦ - ٧٤ ،
 وإنباء الرواة ٣٤٦/٢ - ٣٦٠ ، ومعجم الأدباء ١١٤/١٦ - ١٢٧ ، وبغية
 الرعاة ٣٦٦ - ٣٦٧ .

(٣) البيت في كتاب سيويه ٣٧/٢ من غير نسبة .

الشمال : أي ريح الشمال . وباردات الأامل : يريد عندما تبرد أامل
 الأيدي يهبوب الشمال ، وهي أبرد الرياح ، تشتد في الجذب .

وَأَنْشَدَ جَرِيرٌ ^(١) :

نَعَاءُ أَبَالَيْلَى يَكُلُّ طِمْرَةً وَجَرْدَاءُ مِثْلَ الْقَوْسِ سَمَحَ حُجُولُهَا ^(٢)
الباء

أَبَابٍ . قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ ^(٣) يُقَالُ : الظُّبَاءُ إِنْ أَصَابَتْ
الْمَاءَ فَلَا عَبَابٍ ، وَإِنْ لَمْ تُصِبْهُ فَلَا أَبَابٍ . قَوْلُهُمْ : فَلَا عَبَابٍ ،
أَيُّ لَا تَعْبٌ . وَلَا أَبَابٍ : أَيُّ لَمْ تَأْتَبْ لَهُ ، أَيُّ لَمْ تَسْبِيأً ^(٤) .

(١) هو أبو حَزْرَةَ جرير بن عطية بن الخطفي الشاعر الإسلامي
المشهور . ترجمته في طبقات الشعراء ٣١٥ - ٣٩٦ ، والشعراء ٤٣٥ - ٤٤١ ،
والمؤتلف ٧١ ، والأغاني ٣٥/٧ - ٧٢ ، والآلي ٢٩٢ - ٢٩٣ ، والخزانة ٣٦/١ .
(٢) لم أجد هذا البيت في ديوان جرير المطبوع . وهو في كتاب
سيبويه ٣٧/٢ .

الطمره : الخفيفة الوثبى من الخيل . والجرداء : القصيرة الشعر ، وذلك
من علامات التمتق والكرم في الخيل . ومثل القوس : أي في الضمور
والهزال ، يعني أنه كان يركبها في الحروب فتهزل . وسَمَحَ حُجُولُهَا : أي
مدللة متأنية للحبيل ، وهو القيد .

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن زياد بن الأعرابي اللغوي الكوفي المشهور
(٢٣١ -) . ترجمته في الفهرست ٦٩ ، وطبقات الزبيدي ٢١٣ - ٢١٥ ،
و تاريخ بغداد ٢٨٢/٥ - ٢٨٥ ، وإنباء الرواة ١٢٨/٣ - ١٣٧ ، ومعجم
الأدباء ١٨٩/١٨ - ١٩٦ ، وبنية الرعاة ٤٢ - ٤٣ .

(٤) أي لم تسبياً لطلبه . وانظر اللسان (أب ، عب) .

حَدَابٍ : السَّنةُ الْمُجْدِبَةُ^(١) . وَحَدَابٍ أَيْضاً : مَوْضِعٌ .
قال امرؤ القيس^(٢) :

حَدَابٍ بَجَرَتْ يَبْنَ اللَّوَى قَصْرِيماً
وَيَبْنَ حُصَوَى الْأَذْحَالِ ذِي الرُّمَثِ وَالسُّدَرِ^(٣)

* * *

دَبَابٍ . قال سيبويه ، يُقَالُ لِلْمُضْبِعِ : دَبَابٍ ، يريدون دُبِي .

* * *

رَطَابٍ . يُقَالُ فِي الشَّتَمِ لِلْأَمَةِ : يَا رَطَابٍ ، كِنَايَةً عَنْ مَوْضِعِهَا .
[١١٠٣] / سَرَابٍ : اسْمُ نَائِقَةِ الْبَسُوسِ^(٤) .

* * *

(١) الأحذب : الشدة ، وحَدَابُ الشَّتَاءِ : شدته (اللسان : حذب) ؛
وترى حدابٍ مأخوذة من هذا المعنى .

(٢) هو امرؤ القيس بن حُجْر بن الحارث بن عمرو الكندي ، الشاعر
الجاهلي المشهور صاحب المعلقة . ترجمته في طبقات الشعراء ٤٣ - ٨٠ ،
والشعراء ٥٢ - ٨٥ ، والآلي ٣٨ - ٤٠ ، والاشتقاق ٣٧٠ ، والمؤتلف ٩ ،
والأغاني ٦٠/٨ - ٧٣ ، والخزانة ١/١٩٠ .

(٣) لم أجدها في البيت في ديوان امرئ القيس المطبوع ، ولا في مصدر
آخر من المصادر التي رجعت إليها .

(٤) البسوس : اسم امرأة ، وهي البسوس ابنة منقذ من بني عمرو بن
سعد بن زيد مناة بن نعيم . وكانت خالة جَسَّاس بن مُرَّة الشيباني . —

سكاب . قال أبو محمد الأعرابي^(١) في كتاب الخيل من تأليفه : هي فرس لرجل من كلب ، قال فيها صاحبها :
أَبَيْتَ اللَّعْنَ إِنْ سَكَابِ عِلْقٌ تَقِيسُ لَا تَعَارُ وَلَا تَبَاعُ^(٢)
وقال أبو تمام^(٣) : كانت لرجل من بني تميم^(٤) .

— دخلت ناقتها مراب في حِمَى كَيْبٍ وَاثِلٍ ، وقد كسرت بيض طير كان قد أجاره ، فرمى ضرعها بسهم . فوثب جسام على كَيْبٍ فَقَتَلَهُ . فهاجت حرب بكر وتقلب بسببها ، ودامت أربعين سنة ، وبها نمت حرب البسوس . ترجمتها في الاشتقاق ٢٥٨ ، والتاج (بس) .

(١) هو أبو محمد الديلمي من فصحاء الأعراب الذين رُوِيَ عنهم اللغة (انظر مثلاً نوارد أبي مهجل ٥٠٦) .

(٢) البيت لعبيدة بن ربيعة بن قحطان بن ثائرة بن سيار بن رزّام بن مازن من بني عمرو بن تميم . وهو الأول من سبعة أبيات له .
وكان ملك من الملوك طلب من عبيدة قرصاً له يقال لها سكاب ، فتمعه إياها ، وقال هذه الأبيات .

والأبيات السبعة في الخزانة ٤١٤/٢ . والأبيات الأربعة الأولى حماسية ، وهي في شرح الحماسة للرزوقي ٢٠٩/١ - ٢١١ والحماسة البصرية [١٤٠] .
والبيت مع الثالث والرابع من الأبيات في شرح الحماسة للرزوقي ١٤٦٨/٤ . وهو مع الذي بعده في أضداد أبي الطيب ٤ .

(٣) هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائي الشاعر العبّاسي المشهور (٢٣١ -) ، وصاحب كتاب الحماسة المشهور بحماسة أبي تمام . ترجمته في تاريخ بغداد ٢٤٨/٨ ، ووفيات الأعيان ٢٤٠/١ ، وخزانة الأدب ١٧٢/١ ، ٤٦٤ ، والآل ٤٢٥ ، وشذرات الذهب ٧٢/٢ ، ومعاهد التنصيص ٣٨/١ - ٤٣ ، وتاريخ بغداد ٢٤٨/٨ ، والأغاني ٩٦/١٥ .

(٤) قوله هذا في شرح الحماسة للرزوقي ٢٠٩/١ ، قدّم بها للأبيات الأربعة .

وَسَكَابِرٌ أَيْضًا : جِبَالُ الْقَبْلِيَّةِ^(١) .

ضَرَابٍ : مَعْنَادٌ اضْرَبَ .

عَبَابٍ : سَبَقَ تَفْسِيرُهُ^(٢) .

غَلَابٍ : مِنْ أَعْلَامِ النِّسَاءِ .

كَسَابٍ : مِنْ أَسْمَاءِ إِيْنَاثِ الْكَلَابِ . قَالَ لَبِيدٌ^(٣) :

(١) القبلية : سِراة أي سلسلة جبال ، قيا بين المدينة وَيَنْتَبِعُ على الساحل ، ما سال منها إلى ينبع تُسمي بالنعور ، وما سال منها إلى أودية المدينة تُسمي بالقبلية ، وفيها جبال وأودية (معجم البلدان) .

(٢) مر تفسيره في قوله « أَبَاب » في أول هذا الباب .

(٣) هو أبو عتيل لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري ، شاعر جاهلي من أصحاب المملقات . وقد أدرك الإسلام فأسلم . ترجمته في الشعراء ٢٣١ - ٢٤٣ ، والمعمرين ٦٠ - ٦٣ ، وطيقات ابن سعد ٣٣/٦ ، والاستيعاب ، ٢٣٥ - ٢٣٧ ، وأسد الغابة ٢٦٠/٤ - ٢٦٣ ، والإصابة ٤/٦ - ٥ ، والأغاني ٩٠/١٤ - ٩٨ ، والخزانة ٣٣٤/١ - ٣٣٩ .

فَتَقَصَّدَتْ مِثْلًا كَسَابٍ ، فَضُرْجَتْ

بِدَمٍ : وَغَوْدِرَ فِي الْمَكْرِ سَحَامُهَا^(١)

وَكَسَابٍ أَيْضًا : الذَّبَّة .

لَبَابٍ . قَالَ يُونُسُ^(٢) ، تَقُولُ الْعَرَبُ لِلرَّجُلِ تَغَطَّفُ عَلَيْهِ :

لَبَابٍ ، لَبَابٍ ! وَقِيلَ : مَعْنَاهُ لَا بَأْسَ عَلَيْكَ .

التاء

شَتَاتٍ : أَيِ تَفَرَّقُوا .

وَيُقَالُ : جَاءُوا شَتَاتٍ ، بَفَتْحِ التَّاءِ نِ ، أَيِ أَشْتَاتًا .

(١) البيت من معلقة ليبد المشهورة التي مطلعها :

عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلَّهَا فَمَقَامُهَا بَنَى تَابِتْدُ غَوْلَهَا فَرَجَامُهَا

فَتَقَصَّدَتْ : أَيِ الْبَقْرَةَ الْوَحْشِيَّةَ تَقَصَّدَتْ ، وَهِيَ بِمَعْنَى قَصَدَتْ . وَمِنْهَا :

مِنْ كَلَابِ الصَّائِدِ . وَسَحَامٌ : اسْمُ كَلْبٍ أَيْضًا ، وَيُرْوَى « سَخَامُهَا » بِالْحَاءِ أَيْضًا .

والمعلقة في ديوان ليبد ٢٩٧ - ٣٢١ .

(٢) هو أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب الضبي ، مولاة ، العالم

البصري المشهور (- ١٨٣) ؛ ترجمته في الفهرست وطبقات الزبيدي

٤٨ - ٥٠ ، ومعجم الأدباء ٦٤/٢٠ - ٦٧ ، وبغية الوعاة ٤٢٦ .

الشاء

خَبَاثُ . اللَّيْثُ^(١) : يُقال للرجل : يا خُبْثُ ، وللمرأة :
يا خَبَاثِ .

* * *

خَنَاثُ . اللَّيْثُ : يُقال للرجل : يا خُنْثُ ، وللمرأة : خَنَاثِ ،
على وزن لُكَّعَ وَلُكَّاعِ .

* * *

نَقَاثُ : الضَّبْعُ .

الجيم

خَرَّاجُ . الْفَرَّاءُ^(٢) : اسمُ كُفَّةٍ لهم معروفة ، وهي أنْ

(١) هو الليث بن نصر بن سيار الخراساني اللغوي ، صاحب الخليل بن أحمد . ترجمته في إنباء الرواة ٤٢/٣ - ٤٣ ، ومعجم الأدباء ٤٣/١٧ - ٥٢ ، وبنية الوعاة ٣٨٣ .

(٢) هو أبو زكريا يحيى بن زياد الفرّاء النعوي الكوفي المشهور (٢٠٧ -) ترجمته في الفهرست ٦٦ - ٦٧ ، وطبقات النعويين للزبيدي ١٤٢ - ١٤٦ ، ومراتب النعويين ٨٦ - ٨٨ ، وتاريخ بغداد ١٤٩/١٤ - ١٥٥ ، ومعجم الأدباء ٩/٢٠ - ١٤ ، وبنية الوعاة ١١١ ، والزمهر ٤١٠/٢ ، والمعارف ٥٤٥ .

يُمْسِكُ أَحَدُهُمْ بِيَدِهِ شَيْئًا ، وَيَقُولُ لِسَائِرِهِمْ : أَخْرِجُوا مَا فِي يَدِي . وَقَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ^(١) ، يُقَالُ : لَعِبَ الصَّبِيَانُ خَرَّاجَ .

هَجَّاجٌ . الْأَمْوِيُّ^(٢) : رَكِبَ فَلَانٌ هَجَّاجًا ، غَيْرَ مُجَرَّيٍّ ، وَهَجَّاجٍ ، مِثَالُ قَطَامٍ ، إِذَا / رَكِبَ رَأْسَهُ . وَقَالَ الْمُتَمَرِّسُ [١٠٢ب] ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الصُّحَّارِيِّ^(٣) :

فَلَا تَدْعُ اللَّثَامُ سَبِيلَ غَيٍّ وَهُمْ رَكِبُوا عَلَى لَوْمِي هَجَّاجٍ^(٤)

(١) هو أبو يوسف يعقوب بن إسحق السكيت اللغوي الكوفي المشهور (٢٤٥ -) ترجمته في مراتب النحويين ٩٥ - ٩٦ ، والفهرست ٧٢ - ٧٣ ، وطبقات الزبيدي ٢٢١ - ٢٢٣ ، وتاريخ بغداد ١٤ / ٢٧٣ - ٢٧٤ ، ومعجم الأدباء ٥٠ / ٥٢ ، وبنية الرواة ٤١٨ - ٤١٩ .

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن سعيد الأموي اللغوي الكوفي . ترجمته في الفهرست ٤٨ ، وطبقات الزبيدي ٢١١ ، وإنباه الرواة ٢ / ١٢٠ ، وبنية الرواة ٢٨٢ ، والمزهر ٢ / ٤١٠ - ٤١١ .

(٣) وهو من بني صحار بن غزوم بن يقظة بن مالك بن غالب بن قطيعة ابن عيس . ترجمته في معجم الشعراء ١٨٠ .

(٤) البيت من قصيدة للمتمرس بعض أبياتها في معجم الشعراء ١٨٠ .
وصلة البيت قبله :

رَأْسُ ظَالِمٍ أَوْجِيتُ عَنْهُ فَأَبْصُرُ قَصْدَهُ بَعْدَ اعْوَجَاجِ
تَرَكْتُ بِهِ نَدْوِيًّا بِأَقْيَاسٍ وَبَابِعْنِي عَلَى سِلْمٍ دُمَاجِ
فَلَا يَدْعُ اللَّثَامُ

والأبيات الثلاثة في الصعاح واللسان (مجمع) . وانظر نوادر أبي معل ١٥٢ .

الحاء

بَرَّاحٍ . فَضْرُبُ^(١) : بَرَّاحٍ اسمٌ للشمس إذا غَرَبَتْ . يُقال :
 دَلَكْتُ بَرَّاحَ^(٢) ، أي زالت وِيرَحَتْ . وَبَرَّاحٍ بمعنى بَارِحَةٍ ،
 كما قالوا لكلبة الصيد : كَسَّابٍ ، بمعنى كاسِبة .



(١) هو أبو علي محمد بن المستنير المعروف بقطرب ، النحوي اللغوي
 البصري (- ٢٠٦) . ترجمته في أخبار النحويين البصريين ٤٩ ، ومراتب
 النحويين ١٠٨ ، والفهرست وتاريخ بغداد ٢/٢٩٨ - ٢٩٩ ، وطبقات
 النحويين للزبيدي ٦٩ - ٧٠ ، ووفيات الأعيان ١/٤٩٤ - ٤٩٥ ، ونزهة
 الألباء ١١٩ - ١٢٠ ، ومعجم الأدباء ١٩/٥٢ - ٥٤ ، وبغية الوعاة ١٠٤ ،
 والمزهر ٢/٤٠٥ ، وشذرات الذهب ٢/١٥٠ .

(٢) ويقال أيضاً : دلكت الشمس بَرَّاحٍ ، بكسر الباء ، بَاء الجر ؛
 وداح جمع راحة ، وهي الكف . وهذه رواية الفراء . والمعنى أنها كادت
 تقرب ، فهم يضعون راحاتهم على عيونهم ينظرون هل غربت أو زالت
 (انظر اللسان برح) .

سَجَاحٍ : اسمُ الْمُتَنَبِّئَةِ من تميم ^(١) ، تزوجها مُسَيْلَمَةُ .
وفي المثل : « أَكْذَبُ مِنْ سَجَاحٍ » ^(٢) .

سَرَّاحٍ : اسمُ فرسٍ .

(١) هي سجاح بنت الحارث بن سُوَيْد بن عُقْفان التميمية وقد ادعت النبوة بعد وفاة الرسول . وكانت ورهطها في أخوالها من تغلب . فأقبلت من الجزيرة تقود أفناء ربيعة ، واجتمعت عليها بنو تميم . ثم قصدت مسيلة الكذاب في اليمامة . وتقول الروايات إن مسيلة لقيها ، فتفاوضا أمرهما ، واتفقا على الاجتماع وتريد الروايات أن مسيلة نكحها ، ثم تزوج بها . وقد أسلت سجاح بعد مقتل مسيلة ، وحسن إسلامها ، وأقامت بالبصرة . وانظر أخبارها في تاريخ الطبري ٢/٢٣٧ ، والأغاني ١٨/١٦٥ - ١٦٧ ، والسكامل لابن الأثير ٢/١٣٥ - ١٣٦ .

(٢) هو أبو ثامة مسيلة الكذاب بن ثامة بن كثير بن حبيب بن الحارث ابن عبد الحارث بن عدي بن حنيفة . وكان ادعى النبوة في قومه بني حنيفة في اليمامة بعد وفاة الرسول . فأرسل إليه أبو بكر الصديق خالد بن الوليد في جيوش المسلمين ، فقتله وفرق جموعه في اليمامة . وانظر أخباره في تاريخ الطبري ٢/٢٣٩ - ٢٤٠ ، والأغاني ١٨/١٦٥ - ١٦٧ ، والسكامل لابن الأثير ٢/١٣٧ - ١٤٠ .

(٢) وفي مجمع الأمثال ٢/١٧١ : « أَكْذَبُ مِنْ مَسِيلَةَ » .

صَلَّاحٍ : من أسماء مكة ، حَرَسَهَا اللهُ تعالى . وقد تُجْرَى
مُجْرَى ما لا ينصرف . قال حَرْبُ بن أُمِيَّة ^(١) يخاطب أَبَا مَطَرٍ
الْحَضْرَمِيَّ ، ويدعوه إلى حِلْفِهِ ونزولِ مكة ، شَرَّفَهَا اللهُ تعالى :
أَبَا مَطَرٍ ، هَلُمَّ إِلَى صَلَّاحٍ فَتَكْفِيكَ النَّدَامَى مِنْ قُرَيْشٍ ^(٢)
وَتَسْكُنُ بَلَدَهُ عَزَّتْ لِقَاحًا وَتَأْمَنُ أَنْ يَزُورَكَ رَبُّ جَيْشٍ

فَشَّاحٍ : الضَّبْع .

(١) هو أبو عمرو حرب بن أُمِيَّة بن عبد شمس من سادات قريش في
الجاهلية ومن قضاة العرب وهو والد أبي سفيان بن حرب وجد معاوية بن
أبي سفيان بن حرب . ترجمته في جبهة أنساب العرب ١١١ ، والاشتقاق
١٦٥ - ١٦٦ ، والأعلام ١٨٣/٣ .
(٢) وبين البيتين بيت ثالث هو :

وتأمن وسطهم وتعيش فيهم أبا مَطَرٍ هُدَيْتَ بخير عيشٍ
عزت لقاحاً : من قولهم قوم لقاح وحي لقاح ، لم يدينوا للملوك ، ولم
يملكوا ، ولم يصبهم سباء في الجاهلية .
والآيات الثلاثة في اللسان والتاج (صلح) .

فَيَاحِ : اسمٌ للغارة . يُقال : فَيَحِي فَيَاح ، أَي ائْسَعِي . قال :
 دَفَعْنَا الْخَيْلَ سَائِلَةً عَلَيْهِمْ وَقُلْنَا بِالشَّحَى : فَيَحِي فَيَاح ^(١) !
 الغارةُ هي الخيلُ المَغِيرَةُ تُصَبِّحُ حَيًّا نَازِلِينَ ، فَإِذَا أَغَارَتْ
 عَلَى نَاحِيَةٍ مِنَ الْحَيِّ تَحَرَّزَ عَظَمُ الْحَيِّ ، وَلَجَّؤُوا إِلَى وَزْرِ
 يَعُودُونَ بِهِ . وَإِذَا اتَّسَعُوا وَاتَّشَرُوا أَحْرَزُوا الْحَيَّ أَجْمَعَ .

* * *

كَلَّاحٌ : السَّنةُ المُجْدِبَةُ . يُقال : سَنَةٌ كَلَّاحٌ ، وَالسَّنةُ
 الْكَلَّاحُ . قال لَبِيدٌ يرثي عمه أبا بَرَاءٍ ^(٢) :

(١) البيت لغني بن مالك ، وقيل هو لأبي السُّفَّاح السُّلُولِي ، كما ذكر
 صاحب اللسان .

والبيت في الصَّحاح واللسان (فيح) .

(٢) هو أبو براء عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري ، المعروف
 بلعاب الأستة ، فارس قيس وأحد رجالات العرب وأبطالهم في الجاهلية .
 وقد أدرك أيام الإسلام ووفد على الرسول في تبوك . ترجمته في المعبر ٤٧٢ ،
 وجمهرة أنساب العرب ٢٨٥ ، والاشتقاق ٢٩٦ ، والخزانة ٣٣٨/١ ،
 والأعلام ٢٥/٤ .

كَانَ غِيَاثَ الْمَرْمَلِ الْمَمْتَّاحِ^(١)

وَعَصَّةَ فِي الزَّمَنِ الْكَلَّاحِ

[١٠٤] / وَيُرْوَى: « فِي زَمَنِ الْكَلَّاحِ » .

الدكتور عزرة حسن

يتبع :



(١) الشطران من أرجوزة للبيد في رثاء عمه ، مطلعها :

قوما تجوبان مع الأنواح

المرمل : الفقير المعدم الذي لصق بالرمل من فقره . والممتاح : الذي

يمتاع المروف ، أي يطلبه . وعصاة : أي يعصم الناس ويحميهم .

والأرجوزة في ديوان لبيد ٣٣٢ - ٣٣٤ . والشطران في الجهرة

١٨٦/٢ ، واللسان والتاج (كلح) .

من التوراة

منذ بضع سنين وأنا أتبع الكتاب^(١) العربي . وكان هذا الشيء في البدء وسيلة إلى تفهم المخطوطات وقراءتها قراءة صحيحة تقبني العنار والزال . ثم انقلبت الوسيلة إلى هواية وغاية ، كما يحدث غالباً في مثل هذه الأحوال . فاجتمع لدي مجموعة من الأنموذجات القيمة من وجهة الخطاطة . ومن هذه المجموعة رَقّ عتيق ، عثرت عليه في دار الآثار في دمشق^(٢) ، كتبت عليه قطعة من سفر الخروج من العهد القديم من الكتاب المقدس بالعربية . وأسرجع أنه أقدم أنموذج وصلنا من نوعه . وقبل أن أتكم عنه ، سنلقي نظرة شجعة على الترجمات العربية للكتاب المقدس ، تنير الطريق .

يقسم الكتاب المقدس عند المسيحيين إلى قسمين : العهد القديم ، والعهد الجديد ، وهو : الإنجيل (متى ، مرقس ، لوقا ، يوحنا)^(٣) . وما يتبعه

(١) هل الكاتب ، مصدر : « يقال كتب كتاباً وكتابة » ثم يسمي به المكتوب مجازاً . وقد يسى النبي بفعل الفاعل . والكتاب أدق في مدلولها من الكتابة . وأعم من الهباء ، وكانت تشمل للدلالة على الهباء والخط جيباً . وقد بينت هذا فيما بعد حين دراستي لخط الرقّ بأكثر من هذا البيان .

(٢) بين مجموعة من الرقوق محفوظة في متودع دار الآثار ، وهي من بقايا ما عثر عليه في قبة الخزانة من الجامع الأموي . دلتني إليها الأستاذ الأمير جعفر الحسني ، أمين سر الجمع ، فجزاه الله عن خير الجزاء . وقد صمحت لي - مشكوراً - عانق الدرع الإسلامي في الدار بتصويرها .

(٣) وهناك أنجيل « أبوكريفا Apokrypha » وهو لفظ يوناني بمعنىة الجمع ، معناه الأشياء الخفية التي يجب إخفاؤها لأنها كاذبة . تصنيفها قديمة من المسيحيين إلى العهد الجديد . ولتوسع في هذا . ارجع إلى مقالة الأستاذ أسد رستم في مجلة النعمة ٢٢/٨/١ .

من أسفار . وكانت النصارى قديماً تسمي الكتاب المقدس ، الصورة : الصورة العتيقة ، والصورة الحديثة ^(١) . والعهد القديم يشمل على كتب اليهود الإلهية . ويسمي اليهود مجموعتها الأسفار . ويقسمونها إلى ثلاثة أقسام : التوراة (الشريعة) תורה ^(٢) والأنبياء ، والكتب المقدسة وهي : المزامير (الزبور) وعدتها ١٥٠ مزموراً ، والأمثال ، الخ . . . والتوراة هي التي تهتمنا في بحثنا هذا . وهي عند اليهود أسفار موسى الخمسة المنزلة عليه . وقد وردت بهذا المعنى المقيد في المهديين القديم والجديد ، كما أطلق عليها أصحاب الترجمة السبعينية (اليونانية) لفظة « فانطاطوكس Penta - teukos » أي : العلاقات الخمسة ؛ لأن كل سفر منها كان يوضع في غلاف . وأيضاً فإن مدلول هذه اللفظة في القرآن والحديث وعند علماء المسلمين هو الكتاب المنزل على موسى لا غير . أما ما يقال من أن المسلمين توسعوا في مدلولها ، فأطلقوها على كل الكتب المقدسة عند اليهود ، فهذا يحتاج إلى تأويل منعرض له فيما بعد .

(١) ابن التديم ص ٣٥ .

(٢) من « التوراة » في العبرانية : الشريعة . وفي القرآن الكريم : « إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا الذين هادوا والرَّبَّانِيون والأحبار بما استُخِفُّوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء » . المائدة ، الآية ٤٧ . وذكر المسودي (مروج) ١/٩٥ « .. وأنزل الله تعالى على موسى عشر صحف فاستم مائة صحيفة ثم أنزل الله عليه التوراة بالعبرانية فيها الأسر والنهي والتحليل والتعظيم والنسب والأحكام ، وذلك في خمسة أسفار . والسفر يردون به الصحيفة » . وتغلثي التوراة العبرانية بالنسبة التالية : « خمس أخماس توراة - شريعة חמש חומות תורה » . وفي ابن التديم ٣٤ : « أنزل الله على موسى التوراة وهي خمس أخماس » .

« وأما النون الرسمي لمجموعة الأسفار العبرانية فهو : $\text{נ$ (تلفظ الكاف خاء ، فالكاف العبرانية عندما سبق بتحرك تلفظ خاء) . وترمز —

الترجمات القديمة للعهد القديم — « صلتنا عنها أخبار » ، « تقول » ، « أنموذجات » .

الأخبار — أول من عرفه أنبا قبا بها ابن قتيبة (— ٢٢٦ هـ / ٨٨٩ م) في كتابه (مشكل القرآن ، ص ١٦) يقول : « ٠٠ وبكل هذه المذاهب نزل القرآن ؛ ولذلك لا يقدر أحد من التراجم ^(١) على أن ينقله إلى شيء من الألسنة »

— إن الحروف الأولى لأسماء الأقسام الثلاثة وهي : التوراة ، الأنبياء Nebiyim ، الكتب Kethubim ، وهذا هو الاسم المتداول في كلامهم ، ولا تسمع واحداً منهم يسمي الأسفار كلها : « توراة » . انظر مرجعي الدومنيكي (المسيحية العربية) ص ٧٤ . وليهود عدا هذه الكتب الإلهية ، كتاب يسمونه : « التلمود » (التعليق) ويقسم إلى قسمين : فلسطيني وبابلي ، ويشتمل على : « المشنا » — كذا عربها ابن النديم ص ٣٤ بالآلف في آخرها — وهو النص ، و « الكهانة » Gemara وهي التفسير . وهو عبارة عن مجموع تفاليد اليهود المختلفة مع طائفة من آيات الكتاب المقدس . ويؤمن اليهود أن هذه التفاليد أعطيت لموسى — لم تنقل عنه كتابة وإنما شفاهما ، ثم دوت بعد أن نمت وتثبت — عليها ممولم ومحدثهم في قديم . انظر ابن حزم ٢٢١/١ ؛ قاموس الكتاب المقدس (تلود) ؛ جواد علي ١٠٦/٦ . هذه كتب عامة اليهود من الربانيين والتانيين والبنسويين والصدوقيين . وهناك فرقة خاصة : « السامرية » عتدم أسفار موسى الحقة بالخط السامري واللغة السامرية . ويعتبر الطاء هذه الترجمة للقدماء ، والسامريون يحرمون عليها أشد الحرص . انظر ، قاموس الكتاب المقدس (السامرة) . ويقول ابن حزم ١١٧/١ ، ١٩٥ : « بأيدي السامرية توراة غير التوراة التي بأيدي سائر اليهود يزعمون أنها الحقبة .. وسائر اليهود يقولون أنها معرفة مبدة ؛ ولم يقع اليأس توراة السامرية لأنهم لا يتحلون الخروج عن فلسطين والأردن أصلاً » . وم « يطلون كل نبوة كانت في بني إسرائيل بعد موسى وبعد يوشع .. ويقولون ان المدينة المقدسة هي نابلس » ١٩٦/١ ، ١٠٢ ، وانظر ابن قيم الجوزية ٣٥٧/١ و ٣٨/٢ .

ويضيف فريق من المسيحيين إلى هذه المجموعة : أسفار الأپوكريفا Apocrypha ، وهي موجودة في الترجمة السبعينية — عدا أسفار المكابيين — وفي اللاتينية (الايطالا) ، وفي الكاثوليكية الرومانية . انظر : قاموس الكتاب المقدس (أپوكريفا) .

(١) جمع مترجم .

كما ينقل الإنجيل عن السريانية إلى الحبشية والرومية . وترجمت التوراة ، والزبور ،
وسائر كتب الله تعالى بالعربية ؛ لأن العجم لم تنسج في الخجاز اتساع العرب .
ويتلوه المسعودي (— ٣٤٦ هـ / ٩٥٦ م) فيقول : « البطانيوس الكسنדרس . .
نقلت له التوراة . نقلها اثنان وسبعون حبراً بالامكندرية ، من بلاد مصر ،
من اللغة العبرانية إلى اليونانية ^(١) . وقد ترجم هذه النسخة إلى العربي عدة ممن
تقدم وتأخر ، منهم : . . وهي أصح نسخ التوراة عند كثير من الناس .
» فأما الإسرائيليون من الاشمث ^(٢) ، وهم الحشو والجمهور الأعظم ؛
والعنانة ^(٣) ، وهم ممن يذهب إلى العدل والتوحيد ؛ فيعتمدون في تفسير الكتب
العبرانية : التوراة ، والأنبياء ، والزبور — وهي أربعة وعشرون كتاباً —
وترجمتها إلى العربية على عدة من الإسرائيليين المحمودين عندهم ، قد شاهدنا
أكثرهم ، منهم : . . » ^(٤) .

(١) تعرف هذه الترجمة بالسبعينية Septuagint ، وتحتوي على الأپوكريفا Apocripha
أيضاً ، عند أسفار المكابيين ، وهي النسخة التي كانت بأيدي النصارى العرب في
عهد المسودي وابن النديم وابن حزم كما سنذكر فيما بعد . والظر أبو الفداء ٥/١ .
(٢) وقت هذه المفضلة في ابن حزم ٩٩/١ بشكل مغامر ، ولم يذنب لنا وجه الصواب
فيها ، يقول ابن حزم : « والربانية وهم الأشمية وهم القائلون بأقوال الأسفار
ومذاهبهم وهم جمهور اليهود » .

(٣) هم أصحاب عنان بن داود ، وتسميهم اليهود : المراس والمس . وقولهم : أنهم
لا يتمدون شرائع التوراة وما جاء في كتب الأنبياء ويتبرؤون من قول الأحبار
ويكذبونهم . وهذه الفرقة بالمرآق ومصر والشام . وهم من الأندلس بطليطة
وحلبشيرة . يخالفون سائر اليهود في السبت والأعياد ويقتسمون على أكل الطير
والغلباء والحك ويذبحون الحيوان على النار ، ويصدقون عيسى عليه السلام في
مواعظه وإشاراته ويقولون : أنه لم يخالف التوراة البتة . الظر ابن حزم ٩٩/١
والشهرستاني ٥٤/٢ .

(٤) (١١٢) (١١٢) .

ويُنبه ابن النديم (٣٨٥ هـ / ٩٩٥ م) فيقول : « قرأت في كتاب وقع إليّ قديم النسخ ، يشبه أن يكون من خزائن المأمون . ذكر ناقله فيه أسماء الصحف وعددها ، والكتب المنزلة ومبلغها وكثير الحشوية ^(١) والعوام يصدقون به ، ويعتقدونه فذكرت منه ما يتعلق بكتابي هذا . »

« قال أحمد بن عبد الله بن سلام ، مولى أمير المؤمنين هارون ، أحبه الرشيد (امتدت خلافته من ١٧٠ هـ / ٧٨٦ م — ١٩٣ هـ / ٨٠٨ م) : ترجمتُ هذا الكتاب من كتاب الحنفاء وهم النصارى ^(٢) الإبراهيمية ، الذين آمنوا بإبراهيم وحملوا عنه الصحف . . ترجمت صدر هذا الكتاب ، والصحف والتوراة والإنجيل ، وكتب الأنبياء ، والتلامذة ^(٣) — من لغة العبرانية واليونانية والصينية ^(٤) وهي لغة أهل كل كتاب إلى لغة العربية ^(٥) . وبشككم ابن النديم في مواضع أخرى عن التوراة وكتبها وعن الميثاق ، وكتب الأنبياء ويعدد معظمها . وبشككم عن كتاب النصارى المقدس الذي خرج إلى اللسان العربي ، بقسميه : العتيق والجديد ، وعمما يحتويه كل منها من كتب ^(٥) . »

وبلي هذا ، الخبر المنقول عن كتاب (التلمذة) — مخطوط — للبطريرك مكاريوس ابن الزعيم الحلبي : « أن الشماس عبد الله بن الفضل (من القرن

(١) رُذال الناصر .

(٢) أو الصابئون — بتحقيق المعزة وتحفيها — وهم السريان الوثنيون ، يبدون الكواكب ، وطائفة منهم تدعى أنهم من الحنفاء الذين آمنوا بإبراهيم وحملوا عنه الصحف . انظر : ابن النديم ٤٢٢ ؛ الشهرستاني ٩٤/٢ — ٩٥ ، ١١١ ، ١٤٢ ؛ ابن أبي أصيبعة ١٧٠/١ . وينقل ابن قتيبة في كتابه (غريب القرآن) ص ٥١ عن قتادة : « أنهم يصلون إلى البيلة ويقرأون الزبور » .

(٣) الحواريون : تلامذة المسيح .

(٤) السريانية . انظر : دي بور De bor (تاريخ اللغة في الإسلام) ص ١٥ ، جنتي (تاريخ سوريا و . .) ١٧٧/٢ .

(٥) الفهرست ٣٢ — ٣٥ .

الحادي عشر) المطران الأنطاكي كان عالماً جداً باللغة العربية واليونانية والسريانية .
وأخرج للسيحيين مائتي الكتب العتيقة المقدسة ، ومائتي الكتب الجديدة المنزلة
من الله مع مائتي تفاسيرها «^(١) .

أما المترجمون الذين نقلت لنا أخبارهم فهم ^(٢) :

١ - أحمد بن عبد الله بن سلام (زمن هارون الرشيد) ترجم التوراة
وكتب الأنبياء عن العبرانية والإنجيل والتلامذة عن اليونانية ، والصحف عن
الصائية - أي السريانية .

٢ - حنين بن أسحاق النسطوري (٢٦٠ هـ / ٨٧٣ - ٨٧٤ م) ترجم التوراة
عن اليونانية . وقد ترجم هذه النسخة أيضاً إلى العربي عدة من تقدم وتأخر ^(٣) .
٣ - يحيى بن زكريا ، أبو كثير الكاتب الطبراني . توفي ما بين (٣٢١ هـ /
٩٣٣ م - ٣٢٩ هـ / ٩٤١ م) ترجم الكتب العبرانية : التوراة ، والأنبياء ،
والزبور عن العبرانية ^(٤) .

٤ - سعيد بن يعقوب الفيسومي (٣٣١ هـ / ٩٤٣ م) ويعرف بسعدياً ،
تليذ أبي كثير المتقدم الذكر . ترجم الكتب العبرانية ذاتها ، التي ترجمها
استاذة ^(٥) . وترجمته هذه هي الوحيدة التي وصلتنا من بين هذه الترجمات .
٥ - داود المعروف بالقومسي (٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م) كان مقياً بيت المقدس .

(١) النسخة ١/٢٩/١/١ .

(٢) ذكر عن ابن العربي في (تاريخه الكندي) « أن الأمير عمرو بن سعد بن أبي وقاص
أرسل فاستقدم إليه بطريرك صنايعوني ، وذلك بين سنتي ٦٣١ - ٦٤٠ وأمره
أن يتل له الإنجيل » جواد علي ٢٧٨/٦ : النسخة ١/٢٨/١/١ .

(٣) المسودي (التنبه) ١١٢ : الفصل ٩٩ : (المشرقات في العين) المنسوب لحنين ، ٣٢
Ency. de L'Is. (Tawrat)

(٤) المسودي (التنبه) ١١٣ .

(٥) فهرست ٣١ : ١٣٦ P. Vol. I. Hastings. Ency. de L'Is. (Tawrat)

٦ - ابراهيم البغدادي .

ترجم هذان الاخيران الكتب العبرانية ذاتها ، المذكورة آنفاً ، عن العبرانية .
وترجمها عدة غيرهم ممن لم يذكر لنا المسعودي أسماءهم^(١) .

الذين نقلوا عن التوراة

١ - الجاحظ - ٨٢٥٥ / ٨٦٨ م ، في (الرد على النصارى) .

٢ - علي بن ربن الطبري في (الدولة والدين) - كتب حوالي
٨٢٤٠ / ٨٥٤ - ٨٥٥ م . فيما إذا كان حقاً له^(٢) .

٣ - ابن قتيبة - ٨٢٧٦ / ٨٨٩ م ، في كتبه : أعلام النبوة^(٣) ، تأويل
مختلف الحديث^(٤) ، عيون الأخبار^(٥) ، غريب الحديث - مخطوط -^(٦)
غريب القرآن^(٧) ، مشكل القرآن^(٨) ، المعارف^(٩) (ط . الأزهر ١٩٣٤) .

(١) المسودي (التنية) ١١٣ . الترجون من الرقم (٣ - ٦) م من اليهود .

(٢) Ency. de L'Isl. (Tawrac) .

(٣) لم يصلنا ، وإنما اطلت على لقول عنه في (الفصل) لابن حزم ٣٨٩/١ ،

٣٩٣ : ٥/٢ ، ينقل فيه عن « تنية الاختراع » ٣٣ : ٢ وعن نبوة جيلوق واشيا .

(٤) ص ٣٧ / خروج ٣ : ١٠ و ٤ : ٢٢ . ص ١٧١ ، ١٧٢ ، ٣٦٠ ، ٣٧١ /

تكوين ٨ : ٦ : ٢ : ١٦ - ١٧ و ٣ : ١ - ١٤ : ٥ : ٥ و ٩ : ٢ : ٧ .

(٥) ٢ : ٢٦٩ / تنية الاختراع ٦ : ٣ ، ١٠ - ١٣ : ٨ : ٧ - ١٣ : ١٧ ، ٢٨ : ٢٣ - ٢٥ .

(٦) ١ / ٦٢ / آ و ٤٢ / ب / تكوين ٨ : ٦ - ٧ : ٤ : ١٢ .

(٧) ٢٠٦ / تكوين ١٨ : ١٢ - ١٣ .

(٨) ص ٥٧ / تكوين ١١ : ١ - ٤ . ص ٧٦ / صموئيل الثاني ٧ : ١٤ وأخبار الأيام الأول ١٧ / ١٣ .

(٩) ص ٦ / تكوين ١٤ : ١ - ٩ . ص ٧ - ٨ / ت ١ : ٢٦ : ٢ : ٢٤ - ٧ : ١ و ٢٤ : ١

٢٨ - ٣٢ و ٢ : ١٧ - ١٧ : ٣ . ص ٣٠ / ت ١ : ٢٤ - ٧ : ١ و ٢٤ : ١

٢٥ : ١٠ / ت ٥ : ٥ : ٢٢ - ٢٩ . ص ١١ / ت ٦ : ١٤ - ١٩ : ١٢ : ٧

١ - ١١ : ٥ : ٢٤ : ٨ : ١ - ١٣ : ٥ : ١٢ - ١٥ : ٢١ : ٩ : ٧ - ١

ص ١٢ / ت ٩ : ١١ - ١٦ : ٢٨ : ٢٠ : ٢٧ . ص ١٥ / ت ١١ : ١٠ - ٣٢

ص ١٦ / ت ١٦ : ١ - ٣ : ١٥ - ١٦ : ٢١ : ١ : ٥ - ١٧ : ٢٤ : ٢٥

٢٣ : ١ : ١٧ / ت ٢٢ : ١ - ٢ : ٢٤ : ١٥ . ص ١٨ / ت ٣٢ : ٢٨ و ٣٥

١٠ : ٢٨ : ١ - ٢ : ١٠ : ١٩ : ٢٩ : ١٦ - ٢٧ . ص ١٩ / ت ٣٥

٢٣ - ٢٩ : ٤٩ : ٣١ : ٥ : ٢٢ . ص ٢٠ / خروج ٦ : ٢٠ . ص ٢٦ / ت

٥ : ٥ : ٥ . ت : رضى تكوين .

- ٤ — البعقوبي ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م ، في (تاريخه) ج ١ ، في أخبار مبتدأ الخليفة .
- ٥ — عبد المسبح بن اسحاق الكندي ^(١) .
- ٦ — الطبري ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م ، في (تاريخ الرسل والملوك) ج ١ ، في أخبار مبتدأ الخليفة .
- ٧ — سعيد بن البطريق ٨٧٢ م — ٩٤٠ م ، في (تاريخ المجموع على التحقيق والتصديق) ^(٢) .
- ٨ — المسعودي ٣٤٦ هـ / ٩٥٦ م ، في (مروج الذهب) ج ١ ، في أخبار مبتدأ الخليفة .
- ٩ — ابن حزم ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤ م ، في (الفصل بين المال والنحل) .
- ١٠ — ياقوت الحموي ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م (في معجم البلدان) .
- (١١) ابن العبري ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م في (تاريخ مختصر الدول) في أخبار مبتدأ الخليفة .
- ١٢ — أبو الفداء ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م ، في (المختصر في أخبار البشر) ج ١ ، في أخبار مبتدأ الخليفة .
- ١٣ — ابن قيم الجوزية ٧٥١ هـ / ١٣٥٠ م ، في (هداية الحيارى في الرد على النصارى) .
- ذكرت الأسماء الأربعة الأخيرة لأنهم من القدماء وإنما لأنهم أفادوني في المقارنة .
- ونخلص من بحثنا ومن معايرتنا بين هذه النقول والعهد القديم الى النتائج التالية :
- ١ — أن لفظة التوراة كان يستعملها علماء المسلمين للدلالة فقط على أسفار موسى الخمسة لا غير ، وأنه كانت لديهم فكرة واضحة عن كتب اليهود الدينية .

(١) Ency de L'isl. (Tawrat)

(٢) النسخة ١/٢٩ / ٩/١ .

فهنالك الصحف أنزلت على موسى وعدتها عشر ثم أنزلت عليه التوراة ، وهناك زبور داود وعددها (١٥٠) ، ثم كتب الأنبياء ، نقلوا عنها وصحوها بأسمائها ، ثم هناك التلمود والميشنا . ولم يحدث التشويش وتعميم اللفظة على عامة كتب اليهود إلا في المرويات الشفوية قبل اطلاعهم على الكتب بأنفسهم . وموه المفهومية كانت من النافلين لا منهم ^(١) .

٢ - كانت هناك ترجمة عبرية للتوراة ولكتب اليهود القينية منذ زمن هارون الرشيد . وأما ما يميل إليه بعض العلماء من افتراض وجود ترجمة عبرية ، حتى منذ العصر الجاهلي فما من دليل يركن إليه ، ولا تعززه الروايات . فقد ورد في سنن الترمذي (باب ما جاء في تعليم السريانية) ٢٢/٤٠ عن زيد ابن ثابت قال : أمرني رسول الله ﷺ أن أعلم له كتاب يهود . قال : إني والله ما آمن يهود على كتاب . قال : فما مر بي نصف شهر حتى تعلمته له . قال : فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبت إليهم وإذا كتبوا إلي قرأت له كتابهم . (هذا حديث حسن صحيح) .. وقد روي من غير هذا الوجه .. قال : أمرني رسول الله ﷺ أن أعلم السريانية ^(٢) . وقد روي لنا أن عامر بن عبد الله ابن عبد القيس درس التوراة على كعب في نصها الأصلي (الزرقاني على الموطأ ١١٠/٤) . وفي الحديث عن أبي هريرة : « كانت أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها لأهل الإسلام بالعربية » (البخاري ، ك . الاعتصام ٢٥ وشهادات ٢٩) وابن قتيبة يروي في المعارف ٢٣٣ ، أن « هرون بن موسى الأعور المقرئ كان يهودياً ثم أسلم .. قال هرون : كنت أقرأ ابذاً بالعبرانية ،

(١) من أراد التوسع للرجوع إلى مرجعي المتنكي ص ٧٥ فقد تتبع اللفظة في المعجمات اللدنية والحديثة .

(٢) ذكر صبح الأعتى ٨/٣ هذا الحديث فقال : « امر زيد بن ثابت .. أن يتعلم كتاب يهود من السريانية أو السريانية تعلمها » . لعل لهم من هذا أن اليهود كانت تكتب بالسريانية ؟ انظر : جواد علي ١٨٤/٦ .

يعني آدم» . وهناك روايات غيرها لا تنسح المقالة لذكرها ، فالمرجح أن لغتهم الدينية ومكتباتهم كانت بالعبرانية وحتى زمن الجاحظ كانوا مشهورين بفصاحتهم العبرانية فهو يعيب عليهم هذا ويعيب عليهم ضعف نقلهم إلى العربية .^(١)

٣ - كان يوجد ثلاث نسخ للتوراة : العبرانية ، والسبعينية (اليونانية) ، والسامرية تختلف فيما بينها وقد ذكر لنا ابن حزم وابن العبري وأبو الفداء هذه الفروق^(٢) وخلصنا مما عدده لنا ابن النديم^(٣) من كتب اليهود الدينية وكتب

(١) وأبو الفداء (٧٣٢ هـ) ٢٠/١ عندما أراد أن يؤرخ حكام بني إسرائيل وملوكهم لم يثر على ترجمة عربية لهذا القسم من العهد القديم فاضطر أن يرجع إلى الأصل عبراني . فالظاهر أن اليهود لم يتخلوا عن العبرانية في عصر من العصور . والترجمات العربية كانت فردية ولم تشمل على عامة كتبهم .

(٢) أهمها الاختلاف في أعمار الأنبياء المذكورين في سفر التكوين ، وخلوقينان من النسخة العبرانية .

(٣) ما ذكره لنا ابن النديم ص ٣٥ مفيد جداً وإن كانت أسماء الكتب فيه مشوهة تشويهاً باتناً . وهذا التشويه هناك اختلاف في أسماء الكتب بين اليهود والنصارى وبين ما هو معروف الآن وهذا تابع للأصل الذي نقلت عنه بعضها عرب وبعضها ترجم . وإليك جانب من هذا الاختلاف .

كتب اليهود	كتب النصارى	العهد القديم الآن
يوسع	يوسع بن نون	يتوع
سقطى	الأسباط	القضاة
شمرييل	شماويل	صموئيل
ملخى : (وهو سفر داود وأصحابه ويعرف بتنسيف ملخى الملوك)		الملوك
روث	راعوث	راعوث
سير سيرين	سيرسيرين	نشيد الاثناد
قوهك	قوهك	الجامعة

حكمة هويسع بن سيري

من حكمة « هويسع بن سيري » - تحريف : يوسع بن سيراخ - . وهي من الأسفار الاپوكريفية التي توجد في السبعينية عرفنا أنهم كانوا يسمندون عليها .

أما « سير سيرين » فهو تحريف العبارة العبرانية : « شير شيريم » ومنها نشيد الاثناد . وقد وردت في ابن حزم ٢٠٧/١ : « شار هير » : « أما الكتب التي يضيفونها إلى سليمان فهي ثلاثة : واحدها شار هير .. منها عشر الأسماء .. ، والثاني منها الأمثال فيه مراعى .. ، والثالث قوهك منها الجوامع » .

النصارى الدينية ومن النقول التي ذكرناها إلى أن المسلمين كانوا يعتمدون سب في
تقولهم على الترجمة المنقولة عن الأصل العبراني ولم يشذ سوى أبي الفداء فقد
اعتمد على السبعينية . وأما النصارى فكانوا يعتمدون على النسخة السبعينية . ويبدو
بما ذكره أبو الفداء أن السبعينية لم تكن تحتوي على قصة بني اسرائيل ولا على
ملوكهم^(١) ، وأفادنا ابن العبري بأن السبعينية تحتوي على كتب الأنبياء أيضا^(٢) .

٤ - ان المؤرخين المسلمين اختلفوا في اعتمادهم على التوراة في قصة ابتداء
الخليقة فبعضهم عول عليها مثل ابن قتيبة وهو أفضل من عرفنا بالترجمة العربية
التي كانت في زمنه والتي لم تصلنا ، وهو يعاير أنوال وهب بن منبه عليها . وبعضهم لم
يرتح اليها كالطبري فإنه يصدر قوله بالفاظ الترييض : « وزعم أهل التوراة »
و « ذكر في التوراة » . وأكثر نقوله عنها ذكرها لبغيل ماجاء فيها ، وهو
هنا كما في تفسيره لا يعتد بها . والظاهر أنه لم يرجع اليها وأخذ نقوله عن الرواة .
وآخرون كالمسعودي نقل عنها ولكن باعتدال وتحفظ . وهذا يرجع
إلى اختلاف آراء المسلمين في التوراة التي بأيدي اليهود . فقوم قالوا بأنها محرقة
وذكروا ما فيها من التناقض والتناقض كإبن حزم وغيره ، وآخرون أنكروا هذا
وقالوا إن نقلها نقل تواتر يوجب العلم وتقوم به الحجة^(٣) . وقلة وسط قالت
بأنه زيد فيها وغير ألفاظ يسيرة . منهم ابن نجيبة في كتابه (الجواب الصحيح بأن
بدل دين المسيح) . ومن هنا كان التفاوت في النقل عنها .

ويلاحظ أنه ما من خلاف جوهري يزيل المعنى ، بين النقول التي وردت في كتب
المسلمين وبين العهد القديم الذي بين أيدينا ، فهناك تحريف في الأسماء واختلاف في
الصوغ وقليل من الزيادات . فقد ورد في معارف ابن قتيبة ص ٣ زيادة لفظة « والحبشة »

(١) (المختصر) ٢٠ - ٢١ .

(٢) (تاريخ مختصر الدول) ٨ .

(٣) ابن حزم ٢١٥/١ .

بعد لفظة « كوش » وهي غير موجودة في العهد القديم^(١) اليوم . وهناك : عبارة وردت في (عيون الأخبار) يخاطب الله بها موسى ١/٢ لم أعثر عليها في العهد القديم . وهناك غيرهما .

الأنموذجات

وصلنا نطلع من الأصول الأربعة التي كانت عنها الترجمات العربية للعهد القديم وهي : (١) العبرانية (٢) اليونانية « السبعينية » (٣) السريانية « البسيطة » البشيطا Peshitta (٤) السامرية . ويقال ان القسم الأكبر من هذه النماذج لا يزال في مخطوطات لم تدرس بعد . وما علنا به مما وصلنا منها :

(١) العبرانية ، معظمها بقاء سديا النبوي : « التوراة » أسفار موسى الخمسة « حزقيال » « تشيد الأنشاد » « الأمثال » « أيوب » . وهذه جميعا ترجمة سديا^(٢) . وبالإضافة إليها وصلنا : « يشوع » لأحديهم وودشمالى إفريقيا من القرن الثالث عشر م . وفي المتحف البريطاني قطع من ترجمة تعود إلى القرن السابع عشر : « التوراة » أسفار موسى الخمسة ، « المزامير » ، « دانيال » وهذه بالحرى ان تعد من الترجمات الحديثة .

(٢) اليونانية السبعينية : « الأنبياء » — ترجمة كاهن اسكندراتي ، يقال انها من القرن العاشر م — « المزامير » — ترجمة عبد الله بن الفضل من القرن الحادي عشر م — « الأمثال » .

(١) تكوين ٢ : ١٣ .

(٢) انظر من ٣١٨ من هذا المقال . والنموذج المؤرخ الذي وصلنا لترجمة سديا هذا يعود إلى ٩٩٢ - ٩٩٣ / ١٥٨٢ - ١٥٨٥ م ، وهو مخطوطة مصرية للعهد القديم مكوّنة من خليط ترجمات هرييه عن أصول مختلفة : أسفار موسى الخمسة عن العبرانية من ترجمة سديا . « يشوع » عن السريانية ولكن لا يبدو انه من ترجمة سديا . وما بقي قسم منها عن اليونانية وآخر عن السريانية « البشيطا » . وهذه النسخة طبعت في بوليفك باريس وأعيد طباعها غير مرة . والترجمات العربية من الأصل العبراني تتباعد هامتها وبلا استثناء بالنسبة « الماسوريطي Massoretic text » وهذا النص هو الأصل للعهد القديم للعبراني الذي بين أيدينا ، وهو ما جسته لجنة من اليهود من القرن السادس إلى الثامن للميلاد . انظر :

Hastings, V. I, P. . 137 ; Ency . Bri . (Bible)

(٣) السريانية (البشطا) : « القضاة » ، « صموئيل » ، « الملوك » ، « أخبار الأيام » ، « المزامير » . يقال ان آثار هذا القسم تعود إلى القرنين الثالث عشر والرابع عشر .

(٤) السامرية : « التوراة » تنسب إلى أبي سعيد السامري من القرن العاشر أو الثالث عشر م .

وهذه الآثار طبعت ، قسم منها طبع مستقلاً ، وقسم آخر طبع في مجموعة ، جمع فيها قطع من الأصول الثلاثة الأولى ، كونت نسخة تامة للمهد القديم طبعت في فولو غلط « بوليفلت باريس Paris Polyglott » وأعيد طبعها مع تعديلات في « بوليفلت والتن Walton's Polyglott »^(١) .

الترجمات الحديثة

« صدر أمر بابا رومية إلى سر كبنس الرزي مطران دمشق ، على الموارنة في القرن السابع عشر أن يجمع ما في العربية من الترجمات ويضع ترجمة جديدة فأخذ في العمل سنة ١٦٢٠ وجمع الترجمات المعروفة واستخرج منها نسخة جديدة وجعل معوله على الترجمة اللاتينية في الأكثر وطبع هذه الترجمة في رومية ١٦٧١ في ثلاثة مجلدات كبيرة واضطر المرسلون الإنكليز لما أرادوا التبشير في الشرق العربي أن يعملوا عليها وما زالت هي عمدتهم حتى ظهرت ترجمة الأمير كان » .

(١) فتوسع في هذه الترجمات وطبعاتها انظر : Hasting, U. I. P. 136—137 ، زيدان ١٥٣/٢ ، ٢٢٢/٤ : النعمة ١٥/١/١ . ثم هناك لهارمر المكتبات . أما المهد الجديد فقد وصلتنا قطع ترحمت عن السريانية وعن البوqnانية وعن النبطية ، يستند ان أقدمها يعود إلى القرن الثامن م وبعضها يعود إلى القرن التاسع م ، وقسم آخر إلى القرن العاشر . وقد نشر الأستاذ كرونكو Krankow توثيقين من مخطوطات المتحف البريطاني في مجلة « الجمعية الآسورية الملكية J. R. A. S. 1926, P. 277 » ويرجع انها من القرن الثالث الهجري .

وفي ١٨٥٧ طبعت ترجمة للتوراة في لندن ترجمها أحمد فارس الشدياق قبل إسلامه ولكنها لم تنشر لأنها أثارت جدلاً لعدم تقيده بالنص حرفياً وقد أطلعني عليها الأب إميل مرقدة فله وافر الشكر .

وفي ١٨٧١ طبع الأمير كيون ترجمة لهم قام بجمعها جماعة من البروتستانت بمساعدة ناصيف البازجي وصار لهذه الترجمة رواج كبير وهي التي يعول عليها البروتستانت .

وصدرت ترجمة اليسوعيين في ١٨٩٧ م وقام على تنقيحها إبراهيم البازجي . أما الأرثوذكس فلبس لهم ترجمة كاملة ؛ وإنما ترجموا قسماً من العهد الجديد بمساعدة وربة الله صروف ١٨٣٩ — ١٩١٣ م وهم يعملون على النسخة اليونانية التي تدعى السبعينية .

هذه نظرة مجملة ألفيناها على الترجمات المعروفة للكتاب المقدس تساعدنا في تقييم بعضها .

وصف الرق والطريقة التي اتبعناها في نشره

يقع الرق في دار الآثار تحت الرقم $\frac{٢٢٩}{٢٣}$. وهو ورقان في أربع صفحات ، غير منتظم القطع ، بحجم (١٢/٨ — ١٢/٩) سم × (١١/٩ — ١٢) سم ؛ ١٦ سطراً في الصفحات : ١ ، ٢ ، ٤ ، ١٧ سطراً في الصفحة ٣ . والنص الذي كتب عليه هو قطعة من سفر الخروج ، من أثناء الآية ٢٩ من الفصل الرابع ، إلى أثناء الآية ١٦ من الفصل السادس . وفي الرق ثقب أنت على قسم من الألفاظ ، وقسم آخر حال لونه فأجهدي . ويبدو أن بعض التلف طرأ على الرق قبل كتاب نصنا ، وهو الثقب الذي في أسفل الجهة اليمنى من اللوح رقم (١) بدليل أن كلمة « أنت » التي في أول السطر الأخير ابتعد بها عن مستوى بقية الكلمات . وبلاحظ أنه كانت على الرق كتابة ثم أزيلت واستبدلت بنصنا ، والظاهر من

معالم قسم من حروفها أنها يونانية . وهذه الظاهرة ، إزالة الكتاب والكتاب على الرق من جديد ، كانت مأثورة نظراً لارتفاع ثمن الرق وتدورته . ولم أضف إلى النص سوى أسماء الفصول وأرقام الآيات ، وضعتها بين معقنين ، ووضعت للأسطر أرقاماً في الهامش الأيمن من الصفحة . وأبقيت هجاء الكلمات كما هو . ولم كان بودي أن أبقي نقط القاف والفاء كما هما ولكن طباعة هذا متعذر .

وقارنت بين النص وبين ترجمات أربع للكتاب المقدس ، وسجلت هذا في الحواشي ، وذلك بأن أذكر نص الترجمات حسب الترتيب الآتي ، يتسلسل حسب الترتيب الزمني لصدور العربية منها :

أ - ترجمة لندن .

ب - ترجمة الشدياق .

ج - ترجمة الأمير كييين .

د - ترجمة اليسوعيين .

هـ - المبرانية . ولم أجد منها إلا ما يحتاج إليه . وعلقت ملاحظاتي في

هذا الموضع .

وأذكر نصوص الترجمات كما يلي : أثبت أولاً رقم الآية ثم أذكر تحتها نص الترجمة رقم (أ) بكامله ، وأثني بالترجمة رقم (ب) وأتبعها بـ (ج) ، الخ . . . ولا أذكر منها سوى ما يختلف فيه ، وأضع عرضاً عن المشترك تقطتين ، وبعدهما أجدل المقارن وقبله أذكر لفظة مشتركة أو مرادفه أو ما شابه ذلك لتسهيل المقارنة وعندما يسبق أمثال هذه اللفظة حرف جر أو عطف مقارن أو زائد نجله . وعندما لا يشر عليها في السطر السابق يفتش عنها في الأسبق وهكذا . فشلاً في صفحته ٨.

الآية [٢٢] الرقم (ب) : « وقال .. اذهب » . يفتش في الرقم (أ) عن « اذهب » فما سبق هذه اللفظة يفتقان فيه ، وهكذا .

ولهذا النص سميات منها : أنه يتفرد بالتصريح باسم جبل الله : حوريب .
في الآية [٢٢] من الفصل الرابع وقّع في صفحة ٣/٨ من نصنا .
وفيه مفردات لا نعرفها ، وأخرى غير مألوف لدينا استعمالها بالطريقة التي
استعملت بها في النص . كما أن هناك طائفة من الألفاظ تختلف في مجازاتها الطريقة
المتبعة ، وأخرى تخرج على القواعد النحوية .

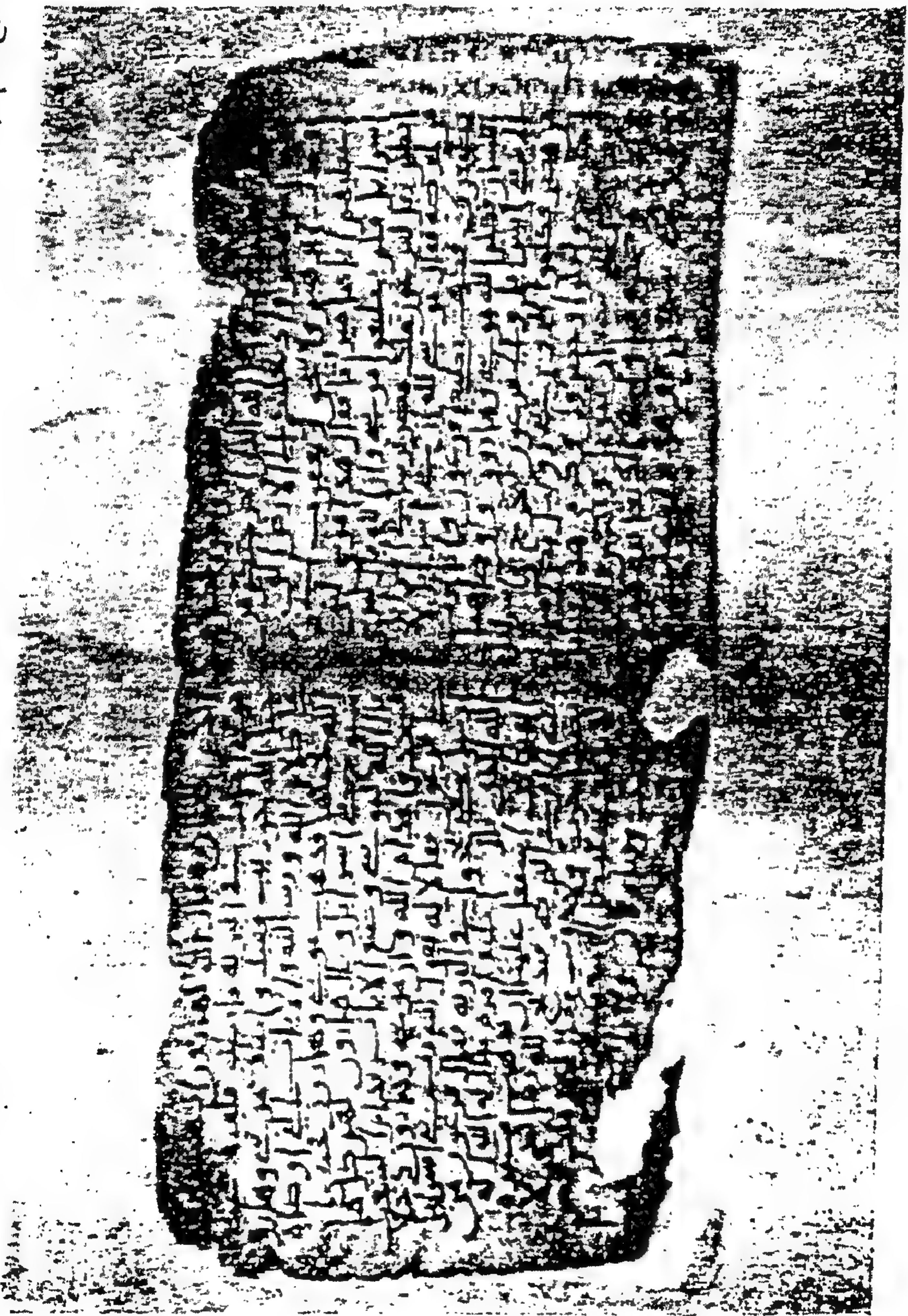
وأبرز ما فيه هو نقط القاف تقطة من تحتها ، والناء تقطة من فوقها . وهذه الطريقة
كانت متبعة في المشرق الإسلامي ، بلغتنا عن الخليل بن أحمد - ١٢٠هـ / ٧٨٦ م
وغيره تقول في هذا الشأن . كما أن لديّ نماذج مخطوطة - بعضها مؤرخ -
تتبع الطريقة ذاتها ، ومنعوض لما فيها بعد حين دراستنا للنص . وأما ما ذكره
الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب من أن الناء كانت تنقط « أولاً بالعراق بنقطة
أصل الحرف ، وأختها القاف بواحدة فوق الحرف » ، ثم يظهر آخر القرن الثالث
للهجرة ، تغير نقطها في المشرق بنقط القاف واحدة من فوق والقاف باثنتين ،
ويستمر المغرب على استعمال الطريقة القديمة إلى يوم الناس ^(١) . فأنا أخشى أن
يكون الأمر قد التبس عليه فظن أن النموذج الذي نشره من مختلفات المشرق
الإسلامي ، وهو لم يعط مصدراً غيره . فالتصوص مع النماذج التي عندي لا تساعده .
ولعل له فيه حجة لا نعلمها .

أما دراستنا للنص فستبثها بعد تبجيله لتسير بهديه معاً .

(١) مجلة معهد المخطوطات ٣٤/١/٢ - ٣٥ .

اللوحي رقم (٤)

اللوحي رقم (١)



اللوحي رقم ١ [الفصل الرابع]

١- [٢٠ عروس] الدم للخنان [٢٢] وقال الله لهارون اذهب فتلقا

٢- موسى أخاك في البرية فانطلق فلتقي في

٣- جبل الله حوريب قبله [٢٨] واطلع موسى وهارون

٤- على كلام الله ورسائله والآيات التي أوصاه

٥- الله يحملها [٢٩] فذهب موسى وهارون فحملوا

[٢٦]

أ- .. بالدم بسبب الختان ؛ ب- .. دم .. ج- د- .. من أجل ..

[٢٧]

أ- فقال الرب لهارون اذهب وقلل موسى إلى البرية ففزع وقلل به إلى جبل الله وقبله.

ب- .. و .. اذهب إلى البرية لاستقبال موسى ففزع واستقبله في جبل ..

ج- .. موسى فذهب والتقاء في جبل ..

د- .. امض .. فناء موسى في البرية ففزع وقلل في جبل ..

هـ- وكذلك النسخة العبرانية لا يذكر فيها اسم جبل الله . ويتكرر نصنا بتسمية

جبل الله حوريب .

[٢٨]

أ- وقص موسى على هارون جميع كلام الرب الذي كان أرسله به والآيات التي أمره بها.

ب- د- .. الذي أرسله به وجميع الآيات ..

ج- فأخبر موسى هارون بجميع كلام الرب .. وبكل الآيات .. أوصاه ..

د- .. كلام الرب الذي به به وجميع الآيات ..

[٢٩]

أ- فجاء موسى وهارون وجما كل شيوخ بني إسرائيل

ب- فذهب .. وجما مشايخ بني إسرائيل جيماً

ج- ثم مضى .. وجما جميع شيوخ بني إسرائيل [د د] مثلاً ، سوى أنها تبدأ ب : ففزع

٦ - شيوخ بني اسرائيل [٣٠] وقال هارون لحم كل ما

٧ - قال الله لموسى وصنع الآيات قدام الشعب

٨ - [٣١] فسجدوا قدام الله

[الفصل الخامس]

= [١] وان موسى وهارون دخلا

[٣٠]

أ - وتكلم هارون بجميع الكلام الذي قاله الرب لموسى وصنع الآيات قدام الشعب

ب - .. بجميع الكلمات التي تكلم بها الرب مع موسى و .. برأى القوم

ج - .. الكلام الذي كلم الرب موسى به و .. أمام عيون الشعب

د - وخاطبهم .. الرب به موسى .. على عيون ..

[٣١]

أ - وآمن الشعب وسموا الله قد اتقده الرب بني اسرائيل والله رأى ضيقهم فخر

كل الجمع إلى الأرض وسجدوا لله

ب - .. القوم ولا سموا ان الرب اتقده بني .. خرم طاطاراً ورمهم وسجدوا

ج - .. الشعب .. والله نظر إلى مدلتهم خروا وسجدوا

د - .. الشعب واذا سموا .. قد اتقده .. ونظر ..

* * *

[الفصل الخامس]

[١]

أ - ومن بعد هذا دخلا موسى وهارون وقالوا لفرعون هذا ما يقول الرب إلام

اسرائيل اطلق سمي لي لبيدوا لي في البرية -

ب - وبعد .. دخل .. وأخبر فرعون هكذا قال الرب .. اطلق قومي

ليبدوا لي في البرية

ج - .. ذلك دخل .. وقال لفرعون كذا قال .. اطلق سمي .. إلام مثلاً ،

إلام أن ليا : لكي يبدوا

- ٩ - على فرعون نقالا له يقول الله رب بني اسرائيل
 ١٠ - ارسل شامي يحجروا في البرية [٢] فقال فرعون من
 ١١ - الله الذي قال اطيع امره [٣] فقال له الله اله

— هـ - مثل منناه . ويلاحظ تأثير المبرانية في نصنا فلها : « وَيَحْجُرُوا لِي »

[٢] « אֶלֶּי אֶשְׁלֵחַ » هي في عبريتنا « لِيَحْجُرُوا » وتعني : « ليعبدوا »

ليستفروا ، ليعبروا الدفاتح « من الجذر « حج » אֶלֶּי « سام »
 مشترك ، أصل منناه في المبرانية : « رقص » ، وكذلك في السريانية وبما أن
 الرقص كان يرافق الطقوس الدينية وتكديم القرابين في أوقات معينة فقد تطور
 إل معنى : « عيد » قرب الدفاتح . أما في العربية فلم تحفظ لنا معيّناتنا
 سوى المعنى المجرد ، وحافظت اللغة بالدارجة على المعنى الأصلي ، لتقول لمن
 ينفبه الناس ليخفوا « حاج فحج لورا ولقدام » أي كفاك اعتزازاً وقاملاً .
 قبل كان المترجم متأثراً بالنس المبرانية أم أن اللفظة كانت في لحيته « عيد » ،
 « قرب الدفاتح » .

[٢]

أ - فقال فرعون من هو الرب حتى اطيع صوته واطلق اسرائيل لا اعرف الرب
 ولا اطلق اسرائيل

ب - .. حتى اسمع لقوله لا اطلق اسرائيل انا ..

ج - .. لقوله واطلق اسرائيل لا اعرف الرب واسرائيل لا اعلمه

د - .. فاسمع لقوله .. ولا اطلق اسرائيل

هـ - توافق هذه الترجمات

[٣]

أ - فقال له الا المبرانيين دعانا لنذهب مسيرة ثلاثة أيام في البرية ونذبح ذبائح الرب
 الا هنا لئلا يُصيّنا وباء أو حرب

ب - فقال ان اله .. لا مانا الا فلنذهب .. ونذبح لرب .. بوباء أو باليف

ج - فقال له .. قد التفتنا فذهب سفر ثلثة .. بالوباء ..

د - .. وانما فذهب مسيرة .. بوباء أو سيف

- ١٢ - العبرانيين اسدعل علينا ان نذهب مسيره
 ١٣ - نلثه ايام في البريه فمدبح لله ربنا لكي لا
 ١٤ - يصيينا حرب ولا موت [٤] فقال لهم ملك مصر
 ١٥ - لم نامومي تبطل الشعب من علم ادهبا
 ١٦ - اب وهارون ..

ملك هنانو

يتبع :

— ه — البارة البراية للميزة فام بخط غته هي : « يفسرا عليشو [٢٦٢] لا ١٦ »

(يفسرا) من الجذر « قرا » ٢٦٢ « سامي مشترك يقابله في
 العربي (قرأ) ومعناه في البراية : دعاء ، صرخ ، قادي ، حتى . أما في
 العربية فقد تطور معناه . و (عليشو) : علينا - حرف جر وخير . ففي
 البراية : دعاء .. الخ .

أما التي وردت في « لصتا » اسل علينا فلعلها : « استل علينا » ، وفي
 معجمات العربية : « استل جده » : كانه أن يُنزل عليه ، أي يأخذه بالفضلة .
 وفيها وجه آخر على سبيل الإمكان وهو أن تكون « استل » من
 « اللو » فقد تكون لجة كانت تني « فادام من عل » : فني (المصباح
 المنير) : « وتعال تاليا من الارتفاع . وتعال فل أمر من ذلك ،
 وأصله أن الرجل المالي كان يتادي السائل فيقول : تعال ، ثم كثر في كلامهم
 حتى استعمل بمعنى « مطلقاً » . أو أن « استل » من « اللل » ، أي :
 طلب منهم ان يذبحوا مرة بعد مرة .

[٤]

أ - فقال لها ملك مصر لماذا يا موسى وهارون تغلبان قلب الشعب عن أعمالهم
 اذهبا إل أعمالكم .

- ب — .. نعدان القوم . إل احوالكما .
 ج — .. تبطلان الشعب من أعماله .. ائفالكما
 د — .. تمضلان .. عن أعمالهم امضوا إلى ائفالكما
 لم يظهر التسم « م » من كلمة : عملهم . التي في السطر د ١ من نصنا وأغفناها كما
 وقع في السطر ٢ من (الواح ٢) : وذلك لتأكل الرق . كما ان كلمة :
 « اب » في أول سطر ١٦ مبسطة عن مستوى بقية الأسطر بسبب ذاته . وبمن
 كلمة « هارون » من هذا السطر ومدار اربعة كلمات لم تثبتا : كلمة وبعض
 الأخرى حال لوئها فلم تضما ، وقرأنا ما يشبه : « وكان له » لئل المقطع الأخير
 « ب » فتكون العبارة : « وكان الشعب » وما بقي مما لم يثبت فلتلف في الرق .
 ويبدو ان بعض التلف حصل لرق قبل كتاب نصنا ، وذلك الذي في الجهة اليمنى
 السفلى من هذا الواح .

التعريف والنقد

قيم جديدة للأدب العربي

للدكتورة بنت الشاطئ

١٥٠ صفحة من القطع الكبير - نشر دار المعرفة بمصر

عرفت السيدة الدكتورة بنت الشاطئ بالشخص في صيف سنة ١٩٥٢ وذلك بمكتب الأستاذ الكبير عادل الغضبان في دار المعارف بالقاهرة ، وكان ميادته قبل حضورها بقليل قدم لي نسخة من رسالة الغفران بتحقيق الدكتورة في طبعتها الثانية التي صدرت عن الدار في ذلك الأسبوع ، وقد راجع في ذهني بعد التعارف الذي تم بواسطة الصديق عادل أن أطلب منها توقيع النسخة بحكم أنها المؤلفة ولكنني أجمعت عن ذلك لأن هذا كان أول لقاء معها ، وهو وإن كان لقاء مشجعاً بما رأيته من حسن محضرها ولطف حديثها إلا أنني لم ينبغي عن بالي أنها سيدة في عصمة رجل من رجال العلم والأدب يحظى باحترام كبير .

وأنا رجل مما تعلق بهذا الأدب ووغلت على أربابه ، لا أنسى أن أدبي الأول كان هو السنة النبوية وإن دراساتي الرسمية كانت دراسة دينية وعلى النهج المأثور ، فلا أكتف أن مانعي الحقيقي من أن أطلب توقيع الدكتورة هو استحضاري لواقعة حال شبيهة بحالي ، وهي تتضمن سلوكاً ما كان لمثلي إلا أن يتقيد به وأعني حديث النبي ﷺ عن عمر فبما رواه البخاري : اطلعت في الجنة فإذا امرأة تنوضاً إلى جانب قصر فقلت لمن هذا القصر ؟ فقالوا : لعمر بن الخطاب ، فذكرت غيرته ، فوليت مديراً ، فبكي عمر وقال : أعطيك أغار يا رسول الله ؟

ولا يفوتني أن أقول أنني إذا لم أتجاوز الحد في طلب التوقيع ، فقد تحدثت إلى الدكتورة حديث الماعجب بأديها وعلمها وأنصت إليها وهي تتحدث عن اشتغالها برسالة الفئران وما بذلته من جهد في تحقيقها ، وسألتها هل يعينها الأستاذ زوجها في أعمالها الأدبية فقالت إن الأستاذ هو الآخر مشغول بأعماله الكثيرة لا يفرغ إلى مثل هذه المعونة . وزادت تقول إنها تزرع تحت أعباء ثقيلة من الإشراف على تدبير البيت وتربية الأولاد والتدريس ، فزاد إعجابي بهذه البطلة ، وعند الانصراف تفضلت فوصلتني إلى الفندق الذي أنزله في سيارتها التي تسوقها بنفسها فودعتها وحملتني تحيائي إلى الأستاذ زوجها .

والمقصود القول إن الإنسان لا يترك شيئاً بنية حسنة وأدب جميل إلا عوضه الله خيراً منه ، فقد تكررت زيارتي للقاهرة بعد ذلك ، وتكرر لقاءتي للسيدة الدكتورة ، وإذا بكتبها تتواتر إليّ ، مع عبارة الإهداء والتوقيع المرغوب ، ومنها كتاب قيم جديد للأدب العربي الذي يساق الكلام إليه . وقد خصصت هذا الكتاب من بين كتبها بالحديث لأنه دراسة طلابها التجديد ، ومحاولة ناجحة لوضع قيم حقيقية للأدب العربي لا جديدة فقط ، لأن الجديد قد يبلى والحقيقة ثابتة لا تزول ، فقد تنهت الدكتورة إلى أن هذه الصورة الرسمية التي يقدم بها الأدب العربي منذ عصر الجاهلية إلى العصر العباسي ليست هي الصورة الحقيقية لهذا الأدب ، وأن خطأ ربيعاً يفصل بين مهمة الأدب الأولى وهي الأدب للحياة وبين ما حادلت تلك الصورة الرسمية بتواطئ النقاد القدماء أن تجعل منه مهمة الأدب الوحيدة ، هي الأدب للبلاط إن صح هذا التعبير ، فأخضعت جميع نصوص الأدب العربي أو على الأصح جميع تراثنا الشعري لهذا الاعتبار وحكت عليه وعلى عامة شعرائنا بقايس مستوحاة من جو السياسة والحكم ومعبط

ذوي النفوذ والسلطان ، فكل من ركم بين يدي ملك أو خليفة رفعت الرسميات إلى الطبقة الأولى ، وصار هو الشاعر الطبيعي لجيله ، وآثاره هي النماذج المختارة لعصره . فالناطقة في الجاهلية ، وجوزير في العصر الأموي ، ومردان ابن أبي حفصة في العصر العباسي ، وأخراجهم هم الشعراء المقدمون على من سواهم من شعراء عصرهم .
وقول الأول يخاطب النعمان :

فأنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أنت المتأى عنك واسع
وقول الثاني يمدح المروانية :

أسم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح ؟
وقول الثالث يحتج للمباصيين على العربيين :

أني يكون وليس ذاك بكاثر لبي البنات وراثته الأعمام ؟
وأما هذه الأقوال ، هي النماذج الرسمية في الدراسات الأدبية إلى عصرنا هذا .
فهل هذه هي حصيلتنا من الأدب العربي طوال قرون ؟ وهل حقاً أن أولئك الشعراء المتلقين هم النخبة التي تمثل الشعر العربي في عنوان مجده ؟ ألم يقل العلماء أن الشاعر كان للقبيلة بمثابة القائد والزعيم يدافع عن أحبابها ويخلد مآثرها ؟ وإن تكسب النابغة والأعشى بالشعر غرض من قدرهما ونال من شرفهما ؟ ومعنى ذلك أن للشعر رسالة في الحياة ، وأنه من قبل أن يكون حرفة ، فهل يصدق ذلك على الشعر العربي في أدواره المختلفة ؟ وهل قام شعراؤنا الأقدمون بما يطلب منهم في هذا العدد ؟
ذلك هو ما تجيب عنه الدكتور في كتابها (قيم جديدة للأدب العربي) ، وثبتته بالأدلة والشواهد ، فتبين كيف انخرق فهم النقاد القدماء لتراثنا الأدبي ، وكيف ضلت المقاييس التي وضعوها لوزنه وتقديره ، وتجعل من الممارك التي خاضها الشعر في الجاهلية والإسلام لمقاومة التسلط والطغيان وإقامة موازين الحق والعدل قواعد ومقاييس لنقده وتقييمه ، فتعيد للأدب العربي اعتباره ، وترفع بين الآداب الإنسانية مناره ، واستمع إلى قولها في ذلك : « مستقبلنا بلا شك معركة فكرية ،

بعد أن انقضى عهد الاستعمار العسكري ، ولا مفر لنا من خوض هذه المعركة لأن وجودنا الكريم لا يحيد إلا صون مقوماته المعنوية . وهنا يأخذ الأدب دوره في نضالنا الجديد ، حارساً لمعنوياتنا . وكما لاذأصلافنا باستنقاذ تراث العربية الأدبي والفكري في صراعهم مع الشوعية ، وكما حموا به العربية ديناً ودولة في مهب الأعصار النثري نلوز به اليوم لحماية وجودنا في مهب تيارات الغزو الفكري .

ولن ينهض الأدب بهذا الدور الجليل في المعركة ما لم تتحرر من الرواسب التي شوهت تراثنا الأدبي ، وما لم نتج في ذوقنا له من سيطرة الأذواق التي ورثناها من مخلفات عهود الضعف والانحطاط بل لن تقوم للأدب العربي فينا قائمة ما لم نلغ الأصوار التي عززت أبناءنا وأجيالاً قبلهم ، من أجمل ما لنا من تراث فني ولم ننج الظلال التي حجبت عنهم بهاءه حين فرضت عليهم نماذج بعضها من الشعر راجت في ظل الطفيان وأشخاص بذواتهم من الشعراء والكتاب يدينون بشهرتهم وذيوخ صيتهم لتعلقهم بركاب الحكم ، أيام كانوا في عزلة عن الشعوب . . .

انني أهني الدكتور جوفيقها في هذه الدراسة القيمة وأتمنى لو تشع فيها وتستمر حتى تشمل العالم العربي يجناحيه وتصل إلى ما بعد العصر العباسي من عصور حكم عليها ظلم بالعمق والفضالة ، إذ كان النظر إليها انما يقع من هذه الزاوية التي ازدادت خيفاً بحكم تسلط الأعاجم على بلاد العرب واستغنائهم عن الشعر والشعراء ، فاستغنى النقاد القدماء منهم والمحدثون عن النظر في تراثنا الفكري الجديد لما صار لا يمت إلى حياة البلاط بعلة ، وطوبت صحف كثيرة كان يمكن أن يكون لها صدى ودوي في حياتنا الأدبية لو وجدت المزائم النافذة والأقلام السبالة التي تغلها وتبرز للناس ما فيها من ذخائر وكنوز .

• عبد الله كنوز

المشرد

للاستاذ الشاعر عبد الكريم الكرمي « أبو سلى »

مجموعة شربة عدد صفحاتها (١٣٦) صفحة

ديوان صغير جمع فيه الأستاذ « أبو سلى » طائفة مختارة من أشعاره ، فكان ديواناً خفيف الظل ، قريباً من العين والقلب ، لأن فيه شعراً طيباً تترؤه فتعنى بإحساس صاحبه ، وهذه مزية كافية لكي يكون الشعر شعراً .
وشعر أبي سلى ما زال شاباً متوقفاً قوي الأثر ، وقد وقف أكثر هذه المجموعة على التفتي بنبوغه - الدائمة - ألا وهي فجيعة بكارثة فلسطين وتزوجه عن مدارج صباه ومطارح شبابه .

ويكاد يكون أبو سلى الشاعر الأول الذي تغنى بذكر فلسطين الأرض السلية بل هو أحسن من تغنى بوصف هذه الهنة الناصمة ، وقد قرأت له شيئاً من شعره في هذه المجموعة ، ولا أحدد لك صحيفة أو قصيدة ، لوجدت صدق للعاطفة ، والشوق الملح ، والحنين إلى الوطن .

وانظر إلى هذين البيتين الباكين على حيل المثل والاختيار والانتقاء :

يا فلسطين ، وكيف الملقى هل أرى بعد النوى أقدس ترب

أيا الباكي وهل يجدي البكا بعد ما أصبحت في كل مهب

انها صرخة متشائمة ترجو أن تصبح متفائلة في المستقبل القريب إن شاء الله .

والى جانب هذا الشعر « الجريح » شعر طريف من الغزل ، وهو شعر

أحب أبو سلى أن يذكرنا فيه بشبابه الذي ترجو أن يدوم .

أما أسلوب أبي سلى فهو الأسلوب العربي الوضيء ، الأسلوب الذي نعتبره

غرفناً صحيحاً للشعر العربي المعاصر ونحن نشكر للأستاذ الشاعر هديته القيمة .

أحمد الجندي

آراء وأنباء

تجديد رئاسة الأستاذ الرئيس الأمير مصطفى الشهابي

كان مجلس مجمع اللغة العربية (المجمع العلمي العربي بدمشق) اجتمع بتاريخ الرابع من كانون الأول سنة ١٩٦٣ لاتخاب رئيس للمجمع وذلك بسبب انتهاء مدة رئاسة الأمير مصطفى الشهابي في ١٦ كانون الأول سنة ١٩٦٣ ، وعملاً بالمادة الثانية والعشرين من القرار ذي الرقم ٣١ لسنة ١٩٦١ . وقد حشرت الجلسة أكثرية الأعضاء وبوشر الانتخاب بالطريقة السرية ، ولدى فرز الأصوات فاز الأمير مصطفى الشهابي بأجماع الأصوات ، وعلى ذلك اتخذ المجلس قراراً بتجديد انتخابه لمدة أربع سنوات اعتباراً من تاريخ ١٦ من كانون الأول سنة ١٩٦٣ وهو تاريخ انتهاء مدة رئاسته السابقة . ثم رفع هذا القرار مع الأسباب الموجبة له إلى وزارة التربية والتعليم فصدر بناء على ذلك المرسوم الذي أثبتنا نصه فيما يلي :

(مرسوم رقم ٢٠٤)

رئيس المجلس الوطني لقيادة الثورة .

بناء على أحكام المرسوم التشريعي رقم ١٠ تاريخ ١٩٦٣/٣/٢٣

وعلى القرار الجمهوري رقم ١١٤٤ لعام ١٩٦٠

وعلى القرار رقم ٣١ لعام ١٩٦١

وعلى ضبط الجلسة التي عقدها الأعضاء العاملون بجميع اللغة العربية بدمشق في ١٩٦٣/١٢/٤ والتي تم فيها تجديد انتخاب رئيس الجمع وعلى اقتراح وزير التربية والتعليم .

يرسم ما يلي :

- ١ - يحدد تعيين الأمير مصطفى الشهابي رئيساً لجمع اللغة العربية بدمشق لمدة اربع سنوات من تاريخ ١٩٦٣/١٢/١٦ .
- ٢ - يتقاضى الأمير مصطفى الشهابي رئيس الجمع تعويضاً شهرياً معادلاً لراتب الدرجة الثالثة من المربة الممتازة ، ويصرف من الباب الأول (الرواتب) من موازنه الجمع .
- ٣ - ينشر هذا المرسوم ويبلغ من يلزم لتنفيذ أحكامه .

دمشق في ١٢/٩/١٣٨٣ و ١٩٤٤/١/٢٦

وزير التربية والتعليم	صدر عن رئيس المجلس الوطني لقيادة الثورة
مصطفى حداد	رئيس مجلس الوزراء
	أمين الحافظ



الأديب العبقري عباس محمود العقاد

(١٨٨٩ - ١٩٦٤ م)

الأديب العبقري عباس محمود العقاد

١٨٨٩ — ١٩٦٤ م

توفي صباح الثاني عشر من آذار «مارس» سنة ١٩٦٤ م الموافق
لثامن والعشرين من شوال سنة ١٣٨٣ هـ الكاتب العربي الألمي عباس محمود
العقاد أحد أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق، وجمع اللغة العربية في القاهرة،
والمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في القاهرة، ورئيس
لجنة الشعر فيه، فكان لنبا وفاته صدى هيق من الحزن والأسى في جميع
البيئات الأدبية للأقطار العربية. ذلك لأنه، رحمه الله، كان من خيرة أدبائنا
الذين يتحلون بالفكر الحر، والأدب الرفيع، والمنطق السليم، والأسلوب العربي
الصحيح، والثقافة الراسخة، كما كان يمثل العصامية النابغة تشبلاً صعباً عز نظيره.
لم يتخرج العقاد في العلوم والآداب من مدرسة ثانوية ولا من مدرسة
عالية، ولكنه وطّد نفسه في جلد عجيب على مدارسة لغة الانكليز وقواعد
العربية وآدابها، وعلى جمع الكتب باللغتين ومطالعتها، وعلى الكتابة في
الجرائد المصرية، حتى ظهر في أواخر الحرب العالمية الأولى في مظهر كاتب
عربي شاب من أنداد طه حسين والملازمي وهيكمل ومن في منزلتهم.

وأدل صنعة على حياة العقاد في حياته وشبابه ترجمة له بعث بها إلى
بمعنا بدمشق مع رسالة مؤرخة في ١٨ من أكتوبر «تشرين الأول»
سنة ١٩٢٦، وذلك عقب انتخابه عضواً في المجمع المشار إليه في جلسة عقدت
في أول تشرين الأول من السنة المذكورة (١). قال الفقيّد: (...) وقد أرسلت

(١) انتخب أيضاً في تلك الجلسة الأمير مصطفى الشهابي، والأستاذ خفيق جبري، والشيخ
محمد الخضر حسين، والشيخ إبراهيم المنذر.

إليكم مع هذا صورة شمسية وترجمة حياتي (١) كما كتبتها لصاحب « مشاهير

(١) نشر في هذه الحاشية الترجمة الملمة آنياً وهي بخطه . أما الصورة فقد فضلنا عليها صورة في شيوخنا . وأما الكلمة فقد نشرت في الصفحة ٤٨ هـ من المجلد السادس « ١٩٢٦ » من مجلة النجم . وفي سنة ١٩٦٣ نشرتها لطرافتها في مجلة « العلوم » البيروتية بعد الاستئذان من القيد ، وقلنا إن أبناء الجيل الحاضر هم أحوج إليها من أبناء جيلنا ، ثم أعدنا نشرها في هذا العدد . وهاكم ترجمة القيد بخطه :

« ولدت ببلدة أسوان في صيف سنة ١٨٨٩ م ، وتلقيت دروس الابتدائية بمدرستها ، فتخرجت منها سنة ١٩٠٣ . وكان لي مصطحبي أبا ، دراستي الأولى إلى مجلس الأستاذ الأديب أحمد الجداوي أحد فضلاء الأزهرين الذين لزمنا السيد الأفاضل أثناء مناهجهم . فكنت أسمع محاضراته الشعرية ، وقراءاته لمقامات الحريري وبعض القصائد المختارة ، واستظرف ذكاهته وتواضعه التي كان يرويه عن المتقدمين والمتأخرين ، فتوقفت ذلك إلى مطالعة الكتب الأدبية ، وكان أول ما وقع في يدي منها « كتاب المستظرف في كل فن مستظرف » ، وديران البهاء زهير ، وقصص ألف ليلة وليلة ، ثم مجلد من دائرة المعارف لبيستاني ، وأعداد مختلفة من صحيفة الأستاذ لصاحبها السيد عبد الله نديم ، وكنت أسمع أحمد كثيراً في مجلس الأستاذ الجداوي . ومن ثم أنبأت بجملي على المطالعة العربية والفرنسية ، ورغبني في الاستزادة من هذه كثرة ورود الساترين إلى البلدة في الشتاء وترودم على المدرسة يساجلون للامتياز وبلغتهم بالهدايا وأكثرها كتب موهبة مكتوبة في لغاتهم . ونظمت الشعر ، ولا أزال أذكر أحياناً من قصائد سيديانة نظامها في فضل العلوم إذ كنت في الماشرة من عمري وهي :

عز الحساب له مزايا جمة وبه يزيد المرء في العرفان
وكذلك الجغرافيا تهدي التقى لمسالك البلدان والوديان
وتكمّل القرآن وأذكر وبه بالنفع كل النفع في الفرائد

الخ الخ .

ولم ألتق في المدارس بعد انصالي من مدرسة أسوان غير أبواب محدودة في الكهرباء والطبعة حضرتها بمدرسة « الصنائع والفنون » . وقد عافني هوائتي شق عن متابعة التعلم المدرسي كما كنت أود يومئذ ، ولست على ذلك الآن بنادم .

اشتغلت بعدة وظائف حكومية كنت استقيل منها واحدة بعد الأخرى ، لفوراً من قيودها التنبيلة وتكاليفها القلّة ، أو رغبة في الدعة والملاجء كما كان يتأين أحياناً من الضعف والقم . وكان أول عمل صحفي لي في جريدة الدستور التي أنشأها الأستاذ فريد وجدي ، ثم كتبت في صحف أخرى هي المؤيد والأهالي والأمراء والأفكار والبلاغ ، وفي خلال ذلك كنت أزال التدريس فارة باللاهية وقارة بأسوان .

شعراء العصر ، إذ لم يجد عليها جديد إلا أنني لا أزال بغير الحياة ! وأنتي
أخرجت في السنوات الثلاث التي تلت تاريخ الترجمة مجموعات « النصول » ،
و « المطالعات » ، و « المراجعات » . وعسى أن تتنازل رضاكم كلمتي التي بعثت
بها لإلقائها في المجمع المقرر ...) .

وفي ١٨ من فبراير « شباط » سنة ١٩٢٩ م بعثت إلى رئيس مجعنا برسالة
جاء فيها : (... وقد أرسلت اليكم كتاب « تاريخ الاحتلال » ، وكتاب
« الحكم المطلق » ، ونهيت الإدارة إلى إرسال البلاغ الأسبوعي ... وأرجو
أن أفرغ الكتابة في مجلة المجمع فليس أحب إليّ من الاشتراك في هذا العمل
المأنور . وأنتي لكم وللنداء التي نخدمونها كل رخاء وفلاح) الخ .

ولم يتسكن ، رحمه الله ، من الكتابة في مجلة المجمع ، لأنه قصر جهده
على التأليف وعلى الكتابة في الجرائد والمجلات المصرية . ولكنه ظل يطالع
أجزاء مجلتنا ، ويذكر كتابها . فقد سأله أحد الأدباء عن يقرأ لهم من الكتاب
السوريين والبنانيين فأجاب فيما أجابه : « ... وأقرأ لغير هؤلاء فريقاً م
أقرب إلى العلماء منهم إلى الأدباء مثل الكرد علي والحسي والشهابي والمصري
ومن على هذه الشاكلة من الكتاب . وأرى أنهم يقومون في خدمة اللغة
والعلم بعمل لا يستغنى عنه » (١) .

كان في العقاد مزاجاً قلما تجتمع في شخص واحد : منها اطلاع الواسع
على أمهات تراثنا الأدبي القديم ، ومعرفة الحسنة باللغة الانكليزية مما يسر له
قراءة مؤلفات الكبار من أديانها ، وحرصه على التوفيق بين الثقافة العربية
والثقافات الغربية الحديثة دون طغيان الثانية على الأولى ، واتقانه لآلات لغتنا

(١) مجلة « كل شيء » المصرية ، عدد ٢٦ من أبريل « نيسان » سنة ١٩٣٠ .

الضادية وقتها ، وحرمة الشديد على متابعة الحركة الأدبية في البلاد العربية وفي ديار الغرب ، وتجلده العجيب على شراء الكتب العربية والإنكليزية ومطالعتها في موضوعات شتى لغوية وأدبية واجتماعية وفلسفية وتاريخية وجغرافية وغيرها . فلا غرابة بعد هذا أن يُعد من أوسع أدباء العرب ثقافة ، وأن يُصدر بضعة دواوين من الشعر الجيد ، وأن تزيد مؤلفاته على ثمانين كتاباً ، وأن يظل مدة نصف قرن أو أكثر يملأ الصحف ومحطات الإذاعة بمقالاته الممتعة ، وأفكاره الثيرة ، ومعلوماته الواسعة في فنون الأدب وتجارب الحياة ، حتى تخرج عليه فيها عدد كبير من الشبان منبذين في جميع الأفطار العربية .

ففي الشعر نشر بضعة دواوين منها ديوان العقاد « ١٩١٧ » ثم « ١٩٢٨ م » وهي أربعة أجزاء في مجلد واحد ، وهدية الكروان « ١٩٣٣ م » ، وعابر سبيل « ١٩٣٧ م » ، وأعاصير مغرب « ١٩٤٢ م » .

ومن مؤلفاته الثرية في الله والإسلام وعبقريّة المسيح وعظماء العرب الكتب الآتية : الله ، وعبقريّة محمد ، وعبقريّة المسيح ، وعبقريّة الصديق ، وعبقريّة عمر ، وعبقريّة الإمام علي ، وذو النورين عثمان بن عفان ، وأبو الشهداء الحسين بن علي ، والصديقة بنت الصديق ، والديمقراطية في الإسلام ، والإسلام في القرآن الكريم ، والإسلام في القرن العشرين ، والشيوعية والإسلام ، والمرأة في القرآن الكريم ، وفاطمة الزهراء والفاطميون ، والفلسفة القرآنية ، ومطلع النور أطوار البعث المحمدية ، ومرو بن العاص ، ومعاوية بن أبي سفيان في الميزان ، وداعي السماء بلال بن رباح .

ومن مؤلفاته في شعراء العرب : ابن الرومي حياته من شعره ، وأبونواس الحسين بن هاني ، وجميل بثينة ، وشاعر الغزل عمر بن أبي ربيعة ، ورجعة أبي العلاء .

ومنها في عطاء الرجال : سعد زغلول في سيرة ونحية ، والرحالة الكواكبي ،
والشيخ الرئيس ابن سينا ، والتعريف بشكشير ، وبرناردشو ، وفرنيس باكرن ،
وروح عظيم (مهاتما غاندي) ، والقائد الأعظم محمد علي جناح .

ومنها في الأدب والشؤون الوطنية والاجتماعية : رواية سارة ، وساعات
بين الكتب ، وشعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي ، والصهيونية العالمية ،
وعالم السدود والقيود ، والفصول (وهي مجموعة مقالات أدبية) ، ومراجعات
في الآداب والقرن ، ومطالعات في الكتب والحياة ، والوان من القصة
القصيرة ، واثر العرب في الحضارة الأوربية الخ .

وفي الخامس والعشرين من نوفمبر « تشرين الثاني » سنة ١٩٤٠ صدر
مرسوم في مصر بتعيينه عضواً في مجمع اللغة العربية . وقد عين في المرسوم
نفسه كل من أحمد لطفي السيد وطه حسين وأحمد أمين ومحمد حسين هيكل
وعبد العزيز فهمي والشيخ مصطفى عبد الرازق وعبد القادر حمزة والدكتور
علي إبراهيم .

ولس المتأدبون منذ ذلك الحين تضلع من علوم العربية بما كان يلقيه في
مؤتمرات المجمع من بحوث مفيدة نشرت في أجزاء مجلته . ففي الجزء الثامن
منها مثلاً بحث له عنوانه « كلمات عربية بين الحقيقة والمجاز » ، وفي الجزء
التاسع بحث في السيمية Semantic ، وفي العاشر « أمال من اللهجات العامية » ،
وفي الحادي عشر « أغراض البحوث في النحى والعامية » ، وفي الرابع عشر
« الزمن في اللغة العربية » الخ . هذا عدا تعقيباته على بحوث الأعضاء
ومحاضراتهم ، وكلها تدل على سعة معرفته بعلوم لغتنا الضادية .

وكان من المحافظين على سلامة اللغة وآدابها ، لا يرى تعريب المصطلحات
العلمية إلا عند الضرورة وبعد العجز عن إيجاد مصطلحات عربية بوسائل
الاشتقاق . وقد اشتهر لدى الأدباء بمعاظنته على بيان الأدب العربي القديم

المشرق ، وبما حفظته على الوزن والثقافة في الشعر العربي ، وباطراح مذاهب الأدب الخيفة عند القريين كذهب المستقبلية Futurism ، وفوق الواقعية Surrealism ، والذنية Fauvism ، والتأناة Dadaism ، وأشباهها ، والاقتصار على مذاهب الجذ المعقولة التي تسمى عندهم الرومنزم ، والنيوكلاسيزم^(١) ، والريالزم (الواقعية) ، والإيدبالزم (المثالية) . وله بحث ممتع عنوانه « الشعر العربي والمذاهب الغربية الحديثة » نشر في مجموعة البحوث والمحاضرات لمؤتمر جمع اللغة العربية في دورته السادسة والعشرين (١٩٥٩ - ١٩٦٠) .

وبعد ، إن لتعداد مزاي كثيرة تحتاج كل مزبة منها إلى دراسة خاصة . ومن ذلك أنه كان قوي الإرادة ، شديد الشكينة ، عزيز النفس ، قويم الأخلاق ، صادق الوطنية ، مخلصاً لحرية الفكر ، معتدأ برأيه ، نزاعاً إلى مقارعة متناوئيه في الرأي ، لا يصانع حتى رئيس حزبه السياسي سعد زغلول ، وهو من هو ، وحتى مثل الملك . فؤاد في إبتان عنفوانه . فقد قيل له في البرلمان المصري « وكان فيه ثائياً » : إن المراجع العليا تعارض في إصدار أحد القوانين ، فما كان منه إلا أن وقف يقول : منسحق أكبر رأس في الدولة إذا ما حال بين الشعب ورغباته . وكانت مضبة ذلك محاكمة والحكم عليه بالسجن تسعة أشهر .

رحم الله العقاد فقد كان من أوسع كتاب العرب ثقافة ، وأغزروهم إنتاجاً ، وأكبرهم مشاركة في الحركات الفكرية الحديثة في بلادنا العربية .

الشرايبي

•••••

(١) بسبه الأستاذ العقاد مذهب السلية الحديثة .

جواب الأستاذ العقاد^(١)

حضرة الرئيس الجليل ، حضرات السادة الفضلاء :

أحييكم على البعد تحية القريب الحميم ، وأشكر لكم هذه الزمالة الطيبة التي شرفتموني بها ، واستمعكم الاذن وأنا أضع يدي في أيديكم أن أنحدث إليكم — انتم رجال الجمع العلمي العربي الفرد في العالم أجمع — عن أكبر ما يتحدث به المشتغلون بالعربية في هذه الآونة وأعني به المذاهب التي تتجاذب الآداب العصرية في لغة الضاد .

اصطاح بعض الكتاب على تقسيم المعاصرين من الأدباء إلى قسمين : قسم يسمونهم أنصار القديم أو المحافظين ، والقسم الآخر يسمونهم المجددين أو المتفريجين . وفي اعتقادي انه تقسيم ناقص موزع لأنه لا يحصر وجهة النظر من هؤلاء وهؤلاء ولا يعين على تبيين مواطن الصواب والخطأ من مذهب كل فريق .

والذي أؤثره تسهلاً للبحث وتقريباً لحدوده أن نقسم الدعوات الأدبية في العالم العربي إلى ثلاثة مذاهب هي : مذهب العصية ، والمذهب الطبيعي ، ومذهب الإباحة أو الانطلاق من جميع القيود .

فأما دعاء العصية فهم الذين ينتصرون لأدب فترة واحدة من فترات الحياة العربية كأنهم ينتصرون لعصية قومية على غلط البداوة في تعظيم كل

(١) أرسله إل الجمع العلمي العربي بمناسبة انتخابه عضواً به ، وقد نشر في المصنف ٤٨ هـ من المجلد السادس (١٩٢٦ م) من مجلة الجمع .

لأنسابه لأنما أنسابه وتنزيه كل لفظه ومأثوراته لأنما لفظه ومأثوراته . فهم يسبقون الكمال المطلق على اللغة العربية في فترة واحدة هي فترة الجاهلية وما خلق بها من عهد الحضرة وصدر الدولة الأموية ، ويحسبون أن العربية هي لغة هذه الجزيرة (١) في جزيرة العرب دون ما أتى بعدها أو سيأتي بعد الآن . فلا تبدل لها . ولا زيادة عندها . وإن كل كلمة من كلماتها وكل أسلوب من أساليبها إنما خلق في قوائم مفرغة كقوالب الخشب والحديد تبلى ولا يطرأ عليها التمهيد والتغيير ، وهي على هذا لغة قافزة في عالم وحدها بمنزل عن عالم الأرض وما فيه من دواعي التأثير في الإنسان وسائر ما يتبع الإنسان من أفعال وأعمال وأجناس ودول وأطوار . وقد يؤمنون أحياناً أنهم يحرسون بهذا على القرآن ويغارون على الدين ؛ وما كان القرآن خلواً من كلمات معربة ، وجموع على غير القياس ، وعطف وإضافة تلاحظ فيها المعاني لا القواعد المنطقية التي استنبطها النحاة بعد ذلك . وإنما سمينا هذا الفريق فريق العصية ولم نسهم دعاء القديم لأننا لم نعلم قط قديماً في تاريخ أدبنا كان على الشرائط التي يشترطونها ، ولم نعرف يوماً واحداً ولا بعض يوم كانت العربية فيه بعيدة عن سنة النحول التي تقضي عليها بقبول الكلمات والتعبيرات من جاراتها ومطابقة المؤثرات العامة التي لا تستعصي عليها لغة ولا ناطقون بلغة . فهم دعاء عصية بدوية وليسوا بدعاة قديم ولا هم يعرفون ما ذلك القديم الذي يتشبثون به معرفة الحصر والتقييد . وإن في شرح هذا المذهب بل في مجرد الإلمام بتعريفه لتنبيهاً له يعني عن التقييد .

وأما أصحاب المذهب الطبيعي فأقصد بهم الذين يفهمون أن العربية هي لغة المتكلمين بها منذ وجدوا إلى اليوم وإلى ما بعد اليوم ؛ شاء الله من السنين والدهور . فهي لغة حية تسمو وتتجدد ويعرض لها ما يعرض لكل حي من الحاجة والفتى والضعف والقوة ، وللمتكلمين بها في هذا الزمان حق فيها كالحق الذي كان لأعراب الجاهلية وأكبر أضعافاً مضاعفة ، لأنهم أرحب

(١) كذا ، ولعلها البرهة .

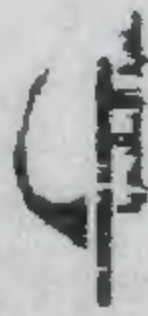
دياراً وأكثر عدداً وأعلم عقولاً وأوسع افتتانه في شجون القول ومطارج التفكير، وليس عليهم من واجب لهذه اللغة غير القيام على حفظها وإنماضها وأن يدرأوا عنها أسباب القوضى والدثور . فإذا جاز لأعرابي في قفار البادية أن يزيد كلمة أو كلمات ويبسّط أسلوباً أو أساليب فذلك جائز الآن لمن يعرفون من العربية وآدابها وفلسفة اللغات ومقابلاتها وعوامل الزيادة والنقص فيها ما ليس يعرفه ذلك الأعرابي ولا جميع معاصريه . واللغة التي يكون عليها خطر من هذا التصرف المعقول إنما هي كالريش الذي يكون عليه الخطر من تجديد الغذاء حسب اختلاف البيئات والأجواء . ونعوذ بلفتنا التي نودعها غرات عقولنا وأفئدتنا أن تبطل بهذا السقام . فإن كانت العربية قد فقدت القدرة على نظم المفردات الجديدة في ملكها ، ومضم الأساليب المتكررة في بنيتها ، وإدماج الطوارىء المستحدثة في قوالب قواعدها فهي إذن قد فقدت الحياة فعليها العفاء و ما لجرح يميت أيلام . . وإن كانت ما تزال لها هذه القدرة فلا خوف عليها ولا مسوغ للعذر من ملوكتها بها على المسلك الطبيعي الذي لا يحصى عنه للإنسان ولا شيء يتعلق بالإنسان .

وأما الإباحيون أو المنطلقون من جميع القيود فأولئك جماعة يريد كل منهم أن يحرق في اللغة خرقاً ، وأن يتخذ لنفسه نمواً وصرفاً ، وأن يكتب كأنما يكتب لنفسه ، ويتناول الريشة الإفرنجية فلا يحرم حرفاً ولا يهفو هفوة في أصول اللغة التي يكتب بها مخافة أن يُعَدَّ من الجملاء ، ثم يتناول القلم العربي فيبيع أن يتعثر وينسى ، وأن يلحق ويخترع كأنه ينشئ لساناً جديداً في جزيرة منقطعة عن العمران لا ضابط له غير هواه وعقو بدعيته . ولا جناح عليه من الخطأ هنا لأن الخطأ في العربية ربما كان علامة على المعرفة وفة المبالاة .

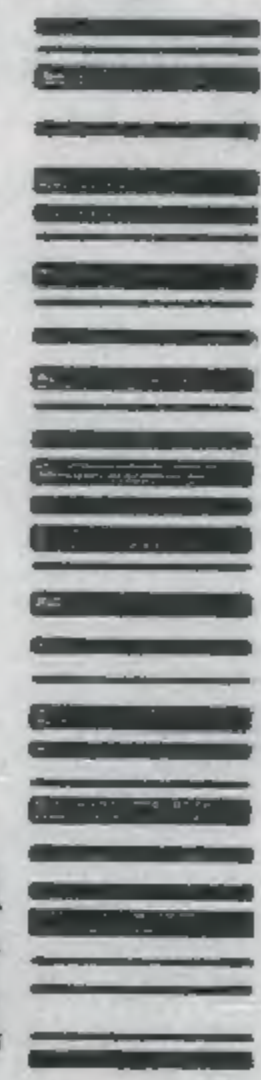
وهؤلاء الإباحيون إما أن يكون خطوهم جهلاً أو عمداً ، فأما الجاهلون فعذرهم ظاهر واللوم على الجهل لا عليهم فيما يدعون وما يختلطون ، وأما المتعدون فلا ندري لماذا يخطئون إذا كان الجواب في وسعهم وكانوا يكتبون بلفة يريدون لها الدوام والانتشار والمنعة على أساس القواعد الثابتة والأصول المعروفة ؟ إنما القصد في هذا المذهب أن تخطئ متى كان الخطأ خيراً من الصواب أو كان الصواب لا ينفي عن الخطأ ، ثم متى كان خطوئنا قابلاً لأن ينتظم في بنية القواعد العربية من غير إخلال بنفسها الذي يكفل لها الصون والبقاء . أما الخطأ حياً للخطأ ليس إلا فهذا رأي لا يدعوانه عاقل « يحترم » نفسه ويحترم كلاماً يثبت فيه أفكاره وخواطره .

هذه أها السادة مذاهب ثلاثة لا يتحى صواباً من مجرد التعريف الجمل بها . ويقتني أنكم قد مشيتم خطوات مشكورات في أقوم هذه المذاهب وأقربها إلى الغاية المرموقة ، فمعلم ما استطعتم لإغناء اللغة وحفظها من آفة القوضى والدثور . فأنا غابط نفسي على فرصة أتاحت لي صحبتكم في بقية الطريق الطويل إلى تلك الغاية النبيلة التي نستقبلها أجمعين .

عباس محمود العقاد



Bibliotheca Alexandrina



0652733